التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٦٢

Yanabee'a ينابيع

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بنَشرِ فِكرِ أهلِ البَيتِ عليهم السلام/ السَّنة ١٢/ العَدد ٦٢ جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ/ شباط - آذار ٢٠١٥م

الزهراء عليها السلام

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

ينابيع ٦٢

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

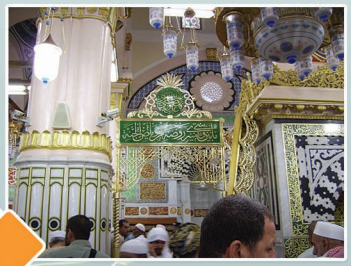

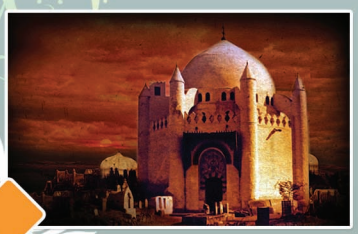

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

يا فاطمةَ الزّهراءِ يا بنتَ مُحمّد يا قرّةَ عينِ الرّسولِ، يا سيّدتَنا ومولاتَنا إنّا توجّهنا واستشفعنا وتوسّلنا بكِ إلى اللهِ وقدّمناكِ بينَ يدَيْ حاجاتِنا، يا وجيهةً عندَ اللهِ اشفعي لنا عندَ اللهِ.

جوهرة القدس

الشيخ محمد حسين الأصفهاني •

جوهرة القدس من الكنز الخفي ... بدت فأبدت عاليات الأحرفِ
وقد تجلى من سماء العظمةْ ... من عالم الأسماء أسمى كلمةْ
بل هي أم الكلمات المحكمةْ ... في غيب ذاتها نكات مبهمةْ
أم أئمة العقول الغر بلْ ... أم أبيها وهو علة العللْ
تمثَّلت رقيقة الوجودِ ... لطيفة جلَّت عن الشهودِ
تصوَّرتْ حقيقةَ الكمالِ ... بصورةٍ بديعةِ الجمالِ
فإنها الحوراءُ في النزولِ ... وفي الصعودِ محورُ العقولِ
يُمثِّلُ الوجوب في الإمكانِ ... عيانها بأحسنِ البيانِ
فإنها قُطبُ رحى الوجودِ ... في قوسَيْ النزولِ والصعودِ

وليس في محيط تلك الدائرةْ ... مدارها الأعظم إلا الطاهرةْ
مصونة عن كل رسم وسمةْ ... مرموزة في الصحف المكرمةْ
صدِّيقة لا مثلها صدِّيقةْ ... تُفْرِغُ بالصِّدقِ عن الحقيقةْ
هي البتولُ الطهرُ والعذراءُ ... كمريمِ الطُهرِ ولا سواءُ
فإنّها سيدةُ النساءِ ... ومريمُ الكبرى بلا خفاءِ
وحبها من الصفات العالية ... عليه دارت القرون الخاليةْ
مرفوعة الهمِّة والعزيمةْ ... عن نشأة الزخارفِ الذميمةْ
في أُفُقِ المجدِ هي الزهراءُ ... للشمس من زهرتها الضياءُ
بل هي نور عالم الأنوارِ ... ومطلع الشموس والأقمارِ
رضيعة الوحي من الجليلِ ... حليفة لمحكمِ التنزيلِ
مفطومةٌ من زلل الأهواءِ ... معصومةٌ عن وصمة الأخطاءِ
راضيةٌ بكلِّ ما قضى القضا ... بما يضيق عنه واسع الفضا
يا قِبلةَ الأرواحِ والعقولِ ... وكعبةِ الشهودِ والوصولِ
من بقدومها تشرفت منى ... ومن بها تُدرَك غاية المنى
لك الهنا يا سيد الوجود ... في نشأتِ الغيبِ والشهودِ
بمن تعالى شأنها عن مَثَلِ ... كيف ولا تكرار في التجلي
وملتقى القوسين نقطة فلا ... ترى لها ثانية أو بدلا
وحيدةٌ في مجدها القديم ... فريدةٌ في أحسنِ التقويمِ
بُشراكَ يا أبا العقولِ العَشرةْ ... بالبضعةِ الطاهرةِ المطهرةِ
مهجةُ قلب عالَم الإمكانِ ... وبهجةُ الفردوسِ والجنانِ
غُرَّتها الغراء مصباحُ الهدى ... يعرف حسن المنتهى بالمبتدا
وفي محياها بعين الأولى ... عينان من ماء الحياة والحيا
بشراك يا خلاصة الإيجادِ ... بصفوة الأمجاد والأنجادِ

أمُّ الكتابِ وابنة التنزيلِ ... ربَّةُ بيت العلمِ بالتأويلِ
بحرُ الندى ومَجْمع البحرينِ ... قلبُ الُهدى ومهجة الكونينِ
واحدةُ النبيِّ أولُ العددْ ... ثانية الوصيِّ نسخة الأحدْ
ومركزُ الخمسةِ من أهل العبا ... ومحورُ السبع علوًا وأبا
لك الهنا يا سيد البريةْ ... بأعظمِ المواهبِ السنيةْ
من جنة الصفاتِ والأسماءِ ... جَلَّت عن المديحِ والثناءِ
بها انتشى في الكون كلُّ صاحِ ... وطابتِ الأشباح بالأرواحِ
تُحيى بها الأرضُ ومنْ عليها ... ومرجعُ الأمرِ غدًا إليها

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

كلمة العدد: حقائق مشرقة

المشرف العـام..... ٨

قرآنيات

التوجيه الدلالي للقراءات القرآنية

م.م حكيم سلمان السلطاني..... ١٠

بعض المفردات اللغوية في سورة الممتحنة

م. صباح خيري الحسيني..... ١٥

قراءات

قراءة للنماذج القرآنية في المرأة

م.م. فاطمه كريمي تركي..... ٢٠

أمير غزوة مؤتة ((الطيّار)) جعفر بن أبي طالب عليه السلام

طالب علي الشرقي..... ٢٥

آمن الرسول

ثلاثيات العبادة: الصلاة عند أمير المؤمنين عليه السلام

أحمد السيد نوري الحكيم..... ٣٠

دور الرسول صلى الله عليه وآله في إرساء مفهوم التوحيد

أ.م.د خليل خلف بشير ٣٥

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٤٢

واحة الأدب

بواعـث الرثـاء في الخطـاب الشـعري للزهراء عليها السلام

م.د. مرتضى عبدالنبي الشاوي..... ٤٨

قصيدة: فِداكِ الوَرى

الشاعر الشيخ إبراهيم المبارك..... ٥٤

دلالة (حتى) عند شرّاح نهج البلاغة

د.هاشم جعفر الموسوي..... ٥٦

قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري

فارس رزاق الحريزي..... ٦١

ص ١٠

ص ٢٠

ص ٣٠

ص ٤٢

أمام لوحةِ عشقٍ نادرة
د. علي مجيد البديري ٦٥
قصة قصيرة: ماذا.. لو..
بقلم: بنت العراق ٦٨

إضاءات السيرة

اهتدُوا بهديِّ عمّار
السيد معد البطاط ٧٦
الأدوار السياسية والاجتماعية والتربوية للأئمة عليهم السلام
السيد أسعد القاضي ٨٢

للفضيلة نجومها

إطلالة موجزة على حياة الشيخ مرتضى الأنصاري
محمد علي جعفر ٩٠
السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي
د. سلمان هادي آل طعمة ٩٦

في النفس والمجتمع

مختارات من الملامح الأخلاقية عند الإمام الحسين عليه السلام
د. ظافر عبيس الجياشي ١٠٠
العمل... ترجمان القول السديد
مكي قاسم البغدادي ١٠٦

طروحات عامة

لتتحرَّ الدقة في بحث سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله
الشيخ جميل مال الله الربيعي ١١٠
موقف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من الشعر والشعراء
د. حسين لفته حافظ ١١٦
أصحاب الإمام الحسن عليه السلام ومواقفهم من قضية الصلح
حيدر الجد ١٢١

حكاية مستبصر ٤٦
في الذاكرة ٧٠
وقفة مع الذكرى: شهادة الزهراء عليها السلام ٧٣
وقفة مع الذكرى: وفاة أم البنين عليها السلام ٧٥
أجوبة مسابقة العدد (٦٠) وأسماء الفائزين ١٢٨
مسابقة العدد (٦٢) ١٢٩

ص ٥٦

ص ٧٦

ص ٩٦

ص ١٠٠

كلمة العدد

حقائق مشرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

في خضم الأحداث المتسارعة والتدهور الذي أصاب جسد الأمة، وفي معترك الأنشطة الإرهابية التي تحاول اكتساح المجتمع الإسلامي، وتدني الشعور بالمسؤولية تجاه ذلك من قبل المؤسسات الدينية والإنسانية في معظم الدول الإسلامية، بل محاولة تبرير الهجمة الشرسة التي تعتري الأمة... والعمل الجاد على أن لا يعكس ذلك صورة الواقع الإسلامي المرير الذي أوصل إلى هذه النتائج..

ومن خلال تلك الزوايا الضيقة تقف ثلة من الصفوة المؤمنة بوجه شرور المفسدين، مضحية بكل غالٍ ونفيس (والجود بالنفس أقصى غاية الجود). ليس لمصالح شخصية ولا فئوية.. ولا دفاعاً عن تيار أو حزب أو قومية... بل كان ذلك نتيجة الارتباط العقائدي والديني بالمبادئ والقيم الإسلامية الحقة، وتنفيذاً للتوجيهات السديدة.. وإعلاناً للدفاع عن الممتلكات والأرواح.. وثأراً لانتهاك المقدسات والحرمات.. ونحن إذ نقف موقف الاعتزاز والفخر بهذه الثلة المؤمنة.. مع إيماننا الكامل بأن الله تعالى لا يضيع لهم دماً ولا حقاً، بل هو مذخور لهم.. نحاول في هذه الإطلالة السريعة أن نشير إلى عدة أمور:

الأول: حث الله عزّ وجلّ في كتابه المجيد على استشعار النصر والهمة والعزيمة منه تعالى، وأن الإنسان مهما بلغ من العزم وبذل الطاقة في سبيل تحقيق غاياته المشروعة لا يفلح إلا بتأييد الله تعالى وتسديده، وقد شاهد المسلمون ذلك في جميع المعتركات التي خاضوها في عصر الرسالة الإسلامية، وقد ذكّرهم الله تعالى في مواطن عديدة بذلك، من أجل زرع التوكل عليه سبحانه في نفوسهم، وتذكيرهم به عز وجل في جميع أحوالهم، وأن يدرك الإنسان أن النصر بيده، وكلما حاول أن يحقق شيئاً بعيداً عنه لا ينال من عمله إلا وباله، ولا يتحقق شيء من أهدافه، لذا لابد من تذكير إخواننا بأهمية هذا الأمر، لئلا تذهب جهودهم سدى، وتضيع عليهم تضحياتهم الغالية، ولا ينالون بذلك غاياتهم المنشودة.

الثاني: أن من الغريب ما نشاهده اليوم من اتحاد الصف العالمي على قضية واحدة، والاتفاق الظاهري على العمل من أجل حسم مادة الشر والطغيان، في الوقت الذي لا يزداد فيه الشر إلا اتساعاً، ولا تخبو نار إلا وتأجج نيران أخرى من هنا وهناك... كيف يُفسَّر ذلك؟! هل أن الصراع اليوم ليس صراعاً واقعياً، بل شكلياً من أجل تمرير مصالح معينة، وخلط الأوراق، وتعميم الهرج والمرج؛ لتسهل سيطرة القوى العالمية على مداخل المجتمعات المدنية من أجل تذليل صعوبات الاختراق العسكري غير المجند؟! هل عجزت القوى العالمية عن الدخول المباشر للمجتمعات فاتخذت هذه الوسيلة لتحقيق أهداف متعددة في وقت واحد؟! ثم لا زال هناك تساؤل يطرح: كيف تمكنت المجموعات الإرهابية من الدخول في أوساط المجتمعات التي تدعي الإسلام وبدأت نخرها من الداخل؟! كيف حصلت على الأرضية المناسبة للعمل على هذا الشكل، واستهدفت مئات الآلاف بل الملايين بأبشع الصور؟! ما هي الأجندة وراء ذلك؟! هل أن الصيحات التي نسمعها اليوم ضد الإجرام

العنيف هي صيحات نابعة عن ضمير حي يشعر بالتدهور الصحي للأمة، أو أنها مجرد غطاء لتمرير المقررات الخبيثة؟! هذه مجموعة من الأسئلة قد يجد القارئ لها جواباً، لكنه كما قال الشاعر: (في فمي ماءٌ وهل ينطق من في فيهِ ماءُ).

الثالث: من الواضح أن هذه الحركة الجادة المتمثلة بالمؤسسة الدينية التابعة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، والشعور بالمسؤولية جسدا واقع هذه الطائفة الممتحنة، وامتلاكها من قوة العقيدة، والارتباط بالله تعالى، وبالقيم الإسلامية الأصيلة ما يجعلها تقدم من أجل ذلك كل غالٍ ونفيس، وتصبر على الحق المرّ الذي لا يصبر عليه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

وقد شاهد العالم اليوم النكسة الكبيرة التي منيت بها الأمة، وانهيار المجتمعات الإسلامية واحدة تلو الأخرى.. ولم يتصدّ لهذه الهجمة الشرسة إلا شيعة أهل البيت عليهم السلام، مع ضعف التجهيز، وقلة المال، وغياب الحيلة، وما ذلك إلا لإيمانهم بالثوابت الحقة، والمعايير الدينية التي بني عليها أساس الإسلام الأصيل.. وهو بطبعه يعكس قوة المؤسسة الدينية الشيعية، وعمق تفكيرها وبُعد غورها، ورجاحة عقلها.

لذا تمكنت من السيطرة على التوازن، وحفظت جمهورها من الانهيار، ولو صنفت من قبل المؤسسات العالمية لكانت الأولى في العمق والإخلاص والعقل..

وقد ولّت الأفكار الجاهلة بفضلها ـ منذ زمن قريب ـ أدراج الرياح، والتي كانت تصفها بأبشع صورة.. رجعية.. متخلفة.. لا علم لها بالأمور.. وغير ذلك، حتى كنا في العصور القريبة نعاني من هذه القناعات النابعة من الجهل وعدم التعمق في الأمور..

ونتحمل أنواع الأوصاف اللاذعة، ونصبر على ذلك بحكمة وروية، حتى إذا دارت الرحى، وانقلبت المعادلات، ظهرت المؤسسة الدينية بما لها من قوة ونفوذ على واقعها الذي خفي عشرات السنين، وشوه بأنواع الأوصاف.

الرابع: أن هذه المؤسسة الفاعلة في الساحة الشيعية اليوم، والتي كان لها الدور الكبير في حفظ الكيان العام، والذي أشرنا إليه آنفاً، إنما هو نابع من توجيه الأئمة الهداة عليهم السلام، بعد انحراف السلطة عنهم، وعزلهم عن مناصبهم الريادية الفاعلة، فبدأوا بتكوين قاعدتهم الشعبية، التي يملكون منها الإخلاص والتفاني والتضحية في سبيل الدعوة إلى الله، والعمل الجاد من أجل تحقيق غايات الإسلام النبيلة.. ولو لم يعرف أحد ما صنعه الأئمة الأبرار عليهم السلام طيلة وجودهم في أوساط المجتمع الإسلامي، وما ترتب عليهم من المعطيات الكبيرة، فله أن ينظر بنظرة موضوعية للمؤسسة الدينية اليوم، ويلاحظ تماسكها وثباتها على القيم وقوة تأثيرها على الواقع الخارجي، وما هي إلا امتداد لتأريخ عريق حافل بأمجاد العلماء والصلحاء، رغم ما لاقوه من المحن والمصائب والمتاعب..

ولا يتصوّر متصوِّر أن تكالب قوى الشر على هذه الطائفة وليد اليوم عصر التكنولوجيا الحديثة، بل هو وليد ساعة الإقصاء وغصب المنصب الإلهي، ثم بقي مستمراً حتى اليوم.. وقد علم الله تعالى حجم التضحيات الكبيرة التي قدمت عبر العصور التأريخية الطويلة.. لكن ذلك لم يؤثر على الخط الرسالي الذي حمله الدعاة إلى الله بعد أن وضع قواعده الأئمة الطاهرون عليهم السلام. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، ونشكره أن هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

■ **المشرف العام**

التوجيه الدلالي للقراءات القرآنية التي اتفق رسمها في المصحف العثماني

(ظاهرة حذف الألف أنموذجًا)

م.م حكيم سلمان السلطاني •
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

إن موضوع القراءات القرآنية من أهم ما اعتنى به العلماء تحقيقاً وتوجيهاً. وقد ألفت كتب ونظمت أبيات في بيان قواعد هذا العلم، فجمعت القراءات وصنفت، وتحدث العلماء عن توجيهها وبينوا قواعد رسمها، مما عرف بالرسم العثماني، وبسطوا كثيراً من المعرفة فيما يتعلق بها.

إن هناك صوراً عدة لاختلاف القراءات ـ كما هو مقرر ومعروف في كتب القراءات وعلوم القرآن والتفسير ـ فمنها: ما اختلف فيه حركة الحرف دون تغيير في رسم الكلمة (قَرن، قِرن) (الأحزاب/٣٣)، أو تنقيط الحرف (فتبينوا، فتثبتوا) (الحجرات/٦)، أو تغيير الحرف (يبصط، يبسط)(البقرة/٢٤٥)، أو بزيادة (تحتها الأنهار، من تحتها الأنهار) (التوبة/١٠٠)، أو بحذف (وسارعوا، سارعوا) (آل عمران/ ١٣٣).

وغير ذلك من أنواع الاختلافات مما قرأ به القرّاء ودُوِّن في كتب القراءات من دون أن يؤثر ذلك كله في رسم المصحف.

إلا أننا هنا في هذا البحث أمام نوع مميز من الاختلاف بين القراءات، مما هو مرتبط برسم المصحف العثماني الذي دُوِّن في ذلك العصر حيث جاء مخالفاً للكثير من القواعد الإملائية مما هو مقرر في زماننا هذا من زيادة في بعض الحروف وحذفها وإبدالها، واخترنا من ذلك ظاهرة حذف الألف وما لهذه الظاهرة من اتفاق في الرسم مع القراءة التي قرئت بها الكلمة، إذ دُوِّنت قراءة المصحف برسم يتفق مع القراءة الواردة فيها. وفيما يبدو لنا من ظاهر هذه الكلمات أنها متفقة في الرسم متقاربة في المعنى، بيد أنه يوجد فارق دلالي دون أن يكون هناك تعارض بين المعنيين، فهو اختلاف تنوع وثراء لا اختلاف تعارض وتناقض، فالقرآن منزه عن ذلك، قال تعالى: (**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**) (النساء/٨٢).

علاقة القراءات بالرسم العثماني

إن اختلاف المسلمين في القراءات، هو السبب الذي من أجله كتب عثمان المصاحف، وكانت موافقة للقراءات الصحيحة، وبعث إلى كل إقليم بنسخة من مصحفه وقد (ساعدت صورة الخط العربي، في ذلك الوقت على أن يتضمن النص القرآني المكتوب معظم القراءات التي قرئ بها القرآن في أيام النبي ﷺ)[1].

فقد ساعد الخط العثماني بخلوه من النقط والشكل وبعض ظواهره الكتابية ومنها حذف الألف أن يقرأ بصور عدة، فجاء محتملاً للكثير من القراءات، وأصبحت من مميزات الرسم الدلالة على القراءات.

وجعل السيوطي من قواعد الرسم العثماني (ما فيه قراءتان فكتب على أحدهما)[2] وعدد بعض الكلمات التي أنقصت منها الألف.

وهو وإن صدق كلامه على تلك الكلمات المعدودة، فإنه لا يصدق عل كل الكلمات التي أنقصت منها الألف كـ (الإنسان، قاصرات) فإنها لم تقرأ على (الإنسن، قصرت). وذهب الزرقاني إلى أن (قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر، كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر، فإن كان الحرف لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل، وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به، مثال الكلمة تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى: (**إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**) (طه/ ٦٣) رسمت في المصحف هكذا: (إن هذن لسحران) من غير نقط ولا تشديد ولا تخفيف في نوني (إن)

و(هـذان)، ومن غير ألف ولا ياء بعد (الذال) من (هذان)، ومجيء الرسـم كمـا ترى كان صالحاً عندهم لأن يقرأ بالوجوه الأربعة التي وردت كلها بأسانيد صحيحة.

(**أولها**): قراءة نافع ومن معه إذ يشـددون نون (إن) ويخففون (هذان) بالألف.

(**ثانيها**): قراءة ابن كثير وحده إذ يخفف النون في (إن) ويشدد النون في (هذان).

(**ثالثها**): قراءة حفـص إذ يخفف النون في (إن) و(هذان) بالألف.

(**رابعها**): قراءة أبي عمرو بتشـديد (إن) وبالياء وتخفيـف النون في (هذيـن) فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا الصالح كان في قواعد رسمه للمصحف أبعد منا نظراً وأهدى سبيلاً)[٣].

والحـق إن الرسـم العثماني مـن النقط والشـكل ومن الألف وإن ساعد على أن تقرأ الكلمة بصور عدة. إلا أن ذلك ليس مراداً من الصحابـة بل إن طريقتهم فـي الكتابة آنذاك هي التي ساعدت عليه.

ولا خـلاف أن مـا رسـم أصـلاً بالألف الممـدودة ليس له إلا وجـه المد، ولا يصح فيه قراءة القصر، وهذا محل اتفاق، كما في قوله سبحانه: (الميزان، كالفخار، الأكمام).

وكذلك فإن بعض ما رسـم من دون ألف حظـي باتفاق الـكل على تقديـر الألف فيه ولـم يقرأ بغير ألـف كما في قوله سـبحانه: (الرحمن، الإنسن، قصرت، يهمن).

ولكـن وقـع الخلاف في بعض ما رسـم أصـلاً مـن دون الألـف، وقـرئ بوجهين: بتقديـر الألف وبحذفها، كما في قوله تعالى: (واعدنا)، فقرئت بتقديـر الألف (واعدنا)، وقرئت من دون ألف (وعدنا).

وبعـد البحـث والاسـتقراء وقفت على قرآءات كثيرة لظاهرة حـذف الألف، ولكن أهمهـا جاء في أحد عشـر موضعـاً، ونحن نذكر هنا أكثر من مورد وما ينسـجم مع سعة البحث المنشور في هذه المجلة.

١ـ قـال تعالـى: (**مَـلِكِ يَـوْمِ الدِّينِ**) (الفاتحة/ ٤)

قرأ عاصم والكسـائي ويعقـوب وخلف (مالك) بالألف موافقة للرسـم تقديراً. وقرأ الباقون (ملك) بحذف الألف موافقة للرسـم تحقيقاً[٤].

إن لـكل من قراءة (مَلِـك، مَالِك) وجوهاً مـن البلاغة لا تؤديها الأخـرى وبالجمع بين القراءتيـن نخـرج بوصف عظيـم يليق بالله تعالـى وكأن قـراءة واحدة لا تعبـر عن بيان وصف الكمال الذي يليق بالله تعالى فلابد من تضافر أكثر من لفظة لتؤدي هذا المعنى كما جاءت صفة الرحيم مع الرحمن ليؤدي معنى كمال الرحمة في حقه تعالى.

ومعنى ملك يوم الدين بإسقاط الألف أنه المَلِـكُ يومئذٍ لا مَلِكَ غيـره وأنه لا يؤتى في ذلك الوقت أحـداً المُلْكَ كما أتاه في الدنيا، ودليـل ذلك قوله تعالـى: (**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**) (غافر/ ١٦).

ومن قَـرأ (مالـك) بألف معنـاه أنه ملك يوم الدين والحسـاب لا يملكه غيره ولا يليه سواه[٥].

وعلى هذا فإن القراءتين بينت أمرًا يناط بالله تعالـى، وهو أنه مَلِكُ ذلـك اليوم وبما فيه من أحداث وأمور، وأنه مَالِكُ ذلك اليوم بعينه.

٢ـ قـال تعالى: (**يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُـكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِـلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَـفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْـتُمُ النِّسَـاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَـاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً**

القرآن الكريم – النسخة العثمانية بخط نوري عثمان المشهور بـ قايش زاده – بتاريخ ١٣٠٩ هـ

طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً) (النساء:٤٣)

قرأ حمزة والكسائي وخلف: (أو لمستم) بغير ألف موافقة للرسم تحقيقاً، وقرأ الباقون: (أو لامستم) بالألف موافقة للرسم تقديراً[٦]

الحجة لمن أثبت الألف أنه على (فاعلتم) التي تعني المشاركة في الفعل. والحجة لمن طرحها: أنه خص بالفعل الرجل دون المرأة. ودليله قوله تعالى: **(إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ)** (الأحزاب/٤٩)[٧].

لا يوجد في اللغة تفريق بين لمس ولامس إلا من جهة ألف المفاعلة فيها، فاللمس ما ظهر من اللامس، والملامسة ما اشترك فيها اثنان، وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): (لمسته لمساً، ولامسته ملامسة، ويفرق بينهما فيقال: اللمس قد يكون معرفة الشيء بالشيء، والملامسة أكثر ما جاءت من اثنين)[٨].

وهكذا فإن الصرفيين لا يميزون بين اللمس والملامسة من جهة أصل الدلالة بل من جهة الأبنية التي تعد المرتكزات للتفريق بين الأفعال وما تلقي به اختلاف الأوزان من ظلال فارقة للمعنى.

فقراءة (لمستم) يفهم منها ما دون الجماع[٩]. كالقبلة، والغمزة، واللمس الشديد باليد، أو يفهم منها الجماع، ولكن جاءت بهذه الصيغة إشارة إلى فعل الرجل دون المرأة[١٠].

أما قراءة (لامستم) فيفهم منها المجامعة[١١]، إذ الألف للمشاركة، والمفاعلة تكون من اثنين، واستدلوا لذلك بما روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (لامستم النساء، أي جامعتم، ولكن الله يكني)[١٢]، وعن ابن عباس: (هو الغشيان والجماع)[١٣].

وقد ترتب على اختلاف القراءات بين (لمس، ولامس) اختلافٌ لدى الفقهاء، في أيهما الموجب للتيمم عند عدم وجود الماء،

هل هو مجرد لمس الرجل للمرأة؟ أو هو الجماع؟[١٤].

ذهب الإمامية والحنفية إلى أن لمس الزوجة لا يوجب الوضوء، ولا عناقها، ولا تقبيلها، إنما يوجب الغسل أو التيمم هو الجماع وهو مراد الآية[١٥].

وذهب الشافعية إلى أن اللمس يوجب الوضوء مطلقاً[١٦].

وذهب المالكية إلى أن اللمس الذي يوجب الوضوء هو ما إذا كان اللامس والملموس مما تثور الشهوة في نفسه باللمس، وإلا إذا لم تثر الشهوة عندهما فلا وضوء[١٧]. وهو ما اختاره الحنابلة على المشهور، إذ قالوا: (وإذا لم ينقض بمس أنثى، فهو يستحب)[١٨].

وقد رجح الطبري (ت ٣١٠هـ) كون الملامسة بمعنى الجماع دون غيره من معاني اللمس، واستدل على ذلك بصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قبل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ[١٩] وهو من أسلوب القرآن الكريم في عدم التصريح بهذه العملية والكناية عنها بالكثير من الصياغات التعبيرية الموجبة بصورة غير مباشرة، منها قوله تعالى: (**فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ**) (البقرة/ ١٨٧)، و(**وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ**) (البقرة/ ٢٢٢)، و(**مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ**) (البقرة/ ٢٣٧)■

---

١) رسم المصحف ٣٧، غانم قدوري ط١ مؤسسة المطبوعات العربية. بيروت -١٩٨٠م.

٢) الإتقان ٤/ ١٤٧. للسيوطي ط٣ القاهرة ١٩٥١م.

٣) مناهل العرفان ١/ ٢٥٨. للزرقاني دار إحياء الكتب العربية القاهرة د. ت.

٤) ظ: كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد ١٠٤ تحقيق شرقي ضيق، وغيث النفع في القراءات السبع، الصفاقسي مطبوع بهامش سراج القارئ ط٣ القاهرة ١٩٥٤ ٦٠.

٥) ظ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١/ ٥٣، والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي ١/ ٣٣.

٦) ظ: المحرر الوجيز ٢/ ٥٩، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/ ٢٢٤ ط٢.

٧) ظ: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه ٦٢، ط١، ومعاني القراءات ١٢٨..

٨) لسان العرب(لمس) ٦/ ٤٠٩ لابن منظور دار الكتاب العلمية بيروت ٢٠٠٥م.

٩) ظ: التبيان في إعراب القرآن، العكبري ١/ ٢٧٩، وحجة القراءات، أبو زرعة ٢٠٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع مكي القيسي١/ ٤٣١ دار الحديث القاهرة ٢٠٠٧م.

١٠) ظ: حجة القراءات ٢٠٥، والكشف ١/ ٤٣١.

١١) ظ: حجة القراءات ٢٠٥، والتبيان، العكبري ١/ ٢٧٩، والكشف ١/ ٤٣١.

١٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي ٢/ ١٦٦ دار الفكر ط١ ١٩٨٣م.

١٣) م. ن.

١٤) أثر القراءات القرآنية في توجيه المعنى في آيات الأحكام ١١٥- ٧١١٧ رسالة ماجستير مكي السلطاني جامعة الكوفة كلية الآداب ٢٠٠٩م.

١٥) ظ: التبيان، الطوسي ٣/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٥٩، ومجمع البيان، الطبرسي ٣/ ٩٣، والدر المنثور ٢/ ١٦٦، ودروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، باقر الأيرواني ١/ ٢٨٦.

١٦) ظ: المحرر الوجيز ٢/ ٥٩، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/ ٢٢٤ ط٢.

١٧) انظر:أحكام القرآن، ابن العربي١/ ٤٢٥، موسوعة الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي ١/ ٢٧٦.

١٨) موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته ١/ ٢٧٥، ط٣ دار الفكر ١٩٨٩م.

١٩) ظ: جامع البيان ١٠٥/٥، الطوسي٢٠٥/٣.

بعض المفردات اللغوية من سورة الممتحنة

م. صباح خيري الحسيني •

ينابيع

إن الوقوف على تفسير المفردات (البحث اللغوي) هي مرحلة من المراحل التي يطويها المفسر للوصول إلى المعنى، بل هو من آلاته وأدواته، فهناك أمور يحتاجها كمعرفة تاريخ وأسباب النزول أو الناسخ والمنسوخ أو الوقوف على الدلالة اللغوية والبلاغية أو الدلالة المعرفية والنحوية أو معرفة السياق ودوره، فالكل يتضامن لأجل الوصول إلى المعنى أو هي بمثابة القرائن التي تحدد المعنى، هنا في هذا البحث تسلط الضوء على مفردات بعض المقاطع من الآيات في سورة الممتحنة من الناحية اللغوية:

المقطع الأول، وفيه:

مفردة (أولياء) في قوله تعالى: (**لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء**) فهي مأخوذة من الولاء، والولاء بحسب معناه اللغوي مأخوذ من حالة التوالي، أي يكون الشيء تاليًا للشيء الآخر بل متصلاً به من دون فاصل[1] ومن مصاديق معنى الولاء في القرآن الكريم ما ورد في سورة التوبة: ٢٣ (**لَا تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ**) وفي سورة المائدة: ٥١ (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء**)، وعن الراغب الأصفهاني: (الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما ويستعان ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد...)[2]، فالظاهر من القرآن وهذه الآية الشريفة: أن لا يكون المؤمن مواليًا للكافر، أي لا يكون ملتزمًا به وناصراً ومؤيداً له بأي نحو من الأنحاء ولا بأي سبب كان[3].

ـ مفردة (المودة) في قوله تعالى: (**تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ**) و(**تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ**) وهي لغةً: مأخوذة من الود، والود عبارة عن المحبة وبعضهم فسر الود بتمني الشيء، إن الود هو مجرد المحبة، والتمني يمثل أحد مصاديق المحبة، إذا أردنا تطبيقها على موارد سبب نزولها وكانت النصيحة وإرسال الكتاب تفسيرًا عن حالة المحبة بين هذا الإنسان المؤمن وبين الكفار[4].

ـ مفردة (يثقفوكم) في قوله تعالى: (**إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا...**) والثقف لغةً: هو وجدان الشيء أو الظفر به[5]، أو الثقف هو الحذق

في إدراك الشيء ومن هنا سميت المعرفة المقترنة بالحذق (ثقافة) والمراد (يثقفوكم) في الآية يظفروا بكم ونظيره هذه الآية (**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**...) (البقرة:١٩١) فهنالك أمر للمؤمنين بقتل المشركين حيثما ظفروا بهم وكان ذلك من باب المعاملة بالمثل لأن المشركين كانوا إذا ظفروا بالمسلمين يقتلوهم[٧].

- مفردة (البسط) في قوله تعالى: (**يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**...) وبسط الشيء لغة: نشره وتوسيعه، وبسط اليد: مدها[٨]، غاية الأمر عندما يبسط الإنسان يده ليبطش بها... كقوله تعالى: (**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ**) (المائدة:٢٨) وآخر لينفق بها كقوله تعالى: (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**) (الاسراء:٢٩)، فالمراد من بسط اليد هو بسطها في مقام الإنفاق[١١].

- مفردة (الرحم) في قوله تعالى: (**لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ**) فالرحم لغة: مأخوذة من رحم المرآة وقد استعير هذا اللفظ للتعبير عن أقارب الناس وصلة القرابة لاشتراكهم في هذا الرحم فيقال: (صلة الرحم أي: صلة القرابة). وقد اشتق اسم الرحم من الرحمة التي هي من صفات الله سبحانه وتعالى، ومن هنا فرض التراحم والتواد بين الأرحام وأوجب الله صلة الأرحام وحرم قطعها، بسبب ما فيها من أهمية لترسيخ الرحمة بين الناس[١٢].

- مفردة (الفصل) في قوله تعالى: (**يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ**...) وفيها احتمالات:

١- إن الفصل لغةً: الإبانة بين شيئين حتى

يحصل بينها فاصل... والمراد بيوم الفصل يوم القيامة،.. القضاء والحكم....

٢- إن الله يفصل بين الأرحام يوم القيامة، بما يشاهده الناس من الأهوال فتنفصل العلاقة بين الأرحام. كما في الآية المباركة: (**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**) (عبس ٣٤- ٣٧)

وحيث إن التعبير كثير عن يوم القيامة بيوم الفصل في آيات الذكر الحكيم. قال تعالى: (**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**) (الدخان:٤٠)... و(**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**) (الصافات:٢١) وفي مقام الحديث عن داود عليه السلام: (**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**) (ص: ٢٠)، فيراد من فصل الخطاب الفصل في المنازعات والخلافات... فيكون بالقضاء والحكم[١٧].

المقطع الثاني: وفيه ثلاث مفردات هامة:

- مفردة (الأسوة) قوله تعالى: (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ**) يذكر الراغب الأصفهاني: إن الأسوة كالقدوة من حيث المعنى[١٨]، من حيث التركيب والبناء اللغوي فيقال، (أسوة) و(إسوة) كما يقال: (قُدوة) (قدوة) ويراد منها الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن كان حسناً فيعبر عنها بالأسوة الحسنة وقد تكون حالة سيئة، فيعبر عنها بالأسوة السيئة وهكذا القدوة[١٩].

- مفردة (البغضاء) في قوله تعالى: (**وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ...**) فالبغض هي حالة النفار الحاصلة في النفس من الأشياء، والبغض والبغضاء يعنيان شيئًا واحدًا، فيكشف ذلك عن وضع نفسي قائم بين المشركين والمؤمنين وهو التنفر والبغض[٢٠].

- مفردة (الإنابة) في قوله تعالى: (**رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**) والنوب لغةً: رجوع الشيء مرة بعد أخرى، أي تكرار الرجوع، والإنابة مأخوذة من النوب[٢١]، عندما تذكر في القرآن الكريم وتنسب الإنابة إلى الله تعالى يراد منها الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار من الذنوب والإخلاص بالعمل[٢٢].

المقطع الثالث: وفيه ثلاث مفردات:

- مفردة (عسى) في قوله تعالى: (**عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) وهي بمعنى الترجي وفيها احتمالات:

١- إن المراد من الترجي هنا الإخبار عن وقوع هذا الشيء بحسب الخارج، أي ببيان اللازم بهذا الترجي، وهو التحقق بحسب الحاجة، ومن هنا تحمل هذه الآية الشريفة على أنها إخبار عن تحقيق هذه المودة بالمستقبل بين المسلمين ومن عاداهم من المشركين الذين نهاهم الله عن ولائهم في مرحلة العداء.

٢- إن المراد من (عسى) معناها الحقيقي هو الرجاء، غاية الأمر أنه ليس من الله سبحانه وتعالى، إنما رجاء العبد من الله سبحانه وتعالى أن يبدل هذه الأحوال ويجعل بينه - العبد - وبين الذين عاداهم من المشركين مودة....

٣- القرآن الكريم يستخدم أدوات الرجاء من قبيل (عسى، لعل) في ما يتعلق بالقضايا المرتبطة بحركة التاريخ،... أي بإرادة الإنسان واختياره، لا يعني أنه ليس من الله تعالى أو ليس من إرادته، فالله تعالى أراد للإنسان أن يكون مختاراً وخلقه كذلك، وجعله سيد الموجودات بهذا الاختبار وبهذه الإرادة فإذا اختاره يتحقق التفسير وتتبدل العداوة بالمودة[٢٣].

وعلى هذا فإن أفعال الرجاء تستعمل في

القرآن الكريم في ما يتعلق بمجرى التاريخ الذي يتأثر بنظام الاختيار والإرادة الموجودة عند الإنسان لا بالنظام الكوني الذي هو خارج عن إرادة الإنسان[٢٤].

ـ مفردة (القسط) في قوله تعالى: (**لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) ولها معنيان متضادان:

الأول: العدل: عن الراغب الأصفهاني: إن القسط مأخوذ من نصيب الشيء بالعدل فعندما يكون النصيب كاملاً يكون فيه مفهوم العدل(٢٥) كقوله تعالى: (**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ**) (يونس:٤) و(**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ**) (الرحمن:٩) والمراد من القسط فيهما العدل.

الثاني: إذا كان بفتح القاف (القسط) فيكون معناها الجور، كما في الآية: (**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**) (الجن: ١٥) فإن قال (اقسط) معناها (عدل) كقوله تعالى: (**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) (الحجرات: ٩).

مفردة (المظاهرة) كقوله تعالى: (**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ**) وهي لغة مأخوذة من الظهر هو أحد جوارح الإنسان أي ظهره، فالظهر قد يستخدم مقابل البطن وظهر الأرض مقابل باطنها.

وهكذا ما ورد في إيقاع المظاهرة (الظهار) الموجبة لحرمة الزوجة. فهو مأخوذ من الظهر وهذا الإيقاع محرم في نفسه ومع ذلك يترتب عليه حرمة الزوجة. إلى أن يؤدي الزوج كفارة المظاهرة.

وردت بمعنى المعاونة والإسناد كما قال تعالى: (**وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ**) مأخوذة من الظهر باعتبار أن معاونة الإنسان إنما تكون بإسناد ظهره....

فالمظاهرة تعني إسناد الظهر،... فالمظاهرة قد تكون بمعنى المعاونة والإسناد وقوله: (**وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ**) أي عانوا وعاضدوا الآخرين على إخراجكم[٣٠].

المقطع الرابع: وفيه سبع مفردات:

ـ مفردة (فامتحنوهن) في قوله تعالى: (**مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**) والامتحان لغة: يشبه إلى حد كبير معنى البلاء حيث يرجع كل منها إلى معنى الأخبار، فالبلاء مأخوذ من البلوى الذي هو عبارة عن بلي الشيء، أي أصبح خلقاً بالياً، وبلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له[٣١] واستعير هذا المعنى للاختبار لأنه عبارة عن مراجعة متعددة للشيء ـ أيضاً من أجل معرفة خصوصياته وحقيقته، فامتحنوهن، اختبروهن، ولا يكفي مجرد الادعاء من قبلهن بأنهن مؤمنات بل لابد من اختبارهن حتى يصدق ويحصل الاطمئنان به.

ـ مفردة (الجنح) في قوله تعالى: (**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ**). والجناح لغة: مأخوذة من الجناح ـ العضو الموجود بالطيور[٣٢] ـ وبما أن الطير يغير حركته بجناحه، فإن أراد الميل إلى الجانب مال بجناحيه، فاستعير جنح بمعنى الميل قال تعالى: (**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**) (الأنفال:٦١)، أي: إذا مالوا إلى السلم فمل له. وأخذ هذا المعنى للتعبير عن الإثم: اعتباره حالة انحراف وميل عن جادة الصواب... فعبر عن الإثم بالجناح فعندما يقال: لا جناح عليك، أي لا إثم عيك وبالتالي يكون المقصود نفي الإثم ونفي المعصية، فلفظ جُناح بحسب مفهومه اللغوي: (هو الإثم، وأصل اشتقاقه مأخوذ من الميل عن الشيء)[٣٤].

ـ مفردة (العصَم) في قوله تعالى: (**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**) ويذكر لغة: العصام هو، ما يُمسكَ له الشَيء ويشد... مأخوذة من المعصم، لأنه يراد مسك الإنسان بشد معصمه... ومنه العصمة،... والملكة... وهكذا عصمة المرأة هي عبارة عن الاعتصام، باعتبار عندما تتزوج تصبح محصنة ومشدودة للزواج... والمراد من الآية الشريفة. أن المرأة الكافرة لا يصح إمساكها والاعتماد على عصمتها، بل تنفسخ تلك العصمة ولابد أن تطلق [٣٥].

ـ مفردة (البيعة) في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ...**) والبَيعة في اللغة: مأخوذة من البيع، وهو: التعامل المعروف في التجارة السوقية، وهو المثمن بإزاء الثمن،... وهذه البيعة في الحقيقة شبيهة بعملية الإيقاع لأن الذي يوقع البيعة هم الأفراد... وإن كان بحسب تحليلها ومضمونها المعنوي تكون بيعاً ـ الآية ـ أي عقداً وليس مجرد إيقاع[٣٦].

ـ مفردة (البهتان) في قوله تعالى: (**وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ...**) فالبهتان لغةً: مأخوذ من البهت، وهو: الدهشة والحيرة، كما ورد في قوله تعالى: (**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**) (البقرة: ٢٥٨) أي إصابته الحيرة والدهشة... ويقال أيضاً للكذب العظيم: بهت، بهتان لأن الكذب العظيم يكون سبباً في حصول الحيرة والدهشة فيكون من باب تسمية السبب باسم المسبب[٣٨].

ـ مفردة (الافتراء) في قوله تعالى: (**وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَه...**) والافتراء عند أهل اللغة مأخوذ من الفري، والفري: عبارة عن قطع الجلد... ومعنى الافتراء: ما يكون موجب للإفساد... وأريد منه الكذب الذي يكون مؤديًا إلى الفساد العظيم. وإنما سمي هذا النوع من الكذب الافتراء[٣٩].

ـ مفردة (المعروف) في قوله تعالى: (**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ...**) والمعروف على ما يُفهم من معناه هو كل بر وإحسان عرف بين الناس، وفي اصطلاح الشرع والقرآن[٤٠] على خصوص القضايا والأعمال التي يستحسنها العقل والتي تميل إليها الفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية. (**وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ**) أي لا يعصينك في موضوعات الأوامر الشرعية والتي هي عبارة عن بر وإحسان وخير وصلاح المجتمع الإنساني[٤١]■

---

١) تفسير سورة الممتحنة ص٢٤ سيد محمد باقر الحكيم.
٢) مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ص٧٤٩.
٣) انظر تفسير سورة الممتحنة ص٢٥.
٤) انظر المصدر السابق ص ٢٥ـ ٢٦.
٥) تاج العروس ٦:٥١ ، نقلاً عن المصدر السابق ص٢٦.
٧) انظر تفسير سورة الممتحنة ٢٦ـ ٢٧.
٨) مفردات الراغب ص٧٠.
١١) تفسير سورة الممتحنة:٢٧.
١٢) المصدر السابق نفسه:٢٨.
١٧) انظر تفسير الممتحنة ص٣١.
١٨) مفردات الراغب ص٣١.
١٩) تفسير سورة الممتحنة ص٤٧.
٢٠) نفس المصدر: ٤٧.
٢١) مفردات الراغب: ص٦٩٨.
٢٢) تفسير سورة الممتحنة ص.
٢٣) تفسير سورة الممتحنة ص٧٢ـ ٧٣.
٢٤) ن، م: ٧٤.
٢٥) مفردات الراغب: ص٥٥٥.
٣٠) تفسير سورة الممتحنة ٧٥ـ ٧٦.
٣١) مفردات الراغب: ص٩(مادة بلي).
٣٢) مفردات الراغب: ص١٤٢.
٣٤) تفسير سورة الممتحنة:٩٣ـ ٩٤.
٣٥) ن، م:٩٤.

قراءة
للنماذج القرآنية في المرأة

م.م. فاطمه كريمي تركي •
جامعة پيام نور - مشهد/ إيران

ينابيع لقد ذكر الله - تبارك وتعالى- في القرآن الكريم أسماء عدد من النساء وضرب بهنّ المثل، فمنهنّ الصالحات اللّائي يقتدى بهنّ في مجالات مختلفة، خاصة في الوعي العبادي الذي يمثّل أنصع آيات التوحيد والتسليم لربِّ العالمين، كما في قوله تعالى: (**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ**)، ومنهنَّ السيئات، كقوله تعالى: (**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ**). لقد ذكر القرآن أسماء هذه النسوة المثاليات. المهم في الأمر أنه سبحانه لايضرب المثل بالنساء الصالحات فحسب، وإنما ضرب مثلًا بالنساء الصالحات والسيئات معاً، وثانيًا لا تعتبر هذه النسوة اللائي ضُربن مثلًا أسوة للنساء فقط، بل لجميع الناس رجالًا ونساءً.

لقد خلق اللّه – تبارك وتعالى – الرجل والمرأة كليهما من تراب ولا فضل لأحد منهما على الآخر إلا بالتقوى، فأكرمهما عنده أتقاهما. إذن المرأة كالرجل لا نقص فيها من جهة الخلقة، قال تعالى: (**وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا**) (فاطر: ١١)، وفي موضع آخر أشار إلى هذه المساواة في الخلقة، فقال: (**جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**) (الشورى:١١)، فمن هذه الآيات وأمثالها تبيّن أن الرجل والمرأة من نفس واحدة، كقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**) (النساء: ١)، فلا فرق بينهما إلا في كيفية تلبيتهما لنداء ربهما.

وسنسلط الضوء على النساء المثاليات اللاتي ذكرهن القرآن أسوة للناس لا للنساء فقط. نعرفهن و نذكر صفاتهن البارزة استنادًا إلى الآيات القرآنية.

الأسوة في القرآن

لغة القرآن هي لغة التخاطب وطريقته هي طريقة الحوار؛ إذن حينما يذكر بعض الضمائر أو الأفعال بصورة مذكرة ليس المقصود هنا الرجال فقط بل يقصد الناس جميعا.مثلًا حينما يقول: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**) (الأحزاب: ٢١)، ليس المقصود من (لكم) خطابًا للرجال فحسب، وإنما هو خطاب لكل الناس. أما من هو الأسوة؟

يقول الراغب في مفرداته: (الأسوة كالقدوة، والقدوة هي الحالة التي يكون

الإنسان عليها في اتباع غيره، إن حسنًا وإن قبيحًا، وإن سارًا وإن ضارًا)[1]، بناءً على هذا التعريف يمكن أن نقول إن كلمة القدوة تشبه الإمام من حيث الاستعمال. فإن الإمام تستعمل للصالح والطالح، كما يقول الله عز و جل: (**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**) (الإسراء: ٧١)، وكذلك قولُ أَمير المؤمنين عليه السلام أيضًا: (فَإِنَّه لا سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى وإِمَامُ الرَّدَى)[2].

يصرح القرآن الكريم ويذكر أربعة نماذج من النساء، اثنتان منهما نموذجان حسنان يقتدى بهما واثنتان سيئان يجب الاعتبار بهما.

القدوة الحسنة

امرأة فرعون

من النساء اللاتي ذكرهن القرآن بصورة خاصة امرأة فرعون (آسية بنت مزاحم)، ذكرها القرآن في نجاة موسى من القتل حينما التقطه آل فرعون وهو رضيع، باقتراحها (**لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**) (القصص: ٩) ولكن ما يهمنا هنا أن القرآن الكريم ضربها مثلًا للذين آمنوا، وعرّفها أسوة! ما يثير الإعجاب حقًا أنها كانت زوجة الفرعون الذي كان يقول: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)، الذي وصفه القرآن بقوله تعالى: (**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**) (القصص: ٤).

إن امرأة هذا المفسد الظالم المتكبر تصبح أسوة لا للنساء فقط بل لكل الناس جميعًا! إذ قال الله تبارك وتعالى فيها: (**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) (التحريم: ١١).

تشير هذه الآية إلى جهات مختلفة نشير

إلى بعضها:

أ: لا يعتبر القرآن امرأة فرعون نموذجًا للنساء المؤمنات، بل يعتبرها نموذجًا للمجتمع الإسلامي وعلى (الذين آمنوا) أن يتأسوا بهذه المرأة، لأن الله لم يقل (ضرب الله للنساء) أو (للنساء المؤمنات)،بل قال: (**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ**)، ثم يذكر القرآن فضائل عدّة لهذه المرأة سنشير إليها لاحقًا.

ب: قول امرأة فرعون، وكيفية دعائها لربها مهم جدًا. فإنها لم تقل (رب أعطني الجنة)، بل قالت: (**رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**)، في الواقع إنّها تريد الله، وتريد الجنة عند الله، وهذا هو الذي يميزها عن سائر الناس الذين يطلبون الجنة فقط. إنها قدّمت (عِندَكَ) على (البيت) وعلى (الجنة)، وهذا يدل على طرافة قولها في طلبها، فأين الجنة التي تكون عند الله والجنة التي تجري من تحتها الأنهار!

جدير بالذكر أن امرأة فرعون بقولها هذا تحقّر قصر فرعون الذي كانت تعيش فيه مع عظمته ولا تحسبه شيئًا، أمام البيت الذي عند بيت الله!

ج: المسألة الأخرى التي تطرقت لها الآية الكريمة، هي التولي والتبرؤ الموجودان في قول امرأة فرعون. إنها تريد تولي الله وقربه، والتبرؤ من فرعون وعمله وقومه الظالمين، وتقول: (**وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**).

من الواضح أن امرأة فرعون لم تطلب النجاة من عذاب فرعون، ولم يكن يشغلها هذا الأمر، بل طلبت النجاة من الوقوع في عمله وهو الكفر والظلم والطغيان وادعاء الربوبية. وهي تتبرأ من كل ظالم.

كما نرى هذه المرأة التي تسأل من الله المسائل الاجتماعية والفردية، أصبحت قدوة بسبب إيمانها بربها وإخلاصها له.

مريم بنت عمران

المرأة الأخرى التي ذكرها القرآن بصورة خاصة هي مريم ابنة عمران. بعد أن مثّل الله للذين آمنوا امرأة فرعون، مثّل لهم أيضًا مريم، إذ يقول: (**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**) (التحريم:١٢)

الواو هنا عاطفة وعطفت الآيتين (١١و١٢). فمريم بنت عمران هي نموذج حسن آخر للناس جميعًا.ذكرها الله تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة، وذكر فضائلها كالتالي:

أ. أحصنت فرجها.

ب. نفخنا فيه (في فرجها) من روحنا.

ت. صدّقت بكلمات ربّها.

ث. صدّقت بكتب ربّها.

ج. كانت من القانتين.

هذه الصفات والفضائل رفعت من مقام مريم وأدت إلى ذكرها في آية مستقلة فلم يذكرها الله تعالى هي وآسية في آية واحدة، وخصّ لها مكانة مستقلة، جدير بالذكر أن فضائل مريم لا تنحصر بهذا القليل بل فضائلها مذكورة في كثير من الآيات القرآنية وفي القرآن سورة باسمها ـ كما نعلم ـ إنّ مريم قبل تولدها منذورة لبيت الله وحينما وُلدت (**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ**)، رغم تأسف أمها بأنها وضعت أنثى، علاوة على هذا؛ زمان إقامتها في المعبد: (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ**

هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (آل عمران: ٣٧) هذه العبادة وهذا الإيمان أثّرا في زكريا وأدّيا به إلى أن يطلب من الله ذرية على كبره وعقر امرأته! **(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)** (آل عمران: ٣٨) في الواقع قد اصطفاها الله من صغرها وأوصلها إلى مكانة تكلمها الملائكةُ وتبشرها باصطفائها وتطهيرها: **(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)** (آل عمران: ٤٢-٤٣).

من البديهي أن هذه المكانة تحتاج إلى التمهيد من قِبَل الشخص نفسه ولا تعطى تلقائية لأنه **(لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)**، فمريم أعدت نفسها لاكتساب هذه الكرامات إلى درجة أن الله تعالى اصطفاها، فأصبحت أمّاً لنبّي وبشرتها الملائكة به.

وإذا أردنا أن نذكر بعض الخصال المذكورة للسيدة مريم في القرآن بصورة موجزة يمكن أن نعدها كما يلي:

أ) ولادتها (آل عمران: ٣٥و٣٦).
ب) إيمانها وكيفية ارتزاقها من جانب الله (آل عمران:٣٧).
ت)تأثيرها في زكريا (آل عمران: ٣٨).
ث) تطهيرها واصطفاؤها (آل عمران: ٤٢).
ج) حديثها مع الملائكة (آل عمران: ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧/ ومريم: ١٧-٢١).
ح) عفتها (آل عمران: ٤٧/ مريم: ٢٠/ التحريم: ١٢/ الأنبياء: ٩١).
خ) تصديقها بكلمات الله وكتبه ورسله (التحريم:١٢/المائدة:٧٥)
د) قنوتها (التحريم:١٢/آل عمران: ٤٣)
ذ) صبرها (مريم: ٢٧-٣٠)

بيان كل من هذه الصفات يحتاج إلى مجال وسيع ومقال فسيح، فقط نشير إلى واحدة منها كنموذج وهي تصديقها بكلمات ربها. ما هي تلك الكلمات التي صدّقتها مريم وبسببها ذكرت في القرآن كامرأة نموذجية؟ يقال إنَّ هذه الكلمات هي الشرائع والفرائض وليست تلك الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه عند هبوطه من الجنة وتاب عليه ربه بسببها كما جاء في القرآن: **(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)** (البقرة: ٣٧)[٣]، وأما ما هو الفرق

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(إِنَّ خَيْرَ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ الْوَدُودُ الْعَفِيفَةُ الْعَزِيزَةُ فِي أَهْلِهَا الذَّلِيلَةُ مَعَ بَعْلِهَا الْمُتَبَرِّجَةُ مَعَ زَوْجِهَا الْحَصَانُ عَلَى غَيْرِهِ الَّتِي تَسْمَعُ قَوْلَهُ وَتُطِيعُ أَمْرَهُ وَإِذَا خَلَا بِهَا بَذَلَتْ لَهُ مَا يُرِيدُ مِنْهَا وَلَمْ تَبَذَّلْ كَتَبَذُّلِ الرَّجُلِ).

الكافي للكليني: ج٥

بين الكلمات والكتب؟ يمكن أن يكون المراد من الكتب، جميع الكتب السماوية التي أنزلت على النبيّين والمراد من الكلمات، الوحي فقط، لا الكتب[٤].

القدوة السيئة

كما تكون القدوة من الصالحات، كذلك تكون من الفاسدات. وكما سلط القرآن الضوء على نموذجين من النساء الصالحات وضربهن مثلا كما تقدم، فإنه يذكر نموذجين للنساء السيئات أيضًا، اللائي جرين في سوح الكفر والطغيان وتمادين في الغيّ والضلالة وتسكعن في الباطل وسكرن في الأوهام ومضين في الفساد. إنهما زوجتا نبي الله نوح ونبي الله لوط عليهما السلام.

امرأة نوح و امرأة لوط

من الملفت للانتباه أن آسية امرأة الطاغية الكافر فرعون تُصبح قدوةً صالحةً، ويضرب الله بها المثل، وامرأة نبي الله نوح عليه السلام وامرأة نبي الله لوط عليه السلام، تصبحان قدوة فاسدة ويضرب بهما المثل أيضًا!!

يذكرهن القرآن من أصحاب الكفر والضلالة ويبيّن الخيانة من الصفات البارزة الموجودة فيهما ويقول: (**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**) (التحريم: ١٠).

المقصود هنا من الخيانة هي الخيانة الرسالية والاعتقادية والثقافية وقد نهانا الله تعالى عن الخيانة لله والرّسول، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**) (الأنفال،٢٧)

الخيانة لله، أي سوء السلوك تجاه الإيمان، والخيانة للنبيّ تعني سوء التعامل مع دينه، وعندما قال الله تعالى في هذه الآية (فَخَانَتَاهُمَا) أي امرأة نوح وامرأة لوط خانتا هذين النبيّين ولم تؤمنا برسالتيهما وأصبحتا نموذجين للناس الكافرين.

علاوة على هذه الآية، يصف القرآن امرأة لوط في بعض الآيات الأخرى بوصف (الغابرين) كالآيات التالية:

أ) (**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**) (الأعراف: ٨٣)

ب) (**إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**) (الحجر: ٦٠)

ت) (**وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**) (العنكبوت: ٣٣)

الخلاصة:

يعرض القرآن أربع نساء كالقدوة، اثنتان منهنّ نموذجان حسنان وهما آسية بنت مزاحم، امرأة فرعون ومريم بنت عمران، والنموذجان السيئان هما امرأة نوح وامرأة لوط، وأهم ما يذكره القرآن من الخصائص البارزة للقدوة الحسنة هي الإيمان والعبودية والإخلاص والعفّة والتصديق بكلمات الله وكتبه، والصفة البارزة في السيئات هي الخيانة لله ورسله■

---

١) المفردات/الراغب الأصفهاني /ص١٨.
٢) نهج البلاغة:ص٣٨٥.
٣) معناشناسى وازكان قرآن (فرهنك اصطلاحات قرآني) صالح عضيمة، ترجمة سيد حسين سيدى، ص٥٢٤.
٤) تفسير نمونه - ناصر مكارم الشيرازي: ج٢٤، ص٣١٧.

قراءات

أمير غزوة مؤتة ((الطيّار)) جعفر بن أبي طالب عليه السلام

طالب علي الشرقي •
باحث وكاتب

ينابيع

قبل الحديث عن ((الطيّار)) جعفر بن أبي طالب عليه السلام، أود أن أخرج عما سار عليه مؤرخو السير ومترجمو الرجال فأذهب أولاً إلى رأس النبع الذي أغنى الإسلام بالأفذاذ من قادة الميادين وسيوف الحق الذين رسّخوا قواعد الرسالة، وأغلقوا منافذ السطو على مقدرات الرعيّة، وبثوا العدل والمروءة وصدق الإيمان والمساواة بين الناس، حتى قلّ مريدوهم وكثر المفترون المتخرصون عليهم طمعاً بحطام الدنيا الفانية، وحباً بالزعامات الزائلة، وإرضاءً للنفوس التي لا تريد نسيان مساوئ الجاهلية والعداء المبني على الحسد والغيرة، وكره القامات السامقة التي تسنمت هامات المجد والسؤدد بالخلق الرفيع والعطاء النافع.

لنقف قليلاً في رحاب نبع الخير سيد البطحاء وزعيم الصحابة المؤمن والمدافع الصلب عن مشروع الدين الجديد، عم رسول الله صلى الله عليه وآله ومربيه أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام، ونسأل المتحمسين للطعن عليه: كم قدّمتم للدين مقابل ما قدم هو وأولاده وأولادهم من تضحيات؟ وكم حققتم من نتائج دخلت في بناء صرح العقيدة؟ أفيكم أو في رموزكم الذين أحطتموهم بكل ما أمكنكم من التعظيم والتفضيل، مثلاً واحداً قبالة أبناء أبي طالب برغم ما اختلقتم وجنّدتم من مال ورجال، واستنفدتم كل أساليب القهر والتنكيل والقتل.. لتثبيت إسلام مَن حارب الإسلام وأسبغتم عليه شرف الصحبة والعدالة. أمّا من حمى الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وآله فتنسبون له الكفر وأنه مات على غير دين الإسلام..

كما تدفعون مقام من قام الدين بجهاده وبذي فقاره ليحل محله مَن ولغ بدماء المؤمنين، وسعّر نيران الحروب، وختم جرائمه بأن سلّم رقاب الرعيّة إلى

نغله الفاجر الخمّير قاتل ابن بنت سيد المرسلين و... و.. ولا نريد الوقوف طويلاً عند هذا المنعطف المظلم من تاريخ الأمّة، بل يحسن بنا الطواف بين مرابع الخير ومنابع النور ومصادر العدل.. وإذا كانت شمس علي أمير المؤمنين عليه السلام قد عمّ نورها الكون بأسره، فلا بأس أن نتنوّر بأخبار شقيقه المجاهد الشهيد جعفر بن أبي طالب عليه السلام، أخبار تستحق الوقوف عندها وتأملها لاختلاف بعض المصادر في ترتيبها والإفصاح التام عن بعض مغلقاتها. والهدف من تجديد ذكرها اعتقادنا بأنّ في التعرض للشخصيات القيادية في مسيرة الرسالة الإسلامية دروساً تؤسس لبناء جيل يراد منه أن يحمل بعض صفات البهاليل الذين لم تستطع القرون من إخفاء آثارهم، لا لكونهم يتصلون بمن يحميهم من النسيان بل لعطائهم الذي لم تخمد جذوته، ومنهم أبو عبد الله جعفر بن أبي طالب، وأمّه فاطمة بنت أسد مفخرة الهاشميات ومن أوائل المسلمات وأول المهاجرات إلى المدينة مشياً على الأقدام، والتي عوّضت رسول الله صلى الله عليه وآله رعاية أمه وحنانها فكان صلى الله عليه وآله يدعوها أميّ.

ويكنّى أبا المساكين؛ يقول ابن عنبة النسّابة:.. لرأفته عليهم وإحسانه لهم[1] ولم يزد على ذلك. فليس كل الرؤفاء بالمساكين تُطلق عليهم مثل تلك الكنية إلاّ أن تكون عنواناً بارزاً في سلوكهم متصلاً بروحهم لا يريدون الرياء والسمعة بقدر ما يريدون الإحساس بالمشاركة الوجدانية المنبعثة من الخلق الموروث لهذا البيت الطيّب.

وفي ولادته ما يدعو إلى التأمل، فهو ثالث أولاد أبي طالب بعد طالب وعقيل ويأتي بعده علي عليه السلام وبين مولود وآخر عشر سنين.

وهنا يكمن الاستغراب بخصوص الفواصل الزمنية الثابتة بينه وبين إخوانه ولم تجد خلافاً بين المؤرخين في ذلك. فهل هي معجزة حصلت قبل الإسلام لهذا البيت خاصة؟ أم هي كرامة محجوبة السبب؟ وهل لها مصداق في مواليد الناس الآخرين؟ أم هي حالة لا تفسير لها ربما ألصقها الرواة وتسالم عليها المؤرخون؟.

فقد روي أن أول نزول لجبرئيل لتبليغ الرسالة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، كان فيها رسول الله نائمًا في الأبطح بين علي وجعفر فنزل جبرائيل ومعه ميكائيل، فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، ولم ينبهه جبرئيل إعظامًا له، فقال ميكائيل لجبرئيل: إلى أيهم بعثت؟ قال: إلى الأوسط....[2]، فسؤال ميكائيل لجبرائيل: إلى من بعثت ؟- وهو الملك المقرب من الله سبحانه، إنما يدل على منزلة علي وجعفر عليهما السلام، لأنه لم يستطع أن يميز أيهم الرسول الخاتم.

وحين مرّ أبو طالب ومعه جعفر، فشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي وإلى جانبه علي عليه السلام يصلّي فقال أبو طالب لجعفر: ((صِلْ جناح ابن عمك))[3] وهذا الخبر تجاوز حد التواتر، وأن جعفراً أسلم بعد علي عليه السلام مباشرة، وقبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم[4] أمّا اليعقوبي في تاريخه فيروي عن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي أن جعفراً أسلم في يوم الدار[5] وهذا الخبر لا يصمد أمام الخبر الذي نال مرتبة الإجماع..

ومن صفات جعفر عليه السلام أنه نقي العقيدة لم يخامره شك أو شرك، ولا مرّ في وجدانه غير نور التوحيد، وقد ورث عن آبائه الحنيفية ودين إبراهيم عليه السلام وتقديس

الكعبة بصفتها بيت الله العتيق لا لكونها بيتاً لوثن أو صنم. وكان من أصلب المؤمنين الذين تحملوا غطرسة جبابرة الكفر والضغط الأموي وتجّار قريش وجهّالهم.. وكان على رأس الهجرة الثانية لأرض الحبشة وكانت قيادته للمسلمين في مملكة النجاشي ناجحة، وهو الأكبر شأنًا والأشرف نسباً والأفقه قولاً والأقدر حجة حتى أقنع النجاشي بصواب طروحاته وأفحم خصمه باقتداره المستند إلى كتاب الله المجيد، وبهذا كسب صديقاً كان القريشيون يعوّلون على علاقاتهم به فخسروه برغم ما جلبوا له من الهدايا النادرة والتي تضاءلت أمام كلام الله جل جلاله ونور الإسلام العظيم.

وسكن جعفر في الحبشة وتزوج وأنجب جميع أولاده فيها[٦] ثم عاد عليه السلام إلى المدينة المنوّرة عند فتح خيبر، فسُرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد ورد في فضل جعفر أحاديث نبوية شريفة منها ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني وابن عبد البر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح خيبر، قدم جعفر من الحبشة فلزمه رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يقبّل بين عينيه ويقول: ((ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر)) وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((خير الناس حمزة وجعفر وعلي)) وفي تفسير الشيخ الجليل فرات بن إبراهيم الكوفي: ((... وجعفر ذو الجناحين والقبلتين والهجرتين والبيعتين، من الشجرة المباركة، صحيح الأديم وضاح البرهان))[٧].

غزوة مؤتة:

لم يكن من السهل إثارة السؤال الذي ينضح غرابة حين النظر إلى كيفية صدور الأمر بتوجّه ثلاثة آلاف مقاتل إلى صقع بعيد عن الإمدادات قبالة أكثر من مائة ألف من مقاتلي الروم والعرب الغساسنة، فللّه ولرسوله الأمر أولاً وآخراً.. والسبب الذي كان وراء الغزوة هو خرق العرف ومخالفة السنن التي كانت متّبعة في حينها بعدم قتل الرسل والمبعوثين، وقد حصل أن بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الحارث بن عمير الأزدي في سنة ثمان إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ قال: الشام، قال: لعلك

ضريح الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب عليه السلام
الملقب بالطيّار في منطقة مؤتة جنوب مدينة الكرك في الأردن.

من رسل محمد؟ قال نعم، فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدّمه فضرب عنقه صبراً.. وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فاشتد عليه، وندب الناس وأخبرهم بقتل الحارث، فأسرعوا وخرجوا فعسكروا بالجرف فلما أجمعوا المسير عقد رسول الله لهم اللواء.. وهنا اختلف المؤرخون في الأمير الذي تسلم الراية، فاليعقوبي يقول:.. وروى بعضهم أنه قال: أمير الجيش زيد بن حارثة، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحه، فإن قتل عبد الله فليرتض المسلمون مَن أحبوا. وأضاف اليعقوبي قائلاً: وقيل بل كان جعفر المقدم ثم زيد بن حارثة ثم عبد الله بن رواحة[٨] وفي تعقيب هامشي يقول مصحح كتاب عمدة الطالب المرحوم السيد محمد حسن الطالقاني: في تقديم زيد أميراً على جعفر: ينافيه جلالة جعفر وحزمه وإصابته في الرأي وبسالته ومثله لا يتقدم عليه أحد[٩] ويؤيد هذا الرأي ابن أبي الحديد المعتزلي ويشفعه بالشواهد الشعرية فيقول:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا
وزيد وعبد الله حيث تتابعوا
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم
أغرّ كضوء البدر من آل هاشم
بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
جميعاً وأسياف المنيّة تقطر
إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أبيٌّ إذا سيم الظلامة أصعر

وكذلك قول كعب بن مالك الأنصاري:

ساروا أمام المسلمين كأنهم
اذ يهتدون بجعفر ولوائه
حتى تقوضت الصفوف وجعفر
طودٌ يقودهم الهزبر المشبل
قدام أولهم ونعم الأوّل
حيث التقى جمع الغواة مجدّل[١٠]

وقبل بدء المعركة غير المتكافئة ظهرت بوادر ردّة الفعل السلبية التي أحدثتها الجموع الهائلة من مقاتلي الروم وحلفائهم في نفوس المقاتلين المسلمين، فأقاموا

ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله فنخبره، فإما أن يردّنا أو يزيدنا رجالاً... مما دعا عبد الله بن رواحة إلى أن يشجعهم بقوله: ما كنّا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا كثرة سلاح ولا كثرة خيل إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به... إنما هي إحدى الحسنين...[11]

قال الزهري لقد كان قتال جعفر شديداً، ثم اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل، وكان أول رجل من المسلمين عقر فرسه في الإسلام[12] قاتل حتى قطعت يده اليمنى فأخذ الراية بيده اليسرى ولما قطعت اعتنق الراية إلى صدره حتى قتل[13] قال الواقدي: روى نافع عن ابن عمر أنه وُجد في بدن جعفر بن أبي طالب اثنتان وسبعون ضربة وطعنة.. وقال البلاذري: قطعت يداه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنّة ولذلك سُمي ((الطيّار))[14] وكان عمره يوم قُتل ٤١ سنة [15].

مرقد جعفر الطيار عليه السلام:

مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام على اثني عشر ميلاً من أذرح وهي ضيعة تعرف بـ (مؤتة)، بها قبر جعفر بن أبي طالب عليه السلام [16] وورد أن العاهل الأردني عبد الله الأول بن الحسين أمر بإعمار قبر جعفر وقبر زيد وقبر عبد الله، وكل قبر يبعد عن قبر صاحبه مائة كيلو متر[17] ولا أظن أن مساحة المعركة تتحمل مثل هذه المسافات والأرجح أن ثمة خطأ في النقل أو في الطبع. وينقل السيد عبد الرزاق المقرم عن الشريف عبد الله المحامي في المحكمة الشرعية في عمّان أنه بأمر الأمير عبد الله عاهل المملكة الأردنية سنة ١٣٨٦هـ نزل إلى القبر فرأى بدن جعفر الطيّار... لم يتغير من بدنه شيء[18] أمّا ابن عنبه فيقول: ودفن جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة في قبر واحد وعمي القبر[19] بينما يقول محمد حسين هيكل في كتابه محمد ص٣٧٨: وفي رواية أن جثة جعفر حملت إلى المدينة ودفنت بعد ثلاثة أيام من وصول خالد بن الوليد والجيش إليها[20].

والذي عليه أغلب المصادر إن قبر جعفر بن أبي طالب عليه السلام في مؤتة... مشيّد عليه قبّة قديمة وله حرم وإلى جنبه مسجد [21]■

المصادر:

١) عمدة الطالب.. ص٣٥
٢) رواه الفتال النيسابوري في روضة الواعظين/ ص٥٢.. المناقب لابن شهراشوب: ج١، ص٤٣.. حلية الأبرار/هاشم البحراني ج١،ص٧٠.. تفسير القمي ج٢ص١٣... وغيرهم
٣) تقويم الشيعة ص١٣١ عن أمالي الصدوق.
٤) المصدر السابق.
٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١.
٦) عمدة الطالب ص ٢٢٨.
٧) محمد حرز الدين / مراقد المعارف ١: ٢٢٦.
٨) تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٤.
٩) عمدة اطالب ص٣٥.
١٠) شرح نهج البلاغة ١٥: ٦٢-٦٣.
١١) المصدر السابق: ١٥: ٦٧.
١٢) تقويم الشيعة: ص١٢٩.
١٣) عمدة الطالب ص٣٥.
١٤) شروح نهج البلاغة ١٥: ٦٧.
١٥) مراقد المعارف ١: ٢٢٤ عن الاستيعاب والعمدة.
١٦) المصدر السابق.
١٧) المصدر السابق ١: ٢٢٥.
١٨) المصدر السابق.
١٩) عمدة الطالب: ص٣٦.
٢٠) مراقد المعارف١: ٢٢٦.
٢١) المصدر السابق١: ٢٢٤-٢٢٥.

ثلاثيات العبادة

الصلاة عند أمير المؤمنين عليه السلام

السيد أحمد نوري الحكيم
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

ليس من اليسر أن تكون هنالك صلة بين العبد وخالقه، لما هنالك من البون الشاسع. بل لا يمكن القياس بين رب الأرباب وخالق الكون وبين العبد الضعيف الذي لا يملك قواه التي تساعده في قوام عوده.

فقد تفضل رب العالمين على عباده أن تكون لهم وسيلة اتصال ومن دون حجاب أو وسائط بحيث تمنعهم من مناجاته.

وهذه الوسيلة هي الصلاة التي عبر عنها القرآن الكريم في عدة آيات بأنها: (**تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**) (العنكبوت: ٤٥)

وذكر عباده بالمحافظة عليها بقوله تعالى: (**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**) (البقرة: ٢٣٨)

ونبههم بعدم إنكارها قال تعالى: (**أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**) (مريم: ٥٩)

والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نهج على خطى القرآن الكريم كي ينبه المسلمين إلى أن الصلاة هي الوسيلة الوحيدة التي تظهر معالم الإسلام فقد قال عليه السلام:

(تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاة وحَافِظُوا عَلَيْهَا، واسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا: (كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَاب أَهْلِ النَّار حِينَ سُئِلُوا: (**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**)، وإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَق، وتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَق، وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله بِالْحَمَّة تَكُونُ عَلَى بَاب الرَّجُل، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْم واللَّيْلَة خَمْسَ مَرَّات، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْه مِنَ الدَّرَن! وقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ

مَتَـاعٍ ولَا قُـرَّةُ عَيْنٍ، مِنْ وَلَـدٍ ولَا مَالٍ، يَقُـولُ اللهُ سُـبْحَانَهُ: (**رِجَـالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الـزَّكَاةِ**)، وكَانَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وآله نَصِبـاً بِالصَّلَاةِ، بَعْدَ التَّبْشِـيرِ لَه بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَه: (**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِـرْ عَلَيْهَا**)، فَكَانَ يَأْمُـرُ بِهَا أَهْلَهَ ويَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَه[1].

إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى عدة أمور، أهمها:

أولًا: تعاهـد الصـلاة لأن العهد الذي قطعه بأن يكون مسـلمًا لابـد أن يترجم ذلك العهد على صعيد الواقع الخارجي، فكانت الصلاة هي أفضل السـبل لإظهار ذلك المظهر الذي يدل على عمق العلاقة بين الإنسان وخالقه.

ثانيًا: عدم تخلف المرء عن عهده لأن ذلـك يوجـب الخلل في ذلـك العهد مما يؤثر في سـلوك الإنسـان لما يجلبه من الويلات، لأن ذلـك يُعدّ من النفاق الذي حـذّر منه القـرآن الكريم بقولـه تعالى: (**كَبُرَ مَقْتًـا عِنْـدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**) (الصف: ٣)

ثالثًا: استمرار وسـيلة الاتصال بين العبـد وربه في السـرّاء والضـرّاء وفي الشـدّة والرخـاء، وبذلك تـذوب هناك الموانع التي تكون حاجزة بينهما.

رابعًا: الامتثال لأوامره تعالى من دون أدنى شـك حسـبما ناجى تعالـى بكلماته الصادقة.

خامسًـا: العبادة مخصوصة به تعالى ولا يمكن للعبـد الفقير أن يعبد سـواه، لأن ذلك مدعاة إلى الإشراك وهذا ينافي ادعاء العبد بأنه لا يعبد سواه كما في قوله تعالـى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ**)،

وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ).

المحافظة عليها:

لعل من أهم التعاليم الإسلامية هي المحافظة على أداء الصلاة، ومن مقومات الأداء هو تحري أدائها في أول أوقاتها وعدم التهاون أو إهمالها بحيث يوجب تركها على مرّ الزمان. كما أن من أركان الصلاة أداء الوضوء بأحسن صورة حسبما طلبته الشريعة الإسلامية المقدسة.

ولا نغفل عن التفاعل الحقيقي مع الصلاة بحيث تكون جميع الجوارح في حالة الهيبة والخوف أمام من يؤدى إليه الصلاة، كما لا يغفل عن أن تكون نية عمله خاضعة لواحد أحد فقط.

الاستكثار منها:

الإمام أبو الحسن عليه السلام يوجه كل من يسمع نداءه إلى الإكثار من الصلاة وذلك لما لها من منفعة تدر عليه، ومن **أولاها:** هي ذهاب الذنوب ولا يبقى لها أثرٌ يذكر نتيجة المعاملات التي شابتها السيئات فكانت أهم فرصة لإزالتها هي وجود ذلك الارتباط الروحي كي يذكره بالعبودية وعدم اقتراف الذنوب كرة أخرى، ولذا فإن الإمام عليه السلام شبهها بالريح التي تهب على الأشجار بحيث لا تصمد أوراقها.

وثانيها: أن الإكثار من الصلاة يجعل المرء في حالة ذكر ولا يغفل عمن أوجده بعد أن لم يكن شيئا مذكورًا.

ثالثها: أن الإكثار منها يؤدي إلى ضمان عمل مذخور يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، ويوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت.

رابعها: أن الإكثار منها يجعل المرء يشتاق إلى ربه كي يناجيه في كل وقت ولا يقطع رجاءه ويتفضل عليه بكافة أنواع الفضل.

الكتاب الموقوت:

أمير المؤمنين علي عليه السلام يشير إلى أن الشريعة المقدسة قد حددت للصلاة أوقاتًا خاصة مما يجعل للمرء فرصة سانحة لأداء بقية أعماله الدنيوية ويفكر فيما يصبو له.

ولذا فإن وقت الصلاة لما كان لها وقت محدود جعل المسلمين في سعة من أمرهم ولا تشغلهم تلك العبادة طوال يومهم بحيث يؤدي إلى العسر والحرج، وهنا يؤكد الإمام عليه السلام ما ذكره القرآن الكريم: **(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)** (النساء: ١٠٣)

قال الإمام عليّ عليه السلام:
اللّه اللّه في الصَّلاة، فَإنَّها خَيرُ العَمَلِ، إنَّها عَمودُ دينِكُم.
الكافي ج٣ ص٣٠٠

ونبه الإمام عليه السلام على أهمية الوقت لأن كل صلاة لم يؤدها المرء فإنه كان عنها مسؤولًا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

ولذلك كان للوقت أهمية في حياة الإنسان كي يستغله بالمنافع ولا يسرف بالملذات واللهو ويهمل أداء ذلك الواجب المهم الذي يمكنه من إنقاذ نفسه في يسر وعافية.

آيات للتذكير:

إن الإمام أبا الحسن عليه السلام يذكر عباد الله بما للصلاة من مواقف:

الأول: هو أن تارك الصلاة يسأل عنها يوم الجزاء كي يجازي كل امرئ بأعماله، ومن ذلك فإن الإمام عليه السلام قد ذكر أهل النار وسبب دخولهم النار فقال عليه السلام: (ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: **(ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)** (المدثر:٤٢-٤٣).

الثاني: مدح المؤمن الذي يقبل على صلاته وهو يقف في شغف إليها ولم يلهُ عنها بتجارة ولا مكسب، فقال عليه السلام وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرة عين من ولد ولا من مال، يقول تعالى: **(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)** (النور: ٣٧)

أمثال:

إن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر للصلاة دوافع عسى أن تجد لها وعياً وفكرًا يتدبرها وأهمها:

١- أن الذنوب تتهاوى أمام هذا العمل العظيم وقد أفصح الإمام علي عليه السلام خير مثال لذلك أوراق الشجر حينما تتهاوى نتيجة الرياح العاتية وكذلك الذنوب تتهاوى أمام هذا العمل، فكان عليه السلام يقول: وإنها لتحُت الذنوب حتّ الورق.

٢- الحرية التامة للمرء بعدما قيدته الذنوب وجعلته مكبلًا بأغلالها نتيجة أعماله وعبر عنها عليه السلام: وتطلقها إطلاق الربق.

٣- النظافة من القذارات التي تعلق به نتيجة سوء اختياره وقد أصاب الغرض حينما عرض كلام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله (وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن).

الزكاة

إن الإسلام دين يهتم باقتصاد المسلمين، ولذا يحاول دائمًا أن يجعل المسلمين في حالة رخاء وسعة من الرزق الحلال، ونتيجة لذلك فإن الإسلام فرض على المسلمين الزكاة من قبل الأغنياء كي لا يعيش الفقراء في ذُلّ وهوان فكان لهم من ذلك نصيب.

قَالَ الإمام الصادق عليه السلام:
كَانَ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّه سَاقُ شَجَرَةٍ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْه شَيْءٌ إِلَّا مَا حَرَّكَه الرِّيحُ مِنْه).
الكافي ج٣ ص٣٠٠

والإمام عليه السلام جعل للزكاة أهمية لا تقل نصيبًا من الصلاة ولأجل ذلك فمن يؤدها عن طيب نفس بحيث لا يتبع معها الحقد والحسد وذل الآخرين.

ومن أهمية الزكاة هي الحاجز عن النار يوم القيامة، فلا يمسه الأذى. كما تكون كفارة للذنوب التي اقترفها.

تنبيه

أمير المؤمنين عليه السلام شدد على عدم الاهتمام بالأموال التي تخرج من تحت سلطانه إلى إخوانه، كما لا يبلغ به الحال إلى أن تتلهف نفسه إلى استرجاعها على المدى القريب، وبذلك فقد أساء الأمل المنشود الذي قد يدفع عنه أنواع البلاء والضراء والسيئات عنه، ولذا لم يعرف مغزى أهمية الإعطاء ولا طيب نفسه مع الإعطاء، بل ذهب الأجر المأمول أدراج

الرياح.

الأمانة

ليس من اليسر أن يؤدي المرء الأمانة حق أدائها، لما لها من مسؤولية تقع على عاتقه، ولذا من أهم أسباب حفظ الأمانة أن يسلك السبل القويمة التي من شأنها حفظها بحيث لا يؤدي إلى إتلافها أو خيانتها.

وقد حث القرآن الكريم على أهمية الأمانة في عدة آيات: قال تعالى: **(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)** (المؤمنون: ٨)

وقال تعالى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)** (الأحزاب: ٧٢)

وقال تعالى: **(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)** (النساء: ٥٨)

وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** (الأنفال: ٢٧)

ومن منطلق القرآن الكريم فإن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد وضع ركيزة الأمان وهي صيانتها وأدائها، فإن من لم يؤد حقها فقد خسر خسرانًا مبينًا، وقد بيّن الإمام عليه السلام سبب الخسران وذلك:

لأن الأمانة لما كانت صيانة من المتغيرات التي تحدث فلم تكن السموات تتحمل تلك الأمانة، كما أن الأرض التي يطرأ عليها كثير من المتغيرات قد رفضت تلك المسؤولية، ولم تكن الأرض بأشد من الجبال ذات الصلابة لكنها أبت أن تكون في عاتقها لما يطرأ عليها من الانهيارات فتكون معرضة للعقوبة وحينئذ لا يمكن أن تتحمل تلك العقوبة.

إلا بنو البشر فقد قبلوها وهم أضعف من كل هذه الموجودات لما يجهلونه من العقوبة وسوء التدبير.

بيان

إن الإمام عليه السلام أوضح أن علمه تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا وفي كل مكان، فينبغي للمرء أن يفكر في الأمانة وكيفية أدائها، فلا يمكن أن يفكر بمعزل عمن خلقه وعمن يحاسبه عن كل صغيرة وكبيرة خصوصًا وأن هنالك من يشهد على فعله من جوارحه حينما تشهد له أو عليه بأداء الأمانة أو خيانتها كما قال تعالى: **(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** (يس: ٦٥).

ومن ذلك أن ضميره الذي كان دائمًا يوسوس له بالخيانة هو نفسه سوف يكون أكبر دليل عليه يشهد عليه، وما خلواته التي يحاول أن يقتنص الفرصة السانحة كي ينقض على فريسته كي يتمتع بها من دون وازع ديني أو خُلقي هو السبب الحقيقي الذي يظهر سوء عمله، وقبح فعله.

ولا يحاول أن يظهر الأعذار بعد ما أباح لنفسه الموبقات لأن ذلك الوقت لا يمكن أن تقبل الأعذار ولا يتغافل عنها.

وهذا قد يكون مما دفع الإمام عليه السلام أن يشدد على أهمية الصلاة والزكاة والأمانة علائم هامة في حياة بني الإنسان.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين■

---

١) نهج البلاغة – جمعه الشريف الرضي – خطبة ١٩٩ – ص٣٤٤-٣٤٥

دور الرسول صلى الله عليه وآله في إرساء مفهوم التوحيد

أ.م.د خليل خلف بشير •
كلية الآداب - جامعة البصرة

ينابيع

لقد حرص رسول الله صلى الله عليه وآله على توحيد الناس تحت شعار (لا إله إلا الله) انطلاقاً من كون رسالته عالمية تهدف إلى هداية الناس جميعاً معتصمين بحبل الله مبتعدين عن النفاق والشقاق والتشرذم والتفرقة في ما بينهم بواسطة نعمة الإيمان، وفي ذلك يقول تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) (آل عمران: ١٠٢-١٠٣)، والملاحظ أنّ الخطاب القرآني خطاب عام وشامل لكل زمان ومكان ولكل الفئات في المجتمع، فالخطاب فيهما كان شاملاً لكل من كان في عهد الرسول صلى الله عليه وآله كما أنه يشملنا، والدليل لفظة (جميعاً) الشاملة لكل أفراد المجتمع في كل زمان ومكان ليجتمعوا على حبل الله الذي يربط بين طرفين، وهو من أبدع التعابير القرآنية فكل ما يوصل إلى الله فهو حبل الله مهما تعددت أو اختلفت تفاسير (حبل الله)[1] على أنّ الناس قبل الإسلام كانوا على حافة الهاوية لما يمارسونه من موبقات ورذائل، ومن أبرز ذلك: الميسر، وشرب الخمر، والاستقسام بالأزلام، والنسيء، والربا، ووأد البنات، فكانت سحب الجاهلية الداكنة تغطي سماء الجزيرة العربية، والمجتمع يسير في منحدر خطير فليس بينهم وبين الموت إلا غشاء رقيق ومسافة قصيرة إلى أن ولد المصطفى فلم يمضِ زمن طويل إلا وملأ هذا الوليد المبارك أرجاء العالم نورًا وهدىً، وأسس حضارة إنسانية عظمى في كل المعمورة [2]، وقد وصف القرآن الكريم المجتمع الذي بُعث فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه مجتمع الأميين في قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ**

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (الجمعة: ٢)، وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الكلمة فقيل: إنه نسبة إلى أم القرى التي هي مكة[٣] أو إن المراد من الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة[٤] أو يراد منهم الذين لم يعرفوا الرسالات والنبوات والكتب[٥]، وكل هذه المعاني التي يذكرها المفسرون تجتمع في نقطة واحدة، وهي أن هذا المجتمع كان مجتمعاً متخلفاً من الناحية الثقافية والفكرية، وكان بعيداً عن وحي السماء وهدايتها وبعيداً عن الرسالات والكتب على أقل تقدير إن لم يكن أشدّ تخلفاً من ذلك[٦] على أنّ الإسلام حرّم هذه الموبقات التي كانوا يمارسونها، وأراد منهم أن يسيروا في درجات الكمال من خلال الدعوة إلى الألفة والمحبة والوئام والتواد والتراحم والتعاطف بين الأمة، لأنّ قوة الأمة تكمن في وحدتها وانصهار بعضها ببعض، على أنّ المهمة التي أُنيطت بالنبي محمد صلى الله عليه وآله مهمة خطيرة لتكوين أمة مثالية تتكون على مقتضى الأصول الاجتماعية القويمة، والمبادئ الأدبية الكريمة، وهذه المهمة الخطيرة ما كان الله ليعهد بها إلا إلى رجل منحه شخصية تدرك قيمة ما يوحى إليه من أصول العلم وأسرار الحكمة، رجل يستطيع بقوة إرادته وحسن قيادته أن يجمع بين القلوب المتنافرة والنفوس المتناكرة، رجل وُهب من الذكاء وسعة المدارك ما يعرف به مكان اللين والشدة من النفوس، رجل حاضر البديهة ثاقب البصيرة استطاع بجميع الصفات التي يمتاز بها كبار القادة وأفذاذ العباقرة أن يؤدي الرسالة العامة التي عُهد إليه بها

على أكمل ما يمكن أن يكون من نجاح وبُعد أثر[٧] لذا قيل فيه: (إنّ رجلاً مثل محمد لو تسلّم زمام الحكم المطلق اليوم في العالم كله لتمّ له النجاح في حكمه، وقاده إلى الخير وحلّ مشاكله بوجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة)[٨]، وكذا قيل: (إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إنّ محمداً كان أعظم عظماء التاريخ)[٩] فقد استطاع أن يستقطب عدداً كبيراً من عبدة الأصنام والمشركين والملحدين، ومن اليهود والنصارى أفواجاً وجماعات، ولم يكن هذا الاستقطاب معجزة وعملاً غير طبيعي بل كان نتيجة طبيعية لنهج وطريقة وأسلوب نبي الإسلام، فقد أحصى المؤرخون عدد الداخلين في الإسلام فكانوا زهاء مئتي شخص في مكة خلال مدة ثلاث عشرة سنة، أما في المدينة وخلال سنتين أو ثلاث سنوات فقد دخل مئات الألوف من الناس في الإسلام[١٠]، وقد نطق القرآن الكريم بذلك فقال: **(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا)** (النصر:١-٣)، وقد عمل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله طوال مدة حياته على توحيد المجتمع الإسلامي ورص صفوفه وتقويته وتقويمه من خلال دعامتين رئيسيتين هما: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة[١١] فقد اقترنت عقيدة التوحيد بالوحدة الإسلامية إذ اشتهر عن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء قوله: (إن الإسلام يرتكز على دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة)[١٢] فكلمة التوحيد هي الشهادة على أنه لا إله إلا الله ونفي ألوهية وربوبية كل موجود سواه، وتوحيد الكلمة هي الاعتصام بحبل الله المتين والنهي عن التفرق والتشتت وراء مسائل هامشية لا تمس - في كثير من الأحيان - جوهر الإسلام، ولو بحثنا في سيرة النبي صلى الله عليه وآله العملية للمسنا منها اهتماماته الكبيرة بتوحيد الكلمة ولم الشمل، فإن الوحدة هي دعامة القوة والرفاه ونيل السعادة، كما أن التفرقة هي بؤرة الضعف والشقاء والاندحار، ويمكن إيجاز ما قام به النبي صلى الله عليه وآله في هذا الصدد[١٣]:

أ. المؤاخاة بين الأوس والخزرج بعد أن كان بين الطائفتين قبل اعتناق الإسلام حروب طاحنة أسفرت عن مصرع العديد منهم وكانت البغضاء والعداوة متفشية بينهم، وفي تلك الظروف رأى النبي صلى الله عليه وآله ضرورة رأب الصدع وتقريب الخطى بين القبيلتين بل جعلهما أخوين متحابين ومتراحمين فأول خطوة قام بها هي التآخي بينهما حسما لمادة الخلاف ونسيان الماضي.

ب. وكذا المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبين المهاجرين بعضهم مع بعض، وبين الأنصار بعضهم مع بعض.

وتعبّر الوحدة الإسلامية أطروحة عن هدف أيديولوجي وزمني مقدس كما أنها أطروحة شاملة ذات أبعاد متعددة فهي تتعدى الجانب المذهبي فتستوعب مختلف جوانب الحياة الإسلامية: ثقافية وسياسية واجتماعية..إلخ، فثمة وحدة ثقافية وسياسية واجتماعية ووطنية[١٤] فضلاً عن ذلك هي قاعدة القوة للمسلمين ومنطلق التقدم والتحرر والإبداع في العالم الإسلامي كله من أجل أن يكون الإسلام قوة عالمية كبرى تسهم في

صنع مستقبل العالم بأسره، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال الاعتصام بحبل الله، قال تعالى: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**) (آل عمران: ١٠٣) فحبل الله هو الطريق الذي يؤدي بنا إلى وحدة الصف والكلمة لجميع المسلمين، ولا يكون ذلك إلا من خلال طاعة الله والتسليم له وطاعة رسولهﷺ، والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، قال تعالى: (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**) (الأحزاب: ٣٦).

أسس التوحيد في المجتمع الإسلامي:

١ـ الإيمان بالله الواحد، وما يستلزمه من الإيمان بالغيب والملائكة والكتب والأنبياء واليوم الآخر يمثل أهم الأسس التي تقوم عليها الوحدة في المجتمع الإسلامي؛ لأن نظرية التوحيد نظرية وحدوية فالأمة واحدة والناس والمخلوقات جميعها تخضع وتسبّح بحمد الواحد الأحد[١٥] الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

والتوحيد الكامل إحدى الخصائص المميزة للرسالة الخاتمة فالرسالات كلها جاءت بالتوحيد لكن الرسالة الإسلامية تميزت بميزات جعلت التوحيد قضية حية تعيش مع الإنسان في كل حركة من حركاته، وفي كل موقف من مواقفه، وفي كل فعل من أفعاله، وفي كل ممارسة من ممارساته،وهذه القضية ليست قضية عبادة فحسب كما كان يصنع المشركون في زمن الرسولﷺ، إذ كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ويشركون بالإله ويعددون الآلهة، إنما هي قضية تنطلق من الالتزامات، وتنعكس على سلوك الإنسان العبادي وغير العبادي فالموحد له سلوك وموقف معين، وله أخلاق معينة وحالة تختلف تماماً عن غير الموحد[١٦].

وما بُذرت بذرة الإسلام إلا على الوحدة والتوحيد، وظهرت دعوة رسول الإسلام ودعايته، وليس بين شفتيه إلا كلمة (لا إله إلا الله)، ويحمل على يديه كتاب الله وما فيه من دعوات إلى الوحدة والتوحيد (**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**) (فصلت: ٤١)، شاء الله لنبيه أن يكون خاتم الأنبياء كما شاء الله لنبوته أن تكون خاتمة النبوات فيكون دينه مسك الختام للأديان، وشريعته بقية السلف لتلك الشرائع المقدسة السالفة، وما سر ذلك إلا أن دين محمد يتفق مع كل عصر، ويتلاءم مع كل حياة فهو باق ببقاء العصور، خالد ما خلدت الحياة فدينه دين الوحدة في العقيدة والاتجاه، وفي الفكر والعمل؛ لأنه ما جاء إلا بدعوة الاعتقاد بأنّ خالق الكون ومدبره، والمهيمن على الكائنات، والمسيطر على الموجودات إله واحد هو الفاعل الكامل، والغني المطلق، والمتصرف القدير، يرقب النيات، ويحكم الضمائر،يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ليس مع أمره أمر ولا دون حكمه حكم لذا سار الإسلام سيره وسيرته هذه في الفكرة والعقيدة، وسار مع هذه الفكرة والعقيدة عملاً وتطبيقاً فأراد الإسلام الوحدة في كل شيء: الوحدة في التضامن والتعاون، وفي الواجبات والحقوق فالمسلمون جميعاً في نظر الإسلام سواء، وما للأمة الإسلامية والخلاف والاختلاف، ودينها واحد، ونبيها واحد،وكتابها واحد،

وقبلتها واحدة[١٧].

٢ـ الطاعة للرسول: تعد الطاعة للرسول صلى الله عليه وآله والالتزام بأوامره وتعليماته وأحكامه واتّباع مواقفه وقراراته السياسية والاجتماعية في الدرجة الثانية من الأهمية في تحقيق وحدة المجتمع الإسلامي فضلاً عن الآثار الروحية والمعنوية التي تترتب عليها، وتنبع هذه الأهمية من مجموعة من العلامات والمنطلقات العقائدية والأخلاقية والمصالح السياسية والقضايا الاجتماعية فالرسول صلى الله عليه وآله يمثل جانب الإمامة إلى جانب النبوة والبلاغ فهو المبلغ للرسالة والناطق بالوحي، وله دور عظيم في توحيد المجتمع الإسلامي، وحل النزاعات والخلافات فيه بجعلهم أمة واحدة بالرغم من اختلاف أزمنتها وتاريخها ولغتها وأمكنتها، وترابطها في العقائد والمفاهيم والأهداف والغايات والوسائل ؛لأنها كانت تعبد الإله الواحد، وتؤمن بكتبه ورسالاته[١٨]. قال تعالى: **(إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)** (الأنبياء: ٩٢)، وقال أيضاً: **(وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)** (المؤمنون: ٥٢) فقد خوطب المسلمون بأنهم أمة واحدة في ظل ربوبية واحدة، والأمة جماعة يتبعون إماماً فالجماعة المشتتة الذين ليس لهم إمام لا يقال لهم أمة فمن هذا المنطلق تختص هذه الكلمة بأهل الأديان والنحل فأتباع كل نبي أمة برأسها كأمة موسى، وأمة عيسى، وأمة محمد صلى الله عليه وآله[١٩].

٣ـ رعاية القائد للأمة: لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله بخلقه العظيم وأدبه الرسالي قادراً على قيادة الأمة مما يؤهله بهذا المنصب للقيام بدور كبير في تحقيق الوحدة بين المسلمين فقد تحولت العلاقات بين الراعي ورعيته من علاقات جامدة وجافة إلى علاقات روحية وعاطفية تتسم بالطراوة والحب والمودة والمشاعر الإنسانية الطيبة، بحيث تكون قادرة على تحقيق آثارها في حفظ الوحدة واستمرارها وبقائها، وهذا ما ألمع إليه التنزيل العزيز في كثير من آياته فهو لين لا فظ ولا غليظ في قوله تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** (آل عمران: ١٥٩)، وهو ذو الخلق العظيم في قوله تعالى: **(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)** (القلم: ٤)، وهو رؤوف رحيم في قوله تعالى: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)** (التوبة: ١٢٨)[٢٠].

لذا كان الرسول صلى الله عليه وآله إنساناً له مواصفاته الأخلاقية، وله علمه واتصاله بالله تعالى، كان يتحرك ويتعامل مع الناس كما يتعامل أي إنسان آخر لكن من منطلق الوحي والرسالة، ومن موقع الأخلاق التي يتصف بها البشر فلم يكن يتعامل بطريقة ملائكية أو جنية، وإنما بطريقة إنسانية مألوفة لدى البشر، وقد تمكن أن يحول هذه الجماعة المتخلفة إلى هذه الطاقة الهائلة بفضل كلمة التوحيد، وما انبثق عنها من هدي قرآني وأخلاق فاضلة.

٤ـ الأخوّة الإيمانية: وهي بمثابة إطار الوحدة الإسلامية؛ لأنها تعطي الوحدة شكلها الاجتماعي وقيمتها

الإنسانية فالوحدة تحتاج إلى إطار يجمع الأشياء المتعددة من عرق وجنس، أو لغة وقوم، أو جغرافية وأرض وتراب، أو قيم ومثل إنسانية، والنظرية القرآنية تنطلق من تصور هو أن البشرية كلها من أصل واحد. قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**) (الحجرات: ١٣) فالبشرية متحدة في أصل وجودها، والمجتمع كان واحداً باعتبار وجود هذا الأصل له، وهذه العلاقة الرحيمة، على أنّ الاختلاف بين بني الأناسي بسبب الظروف الحياتية والتعدد الشعوبي والقبلي إنما هو اختلاف طارئ يراد منه تنظيم الحياة الإنسانية والاجتماعية. قال تعالى: (**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**) (آل عمران: ١٩)، والاختلاف بسبب الأهواء وتنازع المصالح والمنافع وتدافع الغرائز والنزعات يمكن حله عن طريق الهدى والرسالات والنبيين، والمبشرين والمنذرين، وبوساطة الالتزام بهذه الحلول والأحكام والشرائع والحدود يتميز الإنسان المصلح من المفسد والحسنة من السيئة[٢١]. قال تعالى: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**) (الحجرات: ١٣).

٥ـ القاعدة الأخلاقية: تشكل القضية الأخلاقية في النظرية الإسلامية قاعدة أساسية في مجمل التصور الإسلامي تجاه قضايا العقيدة والعلاقات الاجتماعية والسياسية والتكامل الإنساني الجماعي والفردي في الدنيا والآخرة، مما يدل على أنّ محتوى النظرية الإسلامية إنما هو محتوى أخلاقي، فالقرآن يصف الرسول بأنه ذو خلق عظيم، والرسول يقول: (إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)[٢٢]، ولا تتحدد الأخلاق بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وإنما تتعداها إلى علاقة الإنسان بخالقه بمختلف جوانبها، وفي علاقته بالكون، ومسؤوليته تجاه نفسه، وفي مستقبل حياته■

---

١) ينظر: الوحدة الإسلامية / الشيخ حسين الراضي ١٣، ٣٩-٤٠.

٢) لمزيد من التفصيل ينظر: سيد المرسلين/ الشيخ جعفر السبحاني١/٤٥-١٩٩، ٥٠.

٣) ينظر: تفسير الصافي/ ٢/٢٤٢، والبرهان في تفسير القرآن/ ٢/٤٥١و٥/٣٧٣.

٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن / الشيخ الطوسي ٢/٤٢١.

٥) ينظر: تفسير الصافي ٥/١٧٢.

٦) ينظر: الرسول الأعظم / آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم ٨٥.

٧) ينظر: الشخصية المحمدية تحت المقررات النفسية الحديثة، الأستاذ محمد فريد وجدي بك، مجلة رسالة الإسلام، السنة الأولى، ع٢، جمادى الآخرة ١٣٦٨هـ - أبريل ١٩٤٩م، ص ١٥٠-١٥١.

٨) القول لبرناردو شو. ينظر: نفحات محمدية / الشيخ محمد جواد مغنية١٣.

٩) القول لديورانت صاحب قصة الحضارة. ينظر: المصدر نفسه١٣.

١٠) ينظر: نفحات الهداية / السيد صادق الشيرازي ١١-١٤.

١١) ينظر: الوحدة الإسلامية ١/٤٠-٤٩، ٤١-٥٤.

١٢) أصل الشيعة وأصولها/ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص٩٧.

١٣) ينظر: بحوث قرآنية في التوحيد والشرك / الشيخ جعفر السبحاني١١.

١٤) ينظر: أضواء على طريق الوحدة الإسلامية / محمد علي التسخيري٩.

١٥) ينظر: الأربعة عشر مناهج ورؤى / آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم ٢١٨-٢١٩.
١٦) ينظر: الرسول الأعظم ٩٩-١٠٠.
١٧) ينظر: الإسلام دين الوحدة، الأستاذ العلامة الشيخ مسلم الحسيني الحلي، مجلة رسالة الإسلام، السنة الأولى، ع ٤، ذو الحجة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، ص ٤١٧-٤٢٠.
١٨) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين ٨٨-٩١.
١٩) ينظر: الوحدة الإسلامية - عناصرها وموانعها / محمد واعظ زاده الخرساني٦٢.
٢٠) ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين ٩٣-٩٤.
٢١) ينظر: الرسول الأعظم ٩٥-٩٦.
٢٢) بحار الأنوار/ المجلسي١٦/٢١٠.

قال

أمير المؤمنين عليه السلام

عن توحيد الله سبحانه:

(أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِه الإِخْلَاصُ لَه، وكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّه غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ الله سُبْحَانَه فَقَدْ قَرَنَه، ومَنْ قَرَنَه فَقَدْ ثَنَّاه ومَنْ ثَنَّاه فَقَدْ جَزَّأَه، ومَنْ جَزَّأَه فَقَدْ جَهِلَه ومَنْ جَهِلَه فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْه، ومَنْ أَشَارَ إِلَيْه فَقَدْ حَدَّه ومَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّه).

(نهج البلاغة ص٤٠)

مع الفقيه..

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: ما هو الضابط لمعرفة الألعاب القمارية؟ وبعبارة أخرى ما هو المقصود بالقمار شرعاً؟فعندما يقال (يحرم اللعب بالآلات المعدّة للقمار)، كيف يمكن تمييز الآلة هل معدة لذلك أم لا؟ ولو شككنا في لعبة ما هل هي قمارية أم لا؟ فهل يجوز اللعب بها أم لا؟

ج: اللعبة القمارية هي التي تبتني على المغالبة، ويكون الغرض منها كسب المال من خلال الفوز والغلبة، ومع الشك في كون اللعبة قمارية يجوز اللعب بها إلّا أن ما ورد تحريمه بالخصوص كالشطرنج والنرد ـ الذي قيل إنه الطاولي ـ غير مشمول بذلك فهو محرم على كلّ حال، كما أنه لا إشكال في كونه من الألعاب القمارية.

س: ما حكم تصويـــر ذوات الأرواح وكذلك نحتها وعملها من الطين مثلاً كما يأمر المعلم في المدرســـة على رسم إنسان أو حيوان في دروس الرسم، وكذلك عمل أشياء من هذا القبيل من الطين أو الخشب، وكذلك ما حكم الدمى وملاعيب الأطفال الموجودة في الســـوق حالياً بما فيها التي تنطق بواسطة جهاز أوتوماتيكي مسجل داخل اللعبة، هل نشتريها للطفل أم هناك إشكال؟

ج: لا يجـوز رســم الصورة المذكـورة ولا نحتها ويجوز شــراء الألعاب المذكورة وإن كان مكروهًا.

س: توجد أجهزة إلكترونية تســمى الأتاري تظهر من خلال شاشـــة التلفاز، ويتم التحكم بها من خلال أزرار فتظهر ألعاب فكرية ومســـلية، ويســـتخدم هذه الأجهزة مختلف الأعمار، وإنها لا تحتوي على رهان أو قمار. أي يدفع كلّ شخص من جيبه الخاص ما قد استهلكه من استخدام الأجهزة، وكذلك لا تحتوي على ألعاب كالشطرنج مثلاً، ما حكم الأموال المأخوذة والتي تعتبر كأجرة استخدام هذه الأجهزة؟

ج: لا بأس بالمعاملة المذكورة والأموال المأخوذة حلال.

س: صاحب شـــركة تســـيير معاملات جمركية قام بتقديم عرض في بضاعة لشـــركة بأســـعار محددة فجاء القبول من الشركة باسمه ولكن الأوراق وصلت إلى شـــركة أخرى بالصدفة فقـــام صاحبها بإتمام هذه الصفقة مع الشركة الأولى باسم صاحب العرض ودون علمه ،وقد زوّروا إمضاءه وربحوا منها مبلغاً كبيراً، السؤال:

أ ـ ما حكم عملهم الذي قاموا به؟

ب ـ هل يســـتحق صاحب العـــرض أن يطالب بجزء من الأرباح لأن المفروض أن الصفقة له وباسمه؟

جـــ ـ وفيما لـــو تعرض صاحب العرض لضـــرر باعتبار أن الأوراق باسمه، فهل له أن يغرمهم ذلك؟

ج: العمل الذي قاموا به محرم مضافاً إلى أنهم لا يستحقون الأموال التي استلموها من الشركة مالكة البضاعة إلا إذا تحول العقد معهم بشكل حقيقي غير مزور، كما أن الشركة الأصلية لا تستحق المطالبة بشيء من الأرباح.

س: شـــاع في الآونة الأخيرة في بعض المناطق البيع بالآجل والذي يسمى بين الناس (الهفتي) فقام بعض التجار بشراء السيارات بشكل غير معقـــول بأعداد هائلة ولكل الموديلات، وفي الوقت نفســـه يقوم التجار ببيع الســـيارات بأقل من سعرها، فعلى ســـبيل المثال يتم شراء السيارة

بسعر (٢٥٠ ورقة فئة دولار) في حين أنها تساوي (١٠٠ورقة من فئة الدولار) ثم يقوم ببيعها بمبلغ (٩٠ورقة من فئة الدولار) كما وأن هناك من يشتري هذه الفئات الورقية بأسعار عالية.

ثم توسع هذا الأمر فأصبح يدار من قبل وكلاء التجار حتى أخذوا بشراء المواشي والطيور والمعدات الزراعية والمحاصيل وكل ما له قيمة شرائية يشترى ويباع في السوق بالعملة المحلية ثم يتم تحويله إلى العملة الأجنبية (الدولار).مما يترتب على هذا الأمر من مشاكل وأضرار بالاقتصاد وتوجيه الناس إلى هكذا معاملات ويؤدي إلى توسعها بالتالي كساد واضطراب بالاقتصاد، ما هو رأي سماحه السيد في مثل هكذا معامله؟

ج: إذا كانت المعاملة تؤدي إلى إضرار باقتصاد عامة الناس بحسب تشخيص أهل الخبرة فالمعاملة محرمة وإلا فلا.

س: شخص من مقلّديكم، يعمل في مهنة الحلاقة، التي تعتبر مهنته الأساسية، ولم يكن يعلم بأن حلق اللحية محرم، ولما علم بذلك صار يرفض حلق اللحية لزبائنه، وقد أثر ذلك سلباً على مهنته وبشكل واضح، لأن الزبائن الذين كانوا يأتون لحلق شعر رأسهم ويرغبون في حلق لحاهم صاروا يفضلون الحلق مطلقاً عند غيره من الحلاقين الذين لا يتورعون عن حلق اللحى، فهل يجوز له أن يعود إلى حلق لحى الزبائن الذين يطلبون منه ذلك، أم أن ذلك يعتبر معاونة على الإثم، علماً أنه يُبتلى بطلب حلق اللحية بشكل يومي؟

ج: ليس حلق الحلاق للحية الغير معاونة على الإثم، بل هو مشاركة في الإثم، لذا فالأمل بك الثبات على موقفك. وقد قال الله سبحانه وتعالى (... وَمَن يَتَّقِ اللّه يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه فَهُوَ حَسْبُهُ...) (الطلاق: ٢، ٣)، وقال عز من قائل: (وَمَا كَانَ اللّه لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأرض...) (فاطر: ٤٤)، وقال عز من قائل: (فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (هود: ٤٩)، ثبتك الله تعالى بالقول الثابت، وأعانك في أمرك وأحسن لك التيسير إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين.

س: هناك أدوية تستعمل عادة للسعال أو بعض الأدوية الفوارة، فلكي تذوب المادة الدوائية تخلط بالكحول (أيتنول) وهي مادة مسكرة، وقد تصل نسبتها بقنينة الدواء (١٠٠ ملم) إلى (٢٠٪)، علماً أن بعض الأدوية توجد لها بدائل ولكن الطبيب يرى المصلحة في هذا النوع من الدواء، فما حكم بيع مثل هذا الدواء؟

ج: لا يجوز بيع الأدوية المذكورة إذا كانت مسكرة، نعم إذا كانت النسبة قليلة لا تؤدي للإسكار جاز بيعها إذا كانت لها منفعة محللة معتد بها.

س: أنا صاحب بقالة بالسعودية، ما حكم بيع وشراء المجلات والجرائد العامة التي تحتوي على أخبار صور ممثلين وممثلات ونساء غير محجبات وبكامل زينتهن وأخبار نافعة وأخبار فيها ضلالة وأخبار العامة التي يسمح بدخولها في أسواق السعودية؟

ج: يجوز بيعها وشراؤها إلا إذا أدى إلى ترويج الضلال.

س: في حالة مصادرة اللحوم والخضروات وسائر المواد الغذائية هل يعد محرماً؟ حيث إنه مأخوذ قهراً بالنسبة إلى المالك؟ وأما البلدية فيعتبر مشروعًا لأنه قانون من قوانينها حيث يتم منح المخالف مخالفة على ذلك، أحياناً تكون المصادرة قانونية من حيث إنها فاسدة أو غير صالحة للاستهلاك، فما حكم المصادرة؟ هل المصادرة في حدّ ذاتها تعتبر مشروعة؟

ج: المصادرة غير مشروعة والشيء المصادر يبقى على ملك مالكه، ويحرم التصرف فيه بغير إذنه، وغاية ما يمكن في المقام منعه من بيع ما يكون مضراً بالصحة البدنية بنحو الغش، بحيث لا يبيعه لمن يشتريه، والله سبحانه العالم العاصم.

س: لقد ظهر قبل فترة من الزمن علم يدعى (البارا سايكولوجي) أو علم الإدراك الحدسي الفائق والذي يهتم بدراسة الظواهر التي تتعدى إمكانية الحواس الخمس ومنها: (التخاطر والتنويم المغناطيسي، تحريك الأشياء من بُعد، الاستشفاء والاستبصار) وظهرت أيضاً بعض التمارين التي يعتقد أنها تطور هذه المهارات الروحية لدى الفرد، فما هو رأيكم بهذا العلم، وهل يجوز التدريب على هذه التمارين الروحية التي منها (الاسترخاء، التوكيلات، التأمل)؟

ج: لا بأس بالقيام بالتمارين المذكورة إلّا أنه لابد أن يعلم أن الإخبار عن الغيب بصورة جزمية غير جائز في الحالات كافة، كما لا يجوز التصديق الجازم به. نعم لا بأس بالتوقعات من غير جزم، بل مع إيكال الأمر لمشيئة الله سبحانه وتعالى وقصر العلم بالغيب عليه جل شأنه.

س: هل يصح بيع كتب الضلال لمن هو ضال أصلاً، كبيع التوراة والإنجيل للكتابيين؟

ج: لا يجوز.

باسل بن خضراء الحسني

ينابيع

ولد باسل بن خضراء في سوريا بحلب عام ١٩٦٩م، ونشأ في أسرة تعتنق المذهب الحنفي. واصل دراسته الأكاديمية حتى حصل على شهادة معهد متوسط للكهرباء. يقول السيد باسل حول بداية انفتاحه على الآفاق الواسعة من الوعي والمعرفة: كنت في المرحلة الإعدادية حيث بدأت أعي ما حولي وبدأ معي شعور معرفة من أنا، ثم بدأت بالتدريج نحو اكتشاف الحياة ماضيها وحاضرها، ولم أكن متعصّباً بالمفهوم السائد، وكان دأبي التحسّب لكل خطوة أخطوها أو كل كلمة أقولها.

ويضيف السيد باسل: ومن خلال البحث وجدت نفسي أنني أعيش في أجواء قد هيمن عليها التعتيم والتضليل واحتكار العلم، ورأيت المعتقد الذي أنا عليه لم يصل إليّ إلا عن طريق الوراثة والتقليد والتبعية، ورأيت نفسي مصداقاً لقوله تعالى حول التبعية العمياء: (**إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِم مُّهْتَدُونَ**)، فرفعت يدي بالدعاء إلى البارئ عزّ وجلّ لينقذني مما أنا عليه، فسرعان ما جاءت الإجابة، فتوفرت لي ظروف أدخلتني في دائرة البحث والخوض في غمار تاريخنا الإسلامي، فدققت وتابعت وسألت وواجهت حتى انتبهت لأمور كنت بعيداً عنها وغافلاً عن عمقها. فبينا السيد باسل في إحدى المكتبات بدمشق فقد وقع نظره على كتاب (النهاية في الفتن والملاحم) لابن كثير الدمشقي. وقد أجهد نفسه للحصول على هذا الكتاب.

يقول السيد باسل: إنّ أوّل حديث نبوي لفت انتباهي من الكتاب، هو إشارة النبي صلى الله عليه وآله إلى أنّ اثني عشر خليفة قرشياً سيلون أمر الأمة الإسلامية، ورغم أنني أنهيت قراءة الكتاب ولكنّ هذا الحديث بقي في خاطري وبدأت استفسر: من هم الإثنا عشر خليفة المنصوص عليهم حسب الحديث ؟ فتلقيت إجابات عديدة من بعض مشايخ أهل السنة من قبيل مدير معهد شرعي في منطقتي (دوما) حيث إنني خضت معه حواراً حول هذا الحديث وغيره، فلم يفصح لي عن مدى مصداقية الأحاديث أو نفيها، بل صاح بي وطردني من المسجد! وبدأت أحث الخطى في مناقشة أعلام السنة مثل الدكتور محمد رمضان البوطي، والشيخ الأرناؤوط، والشيخ الألباني عندما أقام في

سوريا لفترة، والشيخ محمود الحوت مدير معهد الشريعة في حلب، والشيخ زكريا خطيب أحد المساجد في قرى حلب، وجرى الحوار حول الأحاديث الموجودة في صحيح البخاري ومدى مصداقيتها. إلى أن قدّم أحد الأخوة الجزء السادس من كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، وتساءلت في نفسي لماذا اختار لي هذا الجزء بالتحديد وعندما قرأته ووصلت إلى حوادث سنة ٤٠ هـ و ٦١ هـ ومقتل الإمام علي عليه السلام ومقتل الإمام السبط الحسين عليه السلام خنقتني العبرة، وذرفت عيناي الدموع، وتبيّن لي أن خلف الستار أموراً كثيرة لم تتضح لنا بعد.

يقول السيد باسل: واصلت بحثي حول الخلفاء بعد الرسول صلى الله عليه وآله، إلى أن واجهت حديث الثقلين وخطبة الرسول الأعظم يوم غدير خم ورزية الخميس، فدفعتني شكوكي لطلب الاستيضاح من هذه الروايات عند بعض علماء السنة المعاصرين، فمنهم من أثبت، ومنهم من طلب مني عدم الخوض في هذا المجال، لأنّها: أمور جرت في الماضي، ولكن لم أجد من يشكك في مصداقيتها.

ويضيف السيد باسل: بقيت على هذه الحالة إلى أن صادف أن زرت أحد العلماء السادة من معتنقي مذهب أهل البيت عليهم السلام وهو السيد عبد المحسن السراوي، فسألته حول بعض الشبهات التي تلقى حول عقائد الشيعة، فبيّن لي المنهج الصحيح والفكر الرشيد عند أهل البيت عليهم السلام ثم قام بدرء الشبهات التي ذكرتها له، فهنالك حصحص الحق، وتبين لي الواقع واتضحت لي الأمور، فلم أجد بداً سوى اتخاذ قراري النهائي بشأن المذهب الذي ينبغي لي اتباعه.

إعلان الاستبصار في مقام السيدة زينب:

يقول السيد باسل: بعدما تبيّن لي الحق وعرفت المسلك الصحيح من الخاطئ ذهبت إلى مقام السيدة زينب عليها السلام وطلبت الإذن منها للدخول وأعلنت ولائي لأهل البيت عليهم السلام وبراءتي من أعدائهم والذين ظلموهم، فدمعت عيناي وندمت على ما فاتني، ولكنني فرحت أن هداني الله وأحسن عاقبتي في نهاية أمري.

الواقع أن ما حدث معي أن من النهاية كانت البداية وانعكست عندي النظرية الشهيرة من البداية تأتي النهاية، إن النهاية فتحت لي آفاقاً واسعة، وكانت صدفة ليس أكثر وضعت أمامي تساؤلات عديدة تكللت فيما بعد بالإجابة بعد بحث وسعي ومتابعة مضنية.

نقل بتصرف من:
(موسوعة من حياة المستبصرين ج٢ ص١٦٥)

بواعث الرثاء

في الخطاب الشعري للزهراء عليها السلام

م. د. مرتضى عبد النبي الشاوي •
كلية التربية/ القرنة / جامعة البصرة

ينابيع

كان من أشدّ المنكوبين بوفاة النبي صلى الله عليه وآله بضعته الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد نخب الحزن قلبها الرقيق المعذب، وهامت في تيارات من الأسى والحزن، لا تفتر من البكاء نهاراً وليلًا، ومن تلك البواعث النفسية التي ساعدت على تجليات الرثاء عند الزهراء عليها السلام إذ ترك بصمة نوعية في خطابها الشعري:

١- بث الشكوى بسبب الظروف السيئة بعد أبيها وشماتة الأعداء بها:

إنّ الشكوى من الظروف السيئة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وشماتة الأعداء إذ اجتمعت الجموع آونة في الخفاء وأخرى على ملأ من يدعون إلى ابن أبي طالب؛ لأنهم رأوه أولى الناس بأن يلي أمور الناس ثم تألبوا عليه حول داره يهتفون باسمه ويدعونه أن يخرج إليهم؛ ليردوا عليه تراثه المسلوب[1].

نُسِبَ لها شعر صوّر لوعتها وحزنها العميق على أبيها وما عانته بعد فقده من الأحداث الجسام التي روعتها وتركت بصماتها الحزينة في أعماق نفسها، وهذه الأحداث[2]:

١- الهجوم على بيتها عليها السلام.
٢- التهديد بإحراق دارها عليها السلام.
٣- الاعتداء الآثم عليها عليها السلام وإسقاط جنينها.
٤- الحصار الاقتصادي عليها عليها السلام من إسقاط الخمس ومصادرة فدك من قبل أبي بكر وإضافته إلى بيت المال.

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام تصف الإسلام بعد وفاة الرسول وغرابته والمنبر كيف أصبح بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وكيف علاه

الظلام من بعده بالغصب والإكراه لأمير المؤمنين علي عليه السلام وقد تصور الظلم والقهر السياسي، لقد أشارت السيدة الزهراء عليها السلام إلى تلك الظروف بشكل إجمالي كما هي في الأبيات الآتية[٣]:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة
لوكنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا
فغبت عنا فكل الخير محتجب
فكنت بدرًا ونورًا يستضاء به
عليك ينزل من ذي العزة الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا
بعد النبي وكل الخير مغتصب
سيعلم المتولي ظلم حامتنا
يوم القيامة أنى سوف ينقلب
فقد لقينا الذي لم يلقه أحد
من البرية لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت
لنا العيون بتهمال له سكب.

في هذه الأبيات الزهراء عليها السلام تصف وضع الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وماذا أحلّ بهم بعد وفاته؟ ؛ لشدة الأمر الذي يؤلم النفس، وتتمنى الموت قبل وفاة أبيها ؛ لِما فعله الظالمون بها وبعائلتها وغصب حقها إذ (يلمس من هذه الأبيات لوعتها وحزنها العميق من الأحداث المروعة التي حلّت بها بعد رحيل أبيها إلى حظيرة القدس، فإنّ القوم لم يراعوا مكانتها وسمو شأنها، وعاملوها معاملة عادية أخذت تحزّ في نفسها)[٤].

وقد أبدت الشكوى في شعرها من شماتة الأعداء كما في قولها[٥]:

قد كنت لي جبلاً ألوذ بظله
فاليوم تسلمني لأجردِ ضاحِ
قد كنت جار حميتي ما عشت لي
واليوم بعدك من يريش جناحي
وأغضُّ من طرفي وأعلم أنّه
قد مات خير فوارسي وسلاحي
حضرت منيته فأسلمني العزا
وتمكنت ريب المنون جراحي
نشر الغراب علي ريش جناحه
فظللت بين سيوفه ورماح

في هذه الأبيات صورة جميلة تصورها السيدة الزهراء عليها السلام؛ إذ تصور أبيها بالجبل الذي لا يهتز، إذ إنّها تلوذ بظله، ثم بعد ذلك الظلم من بعده.

٢- طابع الحزن الشديد والبكاء الدائم:

عندما توفي الرسول محمد صلى الله عليه وآله افتجع له الصغير والكبير وكثر عليه البكاء وعظم رزؤه على الأبرياء والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب، وكان حزن السيدة الزهراء عليها السلام يتجدد ويزيد بكاؤها ويشتد، إذ كانت عليها السلام تنادي وتندب أباها قائلة:

وا أبتاه! وا أصفياه! وا محمداه! وا أبا القاسماه! وا ربيع الأرامل واليتامى!.
من للقبلة والمصلى؟
ومن لابنتك الوالهة الثكلى؟[٦]

وقد أشارت إلى هذا الحزن في الأبيات الشعرية التي تقول فيها[٧]:

قلّ صبري وبان عني عزائي
بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين يا عين اسكبي الدمع سحاً
وبك لا تبخلي بفيض الدماء

وكذلك هناك أبيات تعبر فيها فاطمة الزهراء عليها السلام عن حزنها الشديد وترثي أباها الرسول محمد صلى الله عليه وآله فيها إذ تقول[٨]:

إنّ حزني عليك حزن شديد
وفؤادي والله صبٌّ عنيد
كلّ يوم يزيد فيه شجوني
واكتيابي عليك ليس يبيد
جل خطبي فبان عني عزائي
فبكائي كلّ وقت جديد
إنّ قلباً عليك يألف صبراً
أو عزاء فإنّه لجليد

إذ نجد في النص الشعري المتقدم ذكره (حزن جديد يزيد فيه شجوني فبكائي كل وقت جديد) هذه مفردات تدل على الرثاء لكنّ فيها شيئًا ألا وهو:

١- وصول أعلى طاقات الحزن في الرثاء حتى إنّ الرثاء المعبر عنه في الأبيات بالحزن ليس له وقت خاص حتى يضمحل ويندثر ويتناساه صاحب الرثاء، ولهذا عبر عنه بالمتجدد والجديد وفي كل وقت.

٢- الأساليب البلاغية كتقدم المصدر للتوكيد واستخدام لفظة (كلّ) التي تفيد العموم واستخدام الفاء كلّها دلت على أقصى طاقات الحزن والرثاء.

ونجد أيضاً في النص الشعري الآنف الذكر (اكتئابي، وشجوني، جلّ خطبي، عزائي) فهي ألفاظ تبعث على الألم إذ يستخدمها الشاعر الراثي؛ لأنّها نابعة من اليأس الشديد وعمق التأثير والتأثر عسى أن يألف صبراً كما عبرت في البيت الشعري.

٣- القهر السياسي:

١- غصب حقها بعد وفاة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في إرثها وفي نِحلتها لفدك إذ كانت الزهراء شوكة في أعين الظالمين، فما إن كان فراق بينها وبين أبيها سيد الكائنات فقد جرى على

الزهراء ظلم ما بعده ظلم، فكان غصب فدكٍ منها وإحراق بيتها وإسقاط جنينها فعندها ذهبت الزهراء للمطالبة بحقها في إرث أبيها فأنكروا إرثها وقالوا لها ـ اللعناء ـ: سمعنا رسول الله يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) وقد قام الظالمون بالهجوم على دار الزهراء عليها السلام وعصرها خلف الباب وكسر ضلعها وصفع خدها وقاموا بأخذ الإمام علي عليه السلام إلى المسجد فلم يعلم ما جرى على الزهراء عليها السلام من جور وظلم.

وهذه الحرب والظلم الواقع على فاطمة وأمير المؤمنين عليهما السلام كلّه من أجل الوصول إلى الخلافة وفاطمة الزهراء عليها السلام صورت هذه المشاهد في أبياتها الشعرية المتقدمة، والتي تقول فيها:

تجهمتنا رجال واستخف بنا
بعد النبي وكل الخير مغتصب

فالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تصور ما فعله القوم الظالمون بها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله من غصب حقها وإسقاط جنينها.

٢- مرافقة الظلم وسطوة الظالم بعد وفاة أبيها والظلم الذي لحق بها وبأمير المؤمنين عليه السلام حتى أصبح الإسلام غريباً؛ لوجود الظلام في سدة الحكم كما صورت ذلك في قوله[٩]:

وبكاك الإسلام إذ صار في الناس
غريباً في سائر الغرباء
لو ترى المنبر الذي كنت
تعلوه علاه الظلام بعد الضياء

٣- طابع الفراق المفاجئ بسبب موت أبيها وله ارتباط بطابع فقدانها إياه لوفاته، فحزن الزهراء على أبيها شديد حتى انزعج أهل المدينة من كثرة بكائها وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا له يا أبا الحسن إنّ فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يهنأ بالنوم من الليل ولا بالنهار لنا قرار وإنّا نخبرك أن تسألها إما تبكي ليلاً أو نهاراً[١١]، فالزهراء تبكي على أبيها لشدة حزنها ولعظم مصابها ولفراقها للرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنها لا تطيق الفراق كما صورت هذه في قولها[١٢]:

قلّ صبري وبانَ عني عزائي
بعد فقدي لخاتم الأنبياء

ويحق للسيدة الزهراء عليها السلام أن لا تمتنع عن البكاء على تلك الفاجعة العظمى والكارثة الكبرى؛ لأجل أناس لهم غايات وأهداف يعلمها الله فبنى لها الإمام أمير المؤمنين بيتاً نازحاً عن المدينة في البقيع يسمى (بيت الأحزان)[١٣].

وكانت السيدة الزهراء عليها السلام طوال المدة التي عاشتها بعد وفاة أبيها محمد صلى الله عليه وآله حزينة لفقده ولاختلال الأوضاع بعده كما في قولها[١٤]:

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فأشهدهم ولا تعب

وكانت الأيام التي عاشتها الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها أيامًا عصيبة؛ لما فعله بها الظالمون من حرمانها إرثها ومصادرة نِحلتها أرض فدك التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وآله عندما أنزل قوله تعالى: (**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**) الروم/٣٨.

فضلاً عن ذلك فحزن السيدة الزهراء عليها السلام يتجدد ويزيد، وبكاؤها يشتدّ؛ لما حلّ بها عليها السلام بعد وفاة أبيها فهي لا تهدأ، وهي تطلب من الله الصبر على ما يحلّ بها كما هو واضح في أبياتها التي تقول فيها[١٥]:

وإذا بكــت قمرية شــجنا لها
ليلاً على غصن بكيت صباحي
فالله صبرنـــي على ما حل بي
مات النبي قد انطفى مصباحي

تصــور بكاءها على الحبيــب الحنون أبيها الرسول صلى الله عليه وآله، وإنّ الله صبرها على ما حلّ بها بعد مــوت أبيها وانطفاء النور عليها■

---

١) ينظــر: فاطمــة من المهــد إلى اللحد، الســيد محمد كاظم القزويني،: ٢٠٤
٢) ينظر: مآســي بضعة الرســول: باقر شــريف القرشي: ٧٣- ٩٢
٣) الأمالي /الشيخ المفيد/ص٤١.
٤) مآسي بضعة الرسول: ١٢٢
٥) ديــوان فاطمــة الزهــراء عليها السلام، كامل ســلمان الجبوري: ٣٨-٣٩
٦) ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد: ١٣٩
٧) ديوان فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٣
٨) المصدر نفسه: ٤١
٩) المصدر نفسه: ٢٣
١٠) ديوان فاطمة الزهراء عليها السلام: ٣٨- ٣٩
١١) ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد: ٣٧٩
١٢) ديوان فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٣
١٣) ينظــر: فاطمــة من المهد إلــى اللحد: ٢٨٨، ومآسي بضعة الرسول صلى الله عليه وآله: ٧٠.
١٤) ديوان فاطمة الزهراء عليها السلام: ٣٠.
١٥) المصدر نفسه: ٣٩-٤٠

يا عَجَبـاً يَسْـتأذِنُ الأمـينُ ... عَلَيْهِـمُ! وَيَهْجِـمُ الخَـؤونُ!
قَـالَ سُلَيْـمٌ: قُلْـتُ يا سَلْمانُ ... هَلْ دَخَلُـوا وَلَمْ يَكُ اسـتِئْذانُ؟
فَقَالَ إِي وَعِزَّةِ الجبَّـــارِ ... وَمـا عَلى الزّهْـراءِ مِـنْ خِمـارِ
لـكِنّهـا لاذَتْ وَراءَ البـابِ ... رِعايةً لِلسَترِ والحِجـــابِ
فَمُذْ رَأَوْها عَصَروها عَصْرَةْ ... كادَتْ بِنَفْسي أنْ تَموتَ حَسْرَةْ
نادَتْ أيَا فِضَةُ اسنِدِينـــي ... فَقَـدْ وَرَبّي أسقَطُـوا جَنِينِي
فَأسقَطَتْ بِنْتُ الهُدى واحُزْنَا ... جَنِيـنَها ذاكَ المُسمَى مُحْسِـنا

السيد محمد القزويني

نادرة أدبية :

كان للوزير أبي محمد المهلبي (ت ٣٥٢هـ) قبل اتصاله بالسلطان معز الدولة، حال ضعيف فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث، إلا أنه من أهل الأدب إذ أنشده يقول : [من الوافر]

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريه * فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ

ألا رَحِمَ المهيمنُ نَفْسَ حُرٍ * تصدَّقَ بالوفاةِ على أخيهِ

قال: فرثا له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سدَّ به رمقه، وحفظ الأبيات وتفرقا. ثم ترقى المهلبي إلى الوزارة، وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذي كان رفيقه، فتوصل إلى إيصال رقعة إليه مكتوب فيها: [من الوافر]

ألا قُلْ لِلوَزيرِ فَدَتْهُ نفسي * مَقالَ مُذكِّرٍ ما قدْ نَسيهِ

أتَذْكُرُ إذْ تقولُ لِضَنْكِ عيشٍ * ألا موتٌ يُباعُ فأشتريهِ

فلما قرأها تذكَّر، فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته: (**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ**) (البقرة : ٢٦١). ثم قلَّده عملًا يرتزق منه.

(المستطرف من كل فن مستظرف/ الأبشيهي ج٢ص٥١٣)

شاعر وقصيدة

الشاعر: الشيخ إبراهيم المبارك (١٣٢٥ ـ ١٣٩٩هـ)

القصيدة : فِداكِ الوَرى

الشيخ إبراهيم بن ناصر بن عبد النبي بن يوسف آل إبراهيم آل مبارك الهجيري التوبلي البحراني.

ولد في الهجير البحرانية عام ١٣٢٥هـ ، ونشأ في حجر أبيه وتتلمذ عليه وعلى أخيه الشيخ محمد حسين مبادئ العربية والإسلامية[١].

وفي عام ١٣٤٩هـ انتقل من الهجير إلى عالي[٢] واستوطنها، وفيها تتلمذ على الشيخ خلف بن أحمد آل عصفور إلى أن توفّي عام ١٣٥٥هـ؛ فرحل إلى النجف وأخذ من فضلائها وأعلامها كالشيخ الخاقاني، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ عبد الجليل الولي، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد محسن الحكيم، والشيخ خلف العصفوري .

وبقي بها بضع سنوات ثمّ عاد إلى (عالي) عالماً ومؤلّفاً وشاعراً، واشتغل بالتدريس والإرشاد وإقامة الصلاة، وبلغت مؤلّفاته ستة عشر مؤلّفاً منها في العقيدة، ومنها في الفلسفة والفقه والسيرة، ومنها في الأدب والشعر. توفّي في بلدة عالي التي استوطنها قبل أن يسافر إلى النجف، ليلة الرابع من شهر رجب بالسكتة القلبية[٣].

سجّل الأدب الإمامي اعتزازه للمدرسة الأدبية البحرانية التي كادت أن تنحصر جهود أدبائها على الرثاء الفاطمي لتفرّع على أساسه رثائياتها الأخرى، ولعل الذي دفع المدرسة البحرانية إلى انتهاج هذا الخط الأدبي المتميز أن شعراءها عاشوا مأساة السيدة الزهراء عليها السلام من خلال تاريخهم السياسي المقهور الذي كان مجموعة توليفات سياسية مستبدة، واقتصادية خانقة، واجتماعية مسحوقة، أسستها أطروحات سياسية حرصت أن تكون الحواضر الشيعية تحت هيمنتها المقيتة، ولما كانت البحرين بلاد الولاء الصادق لمدرسة آل البيت عليهم السلام منذ الصدر الأول للإسلام حتى هذا اليوم، فإن الأطروحة الحاكمية تُلقي بثقلها على هذا الوجود الولائي لتكتم أنفاسه الصارخة بمظلومية آل النبي الأطهار عليهم السلام، وهكذا انتهجت المدارس الحاكمية هذه النظرة الساذجة محاولة منها لإخفاء معالم الولاء الصميم، وهكذا كانت جهود المدرسة الأدبية البحرانية المقابلة لهذه المدارس الحاكمية تؤكد إصرارها على ولائها الذي لا يُساوم، داحرة كل تخرصات السياسة السلطوية الرخيصة.

قدّم الشيخ إبراهيم المبارك أطروحة

الولاء الأدبية التي تحكي عن صميم الولاء البحراني، وتؤكد مبايعة هذا البلد لقادته وساداته الأئمة المعصومين عليهم السلام، مهما كانت التضحيات ومهما كانت الأساليب[٤].

وهذه هي قصيدته كما وردت في موسوعة أدب المحنة:

وراءَكِ يا دُنيا فأنتِ دَنِيَّةٌ ... وكَمْ باطل يُطْرى بخَير ويُنْعَتُ
عرَفتُكِ يا هَوْجاءُ زَوْجةَ أحمَق ... وما غرّني منكِ الزُّها والتزَمَّتُ
فإن كانَ مَن غَرَّيْتِ بُلْهاً فإنّني ... أُذمِّمُ منكِ التُّرَّهاتِ وأمقُتُ
وسيفُك لا ينْفَكّ في النّاس مُصْلَتاً ... ولكنّه في سادة النّاس أصلَتُ
فإن كانتِ الأنذالُ تُحْبى بنعمة ... فهاتِيكُم الأبدالُ تُزوى وَتُبهَتُ
تعاظَم أهلُ الغَيّ حتّى تحكّموا ... بآلِ رسولِ الله ظُلماً وعنَّتوا
أزالوهُمُ عن حقِّهم وتَواثَبوا ... عليهم وغَتُّوهم حقوقاً وعمَّتوا
ورَضُّوا من الزهراء جَنْباً وأسقَطوا ... جَنيناً وخَطّوا مِن عُلاها وبكَّتُوا
وصَبّوا على المَتْنَيْنِ منها سِياطَهم ... وخانوا عهود الله فيها وخوّتوا
وكانت من الهادي الوَديعةُ فيهمُ ... فيا بئسَ ما خانوه فيها وبَيَّتوا
زَوَوْا حقَّها بالغَصْبِ إرثاً ونِحْلَةً ... سَحيتاً أدال اللهُ منهم وأُسحِتوا
وقادوا عليّاً آخِذين خِناقَه ... يكادُ بإضغاطِ التنفُّس يخفتُ
ولمّا أهاضَتْهُم بدَفع وضجَّة ... أهاضَ بها سَوطٌ يَضِجُّ ويُصْمِتُ
إلى أن قضَت مقروحة الجَفن والحَشا ... بقَلب يصكُّ الهمّ فيهِ وينكَتُ
وقد باتَ ابنَاها بأطَول ليلة ... يَبيتُ بها مَضْنى الفؤاد مفتَّتُ
وهاجَ بقَلبِ المُرتَضى الحُزْنُ والأسى ... كأنَّ حَشاهُ بالرَّزيَّةِ تُسلَتُ
أفاطِمُ لا أنساكِ بعد محمّد ... وهل كان مِثلي في فَقِيدَين يقلَتُ ؟
فما أنا إلاّ كالشَّكير بعُشِّه ... ورائِشُه الحاني عليه مُكفّتُ
وأنساكِ لا أنساكِ والحُزنُ قاتلي ... ويومُكِ يومٌ أكدَرُ الوَجهِ أمقَتُ
إذا سَرَّ هذا البَدرُ أظْلَم ليلُه ... وإن صوّح المَرعى مِن الناس أسنَتوا
فما أقبَح الخَضْراء إن غابَ بَدرُها ... وما أكدَر الغَبْراء إن جفّ مَنْبتُ !
فِداكِ الوَرى طُرّاً وقَلّ لكِ الفِدا ... ولكنَّما الآجالُ وَقتٌ مُوَقَّتُ
أُصيبَت بكِ الدُنيا وأظلَم نورُها ... وأخرس منها ناطِق أو مُصَوّتُ
وعَجَّت عليكِ الكائناتُ بنَوْحِها ... وتلك الجِبالُ الشُّمُّ تُذْرى وتُنْحَتُ

١) موسوعة شعراء البحرين ١ / ٣٧.
٢) بلدة تقع في المنطقة الوسطى على بعد حوالي ١٢ كيلومتراً جنوب المنامة عاصمة البحرين.
٣) معجم الشعراء الناظمين في الحسين عليه السلام ج١ ص٣٣٠.
٤) موسوعة أدب المحنة/ السيد محمد علي الحلو/ ص٥١٩.

دلالة (حتى) عند شرّاح نهج البلاغة

د.هاشم جعفر الموسوي •
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

احتفى شُرّاح نهج البلاغة بدلالات حروف العطف الواردة في كلام الإمام علي عليه السلام ومنها دلالة الحرف (حتى) فقد اختلفت نظرتهم لدلالته، فتارة يذكرون عدة معانٍ له وتارة يبقون الحرف على معناه الأصلي، وهذا منهج عام طرقه الشُرّاح جميعهم وإن تفاوتوا فيه بين موضع وآخر، وعند متابعة هذه المواضع والبحث في إخراج الحرف عن مساره الدلالي وإعطاء الحرف معنى حرف آخر، يتبين أن الشُرّاح إنّما خلطوا الأمرين بسبب فهمهم الخاص للنص، لا بسبب تحري الدلالة الحقيقية لقوله عليه السلام، المفهومة من إبقاء الحرف على معناه الأصلي الذي لأجله استعمل من دون غيره. وعلى الرغم من ذلك ثمة التفاتات مهمة لدى الشُرّاح إلى الفروق الدلالية بين الحروف ذوات المعاني المتقاربة للتمييز بين معانيها الدقيقة، وقد اتضح ذلك بجلاء حين عرضت لتلك المواضع فتبين أنْ لا تعدد لمعانيها ولا نيابة فيها، وأنّ (حتى) قد احتفظت بدلالاتها الأصلية في هذه السياقات، فهي تستعمل لانتهاء الغاية. وسنتناول استعمالات (حتى) في نصوص من نهج البلاغة، وأقوال الشرّاح فيها، ونحاول أن نكشف عن المعنى الجامع لمواضع استعمالها:

دلالة (حتّى)

أقرّ الشُرّاح عدة دلالات لـ (حتّى)، منها العطف والجرّ والاستثناء وغير ذلك، ويمكن إرجاع كل هذه الدلالات إلى معنى واحد هو الدلالة على انتهاء الغاية. ومعنى انتهاء الغاية أن ما بعد (حتى) منقطع عمّا قبلها، وما قبلها ينتهي عند حدود ما بعدها. ودلالة (حتى)الرئيسة هذه متأتية من دلالة أصواتها [1]، فـ (حتّى) مشتقة من الحتّ، وألحقوا بها ألفا في اللفظ، وياء في الخط، لئلا تلتبس باسم أو فعل[2]،

ولمّا كان الحتّ هو الاستئصال والإزالة والخلوص إلى نهاية، كانت (حتى) بمعنى الوصول إلى نهاية الأمر[٣] وقد هيمنت فيه هذه الدلالة على غيرها من الدلالات في شروح النهج[٤]. وعلى الرغم من ذلك اختلف الشُرّاح في دلالة أمثلة (حتى) الواردة في النهج كثيرًا ،كما في قول الإمام عليه السلام لما بويع بالخلافة: ((فو اللّهِ مازلتُ مدفوعاً عن حقّي مُستأثَراً عليَّ منذُ قُبِضَ رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا))[٥]، فمعظم الشُرّاح[٦] على أنّ هذه الخطبة خطبها الإمام عليه السلام لما بويع بالخلافة، وفيها يفاد من (حتى) أنه عليه السلام جاء بها لأنه أراد وقوع الظلم عليه حتى يوم مبايعته بالخلافة. ولو استعمل (إلى) لما كان فيه إشارة إلى رجوع الحق إليه عليه السلام. ويؤيد ذلك أنه عليه السلام نفى في أوّل هذه الخطبة المذكورة أن يكون كالضبع تنتظر الصائد حتى يأتيها ثم يوقع بها[٧] فهو عليه السلام لا ينتظر وقوع الحيف عليه، بل يضرب بالحق على الباطل. والفرق الدلالي بين (حتى) و(إلى) يتمثل في أن (إلى) أمكن في الغاية من (حتى) وأعم[٨].

ومن هنا تسمّح الخوئيني بعض المواضع[٩] فلم يفرق بينهما، إذ فسّر (حتى) بـ (إلى)[١٠] في قوله تعالى: (**حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**)[١١]. والمعنى الدقيق لفعل بني إسرائيل في هذه الآية يقتضي أنهم يعكفون على عبادة العجل حتى يروا موسى عليه السلام راجعًا إليهم، فإذا دخل إلى مكانهم امتنعوا عن ذلك، وهذا تلويحٌ منهم إلى إدراكِهم قُبحَ ما فعلوه، لأنهم يتركون عبادة العجل حين رؤيتهم موسى عليه السلام، ولو استعملت الأداة (إلى) لكان المعنى

أنهم يعكفون على عبادتهم العجل بعد وصول موسى عليه السلام إليهم، وحينئذ ليس ثمة إشارة في كلامهم إلى أنهم مدركون لكفرهم ومعصيتهم لنبيهم.

ومن أمثلة (حتى) التي اضطرب الشُرّاح بشأنها أنّ رجلا كان مع الإمام عليّ عليه السلام واسمه مصقلة بن هبيرة، اشترى سبياً من عامل الإمام عليه السلام واعتقه ولكنه أخّر ثمنه، فلمّا طُولب بالمال هرب إلى معاوية، فقال الإمام يذمُّه: ((قَبَّحَ اللّه مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السّادَاتِ، وَفَرَّ فِرَارَ العَبِيْدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتّى بَكَّتَه))[12]. وفي مدلول (حتى) في الموضعين خلاف بين الشُرّاح، إذ ذهب بعضهم إلى أنها عاطفة تفيد جمع الجهر بمدحه إلى السكوت عنه، وجمع تصديق واصفه إلى تكذيبه، فهو قد جمع بين غايتين متنافيتين: إنطاقه لمادحه بفداء الأسرى، وإسكاته له بهربه قبل تمام إنطاقه[13]. وهذا يعني أنها بمعنى الواو. وأخرجها بعضهم على معنى العطف الدال على التعليل والبيان، وهو متحقق بالفاء العاطفة ((فإنّ إسكاتَ المادح لا يُتَصوَّرُ قصدُه إلا بعد إنطاقه، وهو لم يُتمِّمْ فعلَه الذي يطلبُ به إنطاق مادحيه بالكرم والحمية ونحوهما، فكأنّه قصدَ إسكاتَ مادحِه بهروبه فأزوى عليه ذلك))[14].

وجوز بعضهم أن تكون (حتى) في الموضعين بمعنى الاستثناء المفرغ، لأنه لم ينطق مادحه إلا بقصد إسكاته بهربه، ولم يصدق واصفه إلا بقصد تكذيبه[15].

وأخرج بعضهم (حتى) في هذين الموضعين إلى معناها المعروف لاختلاف الفعلين، لأن اختلاف الغايتين مقصود، فبه تحصل الدلالة على تباين أفعال هذا الرجل وقبح نفسه، فكأنه لم يتحمل فعل الخير حتى يصرح بحبه للرذيلة، فجاءت (حتى) تعبر عن هذه الغاية وتترك للسامع تصور نفسية الرجل، وكأن القائل ((ما قال: أحسنَ مصقلةُ في عتقِ الأسرى حتى ارتفع صوتٌ يقولُ: قبّحه اللّه من لصٍّ محتالٍ))[16].

(اللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي ، والعربية من أنقى اللغات ، فقد تفردت في طرق التعبير العلمي والفني).

لويس ماسينيون

وعضد الخوئي دلالة (حتى) على التعليل بقوله تعالى: **(وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)**[17]. فكأنها بمعنى (كي)[18]. وحملُ(حتى) على التعليل في الآية الكريمة يجعلُ المعنى أن الكفار يقاتلون المسلمين لغاية واحدة معللة بالعودة بهم إلى الكفر، وبقاءُ (حتى) دالة على انتهاء الغاية يبينُ أن قتالهم ممتد لغاية حصول الكفر، وإنما لم يجعل القتال علة للرجوع إلى الكفر، لأنه ربّما تكون هناك غايات أخر من حرب الكفار للمسلمين، من نحو إبقائهم على العادات التي نسخها الإسلام وحرّمها.

وفي قول الإمام عليه السلام: ((وَقَدْ أَرْعَدُوا، وأَبْرَقُوا، وَمَعَ هَذينِ الأَمْرَيْنِ الفَشَلُ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوْقِعَ، وَلا نَسِيْلُ حتّى نُمْطِرَ))[19]، ذهب الشارح الخوئي[20] إلى

حمل (حتى) على معنى الاستثناء، والمعنى: إنّا لا نُهدِّد إلا أن نعلم أنّا سنوقع، وبهذا يكون التهديد سابقًا للإيقاع، على تأويل علم الإمام عليه السلام المسبق بتحقق الإيقاع بالعدو.

وتابعه أنصاريان في هذا التأويل من غير أن يصرح بمجيء (حتى) هنا بمعنى (إلا)[٢١]. وأبقى شُرّاح النهج الآخرون (حتى) على معناها من انتهاء الغاية، ليكون كلامه عليه السلام إنّا ((إذا أوقعنا بخصمنا، أوعدنا حينئذ بالإيقاع بغيره من خصومنا))[٢٢]، فالإيقاع بأحد الخصوم سابق لتهديد آخرين، وهو بمنزلة الإنذار والوعيد لهم[٢٣]. فتكون (حتّى) دالة على أن غاية سكوتهم عن الرعد ممتدة لحين الظفر بأحد خصومهم فيكون رعدهم مآثر يتناقلها الناس، لا صخب كلام يرددونه بأفواههم كما يفعل خصومهم.

وفي قوله عليه السلام: ((إنّ اللّه سبحانه بَعَثَ مُحَمَّدا صلى الله عليه وآله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ يَقْرأُ كِتَابًا، وَلا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ صِفَاتُهُمْ، أَما واللّه إنْ كُنْتُ لَفِيْ سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيْرِهَا، مَا عَجَزْتُ، وَلا جَبُنْتُ، وإنَّ مَسِيْرِي هَذا لِمِثْلِهَا، فَلأَنْقُبَنَّ البَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ))[٢٤] أغرب الدكتور إبراهيم السامرائي فعدّ: (إن كنت لفي ساقتها) سياقًا منفيًّا لا مثبتًا مؤكدًا، و(إن) نافية وليست مخففة من الثقيلة، و(حتى) دالة على تعليق النفي وإبطاله فهي بمعنى (إلا) قال (حتى) هذه يُؤتى بها في حيِّز الجملة لتعلُّقَ النفي و تبطلَه... وقد ذهب الإمامُ محمدُ عبده إلى أنّ (إنْ) هذه هي المخففةُ من الثقيلة...وهذا لا يقرُّه عليه النحاةُ، وذلك لأنّ (إن) المكسورة الهمزة إذا خُففت جاز إعمالُها وإهمالُها، والأرجحُ الإهمالُ))[٢٥]، والمعنى الذي رآه السامرائي هو أن الإمام عليه السلام يريد أن يقول: ما كنت في الذين يسوقون الحرب طردا حتى تولت[٢٦]. وسائر شُرّاح النهج يفسرون (حتى) بانتهاء الغاية[٢٧]، والمعنى أنه ((شبّه عليه السلام أمرَ الجاهلية إمّا بعجاجةٍ ثائرةٍ أو بكتيبةٍ مقبلةٍ للحرب، فقال: إني طردتُها فولّتْ بين يدي، ولم أزلْ في ساقتها أنا أطردها وهي تتطردُ أمامي، حتى تولّت بأسرها ولم يبقَ منها شيءٌ... وإنّ مسيري هذا لمثلها، فلأُنقبَنّ الباطلَ))[٢٨]، وفي هذا التوجيه تكون (إن) في:(وإن كنت لفي ساقتها) مخففة من الثقيلة، والسياق مؤكد، و(حتى) أفادت أنه عليه السلام ثابت في ميدان الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لحين كسر شوكة الكفر وأهله.

ومن ذلك ما في قول الإمام عليه السلام مخاطباً شيعته عند مسيره لحرب أهل الجمل: ((واللّهِ لَتَفْعَلُنَّ، أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللّه عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإسْلاَمِ، ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً، حَتَّى يَأْرِزَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُم))[٢٩]، جزم ابن أبي الحديد أنّ (حتى) دالةٌ على أنّ ما بعدها علة في حصول ما قبلها، فالأمر – أي السلطان – لا يعود إليهم حتى يصير في عهدة غيرهم. على حين احتمل البحراني في (حتى) احتمالين، تتغير الدّلالة بحسب كلٍّ احتمال، فإنْ كانت (حتى) دالةً على انتهاء الغاية فيُفهَم منه عدم عودة السلطان إليهم، وإنْ جُعلت سبباً لعدم نقل السلطان، فُهِم منه عودته إليهم معنى[٣٠]. ومعنى انتهاء الغاية لـ (حتى) في هذا المقام هو الأنسب■

١) ينظر: نتائج الفكر ٢٥٢، وبدائع الفوائد ١٢٧/١.
٢) ينظر: شرح المقدمة الجزولية الكبير ٤٢٩/٢.
٣) ينظر: معاني النحو ٣١/٣، ونظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني ١٣٤.
٤) ينظر: معارج نهج البلاغة ٨٩، ومنهاج البراعة، الراوندي ١٢٩/٢، وشرح نهج البلاغة، البحراني ٣١١/١، وشرح نهج البلاغة، محمد عبده ٣٢١/١، وشرح نهج البلاغة، أنصاريان ١٥٩/١، وشرح نهج البلاغة، محمد أبو الفضل ٣٤٠/١.
٥) نهج البلاغة، الخطبة ٦، ص ٣٧.
٦) ينظر: وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٢٣/١، وشرح نهج البلاغة، البحراني ٢٨١/١، وفي ظلال نهج البلاغة ٢٦٦/١.
٧) ينظر: نهج البلاغة، الخطبة ٦، ص ٣٧.
٨) ينظر: كتاب سيبويه ٣١٠/٢، وشرح المقدمة الجزولية الكبير ٢/ ٧٨، ومعاني النحو ٣١/٣.
٩) ينظر: منهاج البراعة ٣/ ١٤٤، ١٥٩ و ٤/ ١٨٢.
١٠) ينظر: المصدر نفسه ١٤٤/٣.
١١) طه / ٩١.
١٢) نهج البلاغة، الخطبة ٤٤، ص ٨٦.
١٣) شرح نهج البلاغة، البحراني ١١٨/١، و منهاج البراعة، الخوئي ٤/ ٢٣٣، وتوضيح نهج البلاغة ١/ ٢١٠.
١٤) شرح نهج البلاغة، البحراني ١١٧/١، و شرح نهج البلاغة، أنصاريان ١٦٥/١.
١٥) ينظر: شرح نهج البلاغة، البحراني ١١٨/١.
١٦) في ظلال نهج البلاغة ١/ ٢٦٧.
١٧) البقرة/ ٢١٧.
١٨) ينظر: منهاج البراعة ١٨٢/٤.
١٩) نهج البلاغة، الخطبة ٩، ص ٣٨.
٢٠) ينظر: منهاج البراعة ٣/ ١٥٩.
٢١) شرح نهج البلاغة ٨٧/١.
٢٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٣٧/١، وينظر: شرح نهج البلاغة، محمد عبده ٤٨/١، وفي ظلال نهج البلاغة ٢٧٤/١، وشرح نهج البلاغة، محمد أبو الفضل ٤٤/١.
٢٣) ينظر: أعلام نهج البلاغة ٥٥/١.
٢٤) نهج البلاغة، الخطبة ٣٣، ص ٧٣-٧٤.
٢٥) مع نهج البلاغة ـ دراسة ومعجم ٣٥.
٢٦) ينظر: المصدر نفسه ٣٥، ٢١٢.
٢٧) ينظر: منهاج البراعة، الراوندي ٣٧١/١، وحدائق الحقائق ١/ ٢٥٩، وشرح نهج البلاغة، البحراني ٧٣/٢، وأعلام نهج البلاغة ٦٥/١، وشرح نهج البلاغة، محمد عبده ٩٠/١، ومنهاج البراعة، الخوئي ٤/ ٦١، وفي ظلال نهج البلاغة ٢٢٠/١.
٢٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٨٦/٢.
٢٩) نهج البلاغة (الخطبة ١٦٩) ٣٢٤.
٣٠) منهاج البراعة: الخوئي١١٠/١.

واحة الأدب

قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري
شاعر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

فارس رزاق الحريزي •
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع

عندما يخط القلم أسماء عظماء الرجال وأشجعهم، والمخلصين لنبيهم محمد صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام وولده الحسن عليه السلام لا يكل التدوين ولا ينقصه الدليل واليقين، لكونه يتطرق إلى النجباء الواثقين، والرجال الميامين، فقد قضى عمره المديد في رحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن بعده تحت ظل الإمام علي عليه السلام وبقي بعده مقاتلاً صنديداً ووفياً في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام، تملأ العزائم تفكيره ولا تضعف. غير مكترث ولا يائس لما تؤول إليه عاقبة الأمور، إذ ديدنه العطاء ولا ترهبه الأرزاء، طباعه كالعُقاب يبسط سطوته في أعالي الذرى مهما تزاحمت الخطوب. فهو الأفضل إن ازداد التأويد برجاحة عقله، وانجلاء الأمور لديه بحقبة عمره، فكان كالبدر الذي أفرط في العلوّ ضوءه.

أجل إنه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، صحابي من خلص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه حروبه كلها، وكان مع الحسن عليه السلام مخلصاً في اعتقاده وودّه[1]. فلا غرو إذا ما قال الإمام علي عليه السلام فيه لأهل مصر: وقد بعثت إليكم قيس بن سعد الأنصاري أميراً فوازروه وأعينوه على الحق[2].

ولا ضير بتسميته بالأمير لأنه (العقيدة المصهورة، والدهاء المعترف به في تأريخ العرب، والشخصية الممتازة، شبّ مع الجهاد، واستمر على الدرب اللاحب)[3].

فقد كتب يوما كتابًا إلى معاوية، ومما جاء فيه: يا وثن بن وثن، تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك، وتخوّفني بتفرق أصحابه عنه، وانثيال الناس عليك، فو الله الذي لا إله غيره لا سالمتك أبداً وأنت حربُه، ولا

اخترت عـدّو اللّه على وليـه، ولا حزب الشيطان على حزبه[٥].

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عقيدة راسـخة وإيمان ثابت بولائه لأمير المؤمنين عليه السلام، وبراءته من أعدائه.

لقد برز شاعرنا قيس في حلبات أدب الخلافة العلوية نثراً وشعراً وحلق بروائعه الأدبية، واحتجاجاته البليغة أيما تحليق[٤]، حتـى قال عنه معاوية: إن خطيب الأنصار قيس بن سـعد يقوم كل يوم خطيباً، وهو واللّه يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنا حابس الفيل[٥].

إن شـاعرية قيـس كانت ومـا زالت مثـار إعجاب، وحلاوة اللفظ، وسـلامة التعبير، وشـعره ظـلّ خير شـاهدٍ على ذلك، وقد كان خطيباً مؤثراً في سامعيه، لا سيما إذا ما اندفع بعاطفته الصادقة.

من شعر قيس:

عندمـا توجـه أميـر المؤمنيـن عليه السلام سنة سـت وثلاثين إلى البصرة لمواجهة الناكثين (طلحة والزبير) أصحاب الجمل، وتحدو بهم عائشـة إلى ذلك المكان الذي قبروا فيه، سالكاً طريقاً لا يمر بالكوفة، أرسل إلى أشراف القوم في الكوفة كتاباً بيد الحسن بن علي عليه السلام، يرافقه عمار بن ياسر، وقيس بن سعد، بعد أن علم أنّ والي الكوفة أبو موسى الأشـعري الذي كانت همته متدنية ونواياه مبطنة، وإلى أصحاب الجمل مائلة، وبعد قراءة الكتاب وخطاب الإمـام الحسـن عليه السلام المؤثـر اسـتجاب النـاس إلـى نصـرة الإمام الحسـن عليه السلام بقوة، فقال قيس هذه الأبيات من الطويلة:

جزى اللّه أهل الكوفة اليوم نصرة
أجابوا ولم يأتوا الخذلان من خذل
وقالـوا عليٌّ خيرُ حـافٍ وناعل
رضينا به من ناقِض العهد من بَدَلْ
همـا أبـرزا زوج النبـيّ تعمدا
يسوق به الحادي المنيخ على جمل
فمـا هكـذا كانت وصـاة نبيكم
وماهكذاالإنصاف أعظم بذاالمثل
فهـل بعد هذا من مقـال القائل
ألا قبّـحَ اللّه الأمانـيّ والعِلَلْ[٦]

وقد ورد: خير حـافٍ وناعلٍ: أي خير البشـر، والحادي: زجل الإبل وسـاقها، والمنيخ: اسـم فاعل من أنـاخ البعير، ما هكذا الإنصـاف: قول الإمـام علي عليه السلام: ما أنصفـك الذين أخرجـوك، إذ صانوا عقائلهم وأبـرزوك، الأماني: جمع أمنية وهي إرادة الشيء.

وقبل هذه القصيـدة، لمّا نزل الإمام الحسن عليه السلام وعمّار وقيس الكوفة، ومعهم كتـاب أميـر المؤمنيـن عليه السلام قـام فيهـم الحسن عليه السلام فقال:..... وقام عمّار، فقال:... ثـم قام قيس ،فقال :أيهـا الناس إن هذا الأمر لو استقبلنا به أهل الشورى لكان علي أحق الناس به لمكانه من رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وكان قتـال من أبـى ذلك حـلالًا فكيف بالحجـة علـى طلحة والزبير وقـد بايعاه طوعًا ثم خلعا حسـدًا وبغيًـا وقد جاءكم علي فـي المهاجريـن والأنصار وأنشـأ يقول:

رضينا بقسـم اللّه إذ كان قِسمنا
علياً وأبنـاء النبـي محمـدِ
وقلنا لهم: أهلاً وسـهلاً ومرحباً
نمـدُّ يدينـا من هـوىً وتـودِدِ
فما للزبير الناقض العهد حرمةً
ولا لأخيـه طلحة اليـوم من يد
أتاكم سـليل المصطفى ووصيُّه
وأنتم بحمـد اللّه عارضة الندي

فمن قائم يرجى بخيل إلى الوغى
وضُمٍّ العوالـي والصّفح المُهَنَّدِ
يُسـوِّدُ مـن أدناه غيـر مدافع
وإن كان مـا نقضيه غير مسـوَّدِ
فإن يأت ما نهـوى فذاك نريدهُ
وإن نُخطِ ما نهوى فغير تعمُّدِ[٧]

والقصيدة من الطويل جداً.

القِسـمُ بالكسـر: النصيب، والحظ، اليـد: هنا بمعنى الطاعـة، أي (ما لطلحة طاعة) مـن قولهم خلع يده عـن الطاعة. واليـد أيضـاً بمعنـى القـوة والقـدرة. والسـليل: السـيف المسـلول: أي سليل المصطفى ووصيّـه. عارضة الندي: تأتي بمعنى الناحية، والسـحابة المعترضة في الأفق: أي لا خيـر فيهم لكونهم منفردين وكالسـحابة التـي تعترض وتـزول. صم العوالـي المكتنزة الجوف. والعالية: أعلى القناة وجمعها العوالي. الصفيح: السيوف العريضة. والمهند: سيف مهنّد عُمِل ببلاد الهند وأحكم عَمَلُه.

ولـه من البسـيط أشـعار رائعـة مثل (جبريل لنا مدد).

إذ تقـدم قيس بن سـعد وجماعة من حماة الأنصـار (بعد مصرع عمار)فقاتلوا قتالاً شديداً فأنشأ قيس يقول: ما ضر من كانت الأنصار عصبته.

أما ابن عساكر فإنه قال: لما عقد علي بـن أبي طالب الألوية لأجل حرب صفين أخرج لواء رسول الله ﷺ، ولم يزل ذلك اللواء منذ قبض رسـول الله ﷺ، فعقده علي عليه السلام ودعا قيس بن سـعد فدفعه إليه، فاجتمعت الأنصار وأهل بدر، فلما نظروا إلـى لـواء رسـول الله ﷺ بكوا فأنشـأ قيـس: هذا اللـواء الذي كنا نحـفُّ به[٨] (من البسيط)

ما ضرَّ من كانت الأنصار عصْبتَهُ
أن لا يكون له من غيرهم أحدُ
قومٌ إذا حاربـوا طالت أكفُّهُمُ
بالمشـرفيةِ حتى يُفتحَ البلدُ
والناسُ حربٌ لنا في الله كلُّهمُ
مستجمعون فما ناموا ولا فُقدوا
هذا اللـواء الذي كنا نحفُّ به
مع النبـي وجبريل لـه مدَدُ

فاليوم ننصره حتى يقيم لهُ
أهل الشَّنان ومن في دينه أودُ
أهل الصلاة قتلناهم ببغيهم
والمشركون قتلناهم بما جحدوا
حتى تطيعوا علياً إن طاعته
دين عليه يُثيبُ الواحدُ الصمدُ
من ذا له في قريش مثل حالته
في كل معمعةٍ أو مثله أحدُ
لو عدَّدَ الناس ما فيه لما برحت
تثنى الخناصر حتى يفند العدد
هلا سألت بنا والخيل سائحةٌ
تحت العجاجة والفرسان تطَّردُ
وخيل كلب ولخم قد أضر بها
وقاعنا إذ غدوا للموت فاجتلدوا
من كان أصبر فيها أزمتها
إذا الدماء على أجسادها جسدُ

وله من الخفيف قصيدة(من كنت مولاه)[٩].

قلت لما بغى العدوُّ علينا
حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصـ
ـرَةَ بالأمس والحديث طويل
وله شكر ما مضى وعلى ذا
إن هذا من شكره لقليلُ
وعليٌّ إمامنا لا سواه
في كتاب أتى به التنزيل
حين قال النبيُّ: من كنت مولا
هُ علي مولاه، هذا دليل
أينما قاله النبيُّ على الأمّـ
ـة فرضٌ وليس قالٌ وقيلُ
يا بن هندٍ أين الفرار من المو
تِ وللموت في الفجاج ذيولُ
ولواء النبي يخفق في كفـ
ـف عليّ نصيره جبريل
ثم حامت عليه من سلف الخز
رج قوم كأنهم إكليل
عند ذاك العيان يخلفه الظنـ
ـن وما غيره هناك سبيل

---

١) شرح نهج البلاغة، بن أبي الحديد ١١٢/١٠، والدرجات الرفيعة، ص٣٣٦
٢) الغارات: ص١٢٩ وعنه في شرح النهج: ٥٩/٦
٣) صلح الحسن، الشيخ راضي آل ياسين، ص١٥٣
٤) ديوان قيس بن سعد، قيس العطار، ص٥٢
٥) صفين، ص٤٤٧
٦) أمالي الطوسي، ص٧٢٠، وعنه في البحار: ٥٣٢/٨، والغدير: ٧٦/٢
٧) الجمل: ص٢٤٦ ـ ٢٤٧، وعنه في الغدير: ٢/ ٧٧
٨) القصيدة في الفتوح ج٢، ص١٥٨. والأبيات (١، ٢، ٤) على التوالي في تاريخ دمشق ج٣، ص٢٤٥، وأسد الغابة ج٤، ص٢١٦، وأخبار شعراء الشيعة، ص٤٤
٩) القصيدة في الفتوح، ج٢، ص٣٨
*) ربيع الأبرار، ج٥، ص٣٤١.

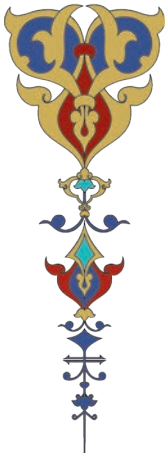

واحة الأدب

أمام لوحةِ عشقٍ نادرة

د. علي مجيد البديري •
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

(*) هذهِ الخُطَى انفرطَتْ من عِقدِ مَحبَّتِها ولَهفتِها، أفردَتْ جناحين من عَطشٍ صَاخِبٍ، وحلَّقَتْ نَحوكَ، ليس لِكَفَّيِ الزَّمنِ اتساعٌ ولا قدرةٌ يَستعينُ بها على تَقييدِها أو كَبْحِ جِماحِها، ففضاءُ عِشقِكَ يَدعُوها، ولا تَملكُ إلا أنْ تُلبيَ يا حُسين !..

(*) مَنْ قالَ أنَّ عِشقاً كهذا يَنتهي بالشُّهود؟ مَنْ قالَ أنَّ هِجرةَ القلوبِ إليكَ سينقَطِعُ حَبْلُها السُريُّ وتَجف، وأنَّ البصائرَ التي يَمَّمتْ يَقينَها لنورِك ستَكلُّ أو تَنعسُ أو تطرفُ حتى؟؟ أوَ يَملكُ المَأخوذُ بِحُبِّكَ فَراشاتِ دَمِهِ المُتدافعةَ نحو مِصباحِ أسرارِكَ؟ ؛ المصباحُ الذي علَّقهُ المَولى (تعالى ذِكرُه) شمسَ هدايةٍ على صَدرِ السَّماءِ يا حُسين!..

(*) هذهِ القُلوبُ السَّاخِنَةُ، والوجوهُ التي يَفيضُ من آنيتِها الشَّوقُ والوَلَهُ، الأيْدي التي تَلوبُ باحِثةً عَنْ بَردِ الوصُولِ إليكَ، تَردِّدُ كلماتِكَ التي أضَاءَتْ حَياةَ العِبادةِ ومَنَحَتْ سماءَها رُوحاً وارفَة:

تَركتُ الخَلقَ طُرَّاً في هَواكا
وَأيْتَمتُ العِيالَ لكَي أراكَا
فلو قَطَّعتَني بالسَّيفِ إرباً لمَا
مَالَ الفُؤادُ إلى سِواكَا

تُردِّدُ كَلماتِكَ يا أصْفَى نَبعٍ، ويا بابَ بَهجَتِنا، وَجَنَّتِنا، في يديكَ الكَريمتين عَقَدَ اللّه تَعالى مَفاتيحَ أرْواحِنَا، فَجُدْ عَلى ظَلامِها المُطْبِقِ بِنورِكَ يا حُسين!..

(*) إليكَ.. مِنْ شَتَّى بِقاعِ الأرضِ يَزحَفُ الوَلاءُ، يَحملُ على كَفَّيهِ وجهَهُ الذي غَيَّرتْ مَلامحَهُ لوعَةُ الاغتراب، حينَ يَراكَ تَنْبَعِثُ في أوردتِهِ وَطَناً، وتَصحُو في غَيابَةِ صَباحَاتِهِ المُطفَأةِ فصُولُك النَّابِضةُ بالفَجْرِ والأعيَادِ، تَغسِلُ عَن جُفونِهِ رَمادَ الألم، وتَمتلئُ عَيناهُ بالفَرحِ والحُبِّ هَادرةً: لقدْ طَالَ اغترابُنا يا حُسين!..

(*) هذهِ العُيونُ تَقرأُ في سُورةِ طَفلِكَ

حياتَها، تَبسطُ أشرعَتَها في سَماواتِ عَطائكَ المُحمَّدي، طَفَّكَ الذي لا يَنطَفِئُ، يُبَدِّدُ عتمةَ الدَّربِ والتَّعبِ والقُيودِ، لأنَّهُ التَّسبيحُ الحقيقيُّ للمَولى (جلَّ وعَلا)، لأنَّهُ السَّعيُ إلى الكَمالِ، لأنَّهُ سَفينُكَ الذي يَمخرُ عُبابَ البُحورِ ولُجَجَها الغَامِرةَ، و ليسَ لَنا غَيرُ سَفينِكَ يا حُسين!..

(*) ليتَ الكَلمةَ تتسعُ لبَحرِكَ، أنتَ تَفيضُ دَوماً، فِي كُلِّ لحْظةٍ نُفرِغُ عُيونَنا من حُمولَتِها الذَّابلةِ لتَسكبَ عَلى حَبَّاتِها شُموسَاً يانِعَة، كَمْ مَرةً زادَنا ريُّك عَطَشاً، أَوَ يُمكِنُ أنْ نَرتوي مِنْكَ يا حُسين!؟؟

(*) لقدْ عَلَّمْتَ هذي العيونَ ألَّا تُبصرَ غَيرَ ضياءِ النَّهار، فكلُّ ضَوءٍ غَيرُه زائفٌ، وألَّا تَلجأَ لغيرِ جُودِيِّ مَحبَّتِكَ حينَ تَفيضُ تَنانيرُ الشُّبُهات.. عَلَّمْتَها حينَ تَزدحمُ الأبصارُ عِندَ أبوابِ شَتى ألَّا تَطرقَ غَيرَ بابِ مُحمّدٍ وآلِ مُحمّد، وألَّا تُصغِي لهُتوفِ الشَّيطانِ بها، لقدْ شَرحْتَ صدورَ بصائرِنا بلطائفِ نُورِكَ يا حُسين!

(*) أفِضْ على هذهِ الجُمُوعِ الزَّاحفةِ إلى ضِفافِكَ دُعاءَ بالسَّكينة، يا سيدَ الدُّعاءِ والسَّكينَة، لقدْ رافقَ عِشقُكَ نَبضَها مُذ شَهقَتْ شَهقَتها الأولَى في دُنيا الوَلايةِ والمَحبة، ورَكبَتْ في سِنيِّ زَحفِها الغَابرةِ أمواجَ النَّارِ لتصلَ إليكَ، ويَصخَبُ في دَمِها يَقينٌ بفَتْحِكَ الذي صَنعْتَهُ بدمِكَ و رَضيعِكَ وأخيكَ وبنيكَ ونسائكَ وصَحبِكَ، إنَّهُ فَتحُ النُّفوسِ، فَتحُ القُلوبِ عَلى فُيوضَاتِ العِشقِ الإلهيِّ الذي لا تُدركُهُ البَصائرُ المُعتمَةُ، فأيُّ قُربٍ هو قُربُكَ يا حُسين!

(*) مِنكَ خُطوتُنا الأولى تُولَدُ، وإليكَ تَنتَهي. مِنكَ كلمَتُنا الأولى، ولصُحُفِكَ

الخَضـــراءِ تَنتَمـــي. أنـــتَ بَوابـــةُ المُبتدأ والمُنتهى، تَكتـــظُ عِند أعتابهـــا أحلامُنا وآمالُنـــا، إلى عينيكَ أبـــا الرُّحماءِ يؤوبُ رفيـــفُ العَطْفِ والشَّـــفقة، مَنْ يَســـتطيعُ أنْ يَبكـــيَ أسَـــفاً وإشـــفاقاً عَلـــى قاتليه، وفـــي عَينيـــهِ تَشـــتعلُ خيامُـــه بالعَويل؟؟ أنتَ وحدَك مَن اســـتطاعَ ذلـــكَ، أوْثقتَ شـــياطينَهم بجبْريلِ دمائـــكَ، صَنعْتَ من جراحِكَ نافذةً للحَمائم، ودَرباً للسَّـــالكينَ يا حُسين!

(*) مـــاذا صَنعْـــتَ بعُشَّـــاقِكَ أبـــا العَارفيـــن؟؟!!!، تَحكـــي إلـــى التاريـــخ شُـــموسُ محبَّتِهـــم الأزليةُ مَلاحـــمَ الوَلَهِ وحَكايـــا الوَجـــدِ والعُرُوجِ لـــوردةِ روحِكَ الحَانيـــة، نَقَشُـــوا عَلـــى رَقيـــمِ جباهِهـــم قَصائدَهُم التي لا يَستطيعُ تَأويلَ صورِها والوصُـــولَ إلى مَفاتيـــحِ دَلالاتِهـــا قارئٌ غيرُهم، هُـــم فَقط أدركُوا سِـــرَّ الجَمالِ الذي يَصنعُهُ العِشقُ شِعراً، هُمُ الوحيدونَ الذينَ صَنعُوا مُدناً للنَّهار، وأسْـــكَنوا فيها الحُرِّيةَ والمَحبةَ والتَّســـامحَ، بَعدَ سَنواتٍ ضَوئيةٍ مِن عُصورِ عِشـــقِهم، أيُّ شَـــجرةٍ للعَزمِ والإصرارِ غَرسْـــتَ في نفوسِهم يا حُسين؟؟!!

(*) كُلُّ المَدائـــحِ تَخفِضُ أجنحَتَها عِندَ أعتابِ دَمِكَ الشَّـــاهِقِ، يا مُحرِّرَ الحُرُوفِ مِن أســـرِها، وصانعَ ثـــورةِ الكَلمَـــةِ، كُلُّ الألسُـــنِ سَـــادِرةٌ في مَتاهاتِ الكَلامِ حينَ تَبتعدُ عَن أبجَديَّتِك. عِندَ شَـــاطئِ جُملَتِكَ الصَّاخِبَةِ (هَيهاتَ منَّا الذِّلةُ) تَرسُو اللُّغاتُ خَرســـاءَ، وتَقِـــفُ أعماقُها عِندَ سُـــطوحِ مُدَوَّنتِكَ شَـــاردةً، تَقطرُ حُرُوفُها دَهشَـــةً وذُهُولاً. يَغمُرُنـــا صوتُك، دَوماً، بالبَهاءِ، ويَصعقُ غفلَتَنا كُلَّما لَوَّحَ اليأسُ حناجِرَنا يا حُسين!

(*) بأيِّ لُغةٍ يُمكنُ لي أنْ أصِفَ مَا أرَى؟ بأيِّ عَينٍ يُمكنُ لـــي أنْ أرَى مَا يُرَى؟ كُلُّ شَـــيءٍ، كُلُّ حَركـــةٍ، كُلُّ هَمسَـــةٍ أو صَيحةٍ هُنا، تَنـــزاحُ عَن المَألـــوفِ والمُعتادِ، كُلٌّ يَبتكِـــرُ فَصلاً خَامِســـاً خاصّاً بـــهِ في هذهِ السَّنَةِ، كُلٌّ يُسجِّلُ رســـالتَه بمَرايا رُوحِه، وعَناقيـــدِ دُمُوعِـــهِ، كُلُّ مَلامحِ المَشـــهدِ لا تَســـتقرُ عَلـــى حَـــالٍ، لا تَلبـــثُ الصُّورُ المُتَشكِّلةُ إلا قليلاً قَبلَ عُروجِها السَّريعُ.. ما الذي تَفعلُهُ الألوانُ في لوحةٍ تَهطِلُ على ســـاحَتِها المَلائكةُ مِثلَ النَّيازكِ عَلى بَحرٍ مِنَ شُمُوس؟!! لأنَّكَ روحُهَا يا حُسين!

(*) ما أشدَّ اتساعَ المَشهدِ، ومَا أضيقَ العِبـــارَة!، مَا أعمَقَ إشـــارةَ هـــذهِ الأكُفِّ، ومَـــا أعْجَزَ الكلمَات!... أنـــتَ مَنْ عَلَّمَتهم أنْ يَقولـــوا بمُنتَهى الصَّمتِ، وأنْ يَصمُتُوا بمُنتَهـــى القَولِ، أنْ يَنتصِـــروا عَلى نِصَالِ السُّيُوفِ بحرارةِ الدَّم، تَخَلَّقَتْ مَصائرُهم مِن جَديد، مِن نَوافـــذِ جراحِكَ النَّاطِقة، وراءَ ظُهورِهم خَلَّفُوا أنفُسَـــهم، وجَاؤوكَ وَالهينَ يا حُسين!

(*) هَكذا بينَ يديـــكَ تتزاحمُ الخُطى، وتَشُـــقُّ نَحو شُـــرُفاتِ نِدائـــكَ مَجراها، تَرتَسِـــمُ عَلـــى أحداقِهـــا صورتُـــكَ وأنتَ تَرفعُ بياضَ رضِيعِكَ أمامَ سَوادِهم، كيفَ يَمرُدُ السَّـــهمُ الأعْمَى توتَ رَقَبتِهِ المَائلة، كيفَ رَفْرفَتْ دهشـــتُهُ عَلى صَبَّارِ ذراعِكَ المُشتَعِل!. وتَراكَ تُوجِّهُ نصلَ عَليِّكَ الأكبرِ نَحو نَزيـــفِ ارتجافِهم، وتُقبـــلُ بمهجَتِكَ عَلـــى أحجَارِهـــمُ المَغمـــورةِ بالوَحـــلِ.. وتَـــرى يا سَـــيدي كيفَ تفتَّتـــتْ وجوهُهُمُ الدَّاكنـــةُ، وامتدَّ بنا الطَّريـــقُ.. فَكَمْ عُمْرَاً سنحتاجُ لنَتهجَّى أبجديَّتَكَ، ويغمِرَنا نَديفُ بهائكَ المَلكوتيِّ يا حُسين!

واحة الأدب

قصة قصيرة

ماذا.. لو..

بقلم: بنت العراق •

ينابيع

ماذا.. لو..

لم تفهم مضمون شكواه فقد راح يتحدث بإسهاب، إلا أنها وجدت نفسها راغمة تستمع إليه..

كنت في الثامنة من عمري عندما سجن والدي.. سجن لأنه تشاجر مع أحدهم.. كان غالباً ما يتشاجر وينجو بأفعاله.. إلا أنه هذه المرة ضرب الرجل حتى أعاقه.. وبهذا لم يتنازل ذووه.. مما أدى إلى محاكمة أبي وسجنه.. لم أكن أعرف أنه لن يعود إلى المنزل قريباً.. فبدأتْ المشاكل تحتدم بين والدتي وبيت جدي (أهل أبي).. وأخيراً قررتْ راغمة تركنا والرحيل إلى أهلها.. انتقلتُ إلى بيت عمي وافتقدتُ أبويَّ كثيراً.. كنت أبكي يومياً حتى أغفو ولم أجد من يجفف دموعي.. أو يعتني بي كأمي..

كنت ما أزال تلميذاً ولكن أصبحت مهملاً كسولاً.. فلم أكن أملك الوقت لمتابعة واجباتي لأني غالبًا ما أصحب عمي إلى عمله بعد المدرسة مباشرة فأعود تعباً ناعساً وأغفو.. ثم أذهب صباحاً إلى المدرسة...

كان المعلم يوبخني غالباً.. والتلاميذ يسخرون مني، فقد أصبحت في خانة الكسولين المتسخين.. وعندما كان يلحّ عليّ لأجلب أبي كان عمي يرفض المجيء..كنت أروح وأجيء من وإلى المدرسة مهاناً.. موبخاً.. محقراً.. تعباً...

لهذا استيقظت صباح يوم ما وقررت ألا أذهب.. وشعرت بسعادة وفرح غامر عندما لم يجبرني أحد على الذهاب.. ومرت أيام.. وتركت المدرسة..

وصار عمي يصحبني إلى العمل صباحاً وبعد الظهر.. وأتقنت العمل نوعاً ما.. فعملت عند رجل آخر.. وانتقلت بعدها للعمل عند آخر.. وكان عمي يستلم أجر عملي عني ويعطيني القليل وكنت أسرق منه أحياناً.. (لم تكن سرقة كنت أسترد حقي).

كان لدي ما يكفي من المال.. وبدأت أتأخر في العودة إلى المنزل فلم أجد من يحاسبني..لم أعد مبكراً بعدها.. كنت أذهب وأصدقائي إلى صالات اللعب.. وأحياناً نجلس في المقاهي وندخن السكائر. وصار لدي الكثير من الرفاق وعندما شكوت لهم جور عمي وأخذه مجهود عملي شجعوني على ترك المنزل.. واستمعت لهم فلم أعد يومها إلى المنزل وتركت العمل.. ووجدوا لي مكاناً للعمل وكنت أبيت في نفس الدكان.. ولم يبحث عني أحد.. أو يفتقدني.. ما

أســوأ أن تدرك أنك لا تعني أي شيء لأي أحد!!

وهكذا لم أعد إلى البيت مطلقاً شعرت بالحريــة ومــن ثــم بالوحــدة والخوف.. واختبرت أشــياءَ كثيرة أكبر من عمري.. عملــت فــي التســول مــدة.. وتعرضت لتحقير الآخرين ومرت عليّ أشهرٌ أحياناً دون أن أســتحم.. نمت في الشارع لياليَ كثيرة..

تعرضــت للاســتغلال والضــرب.. كبرت وسط هذه الصور المريعة القاتمة وتعلمت أنه يجــب أن أقاتل لآخذ حقي.. وقَسَتْ عليّ الحياة.. فقسوت.

بعد ســتة أعوام أفرج عــن أبي.. عاد إلــى المنزل.. وعادت أمي وأخي الصغير والتــمَّ شــمل العائلة من جديد.. ســمعت بذلــك.. ولم أعد بحاجة للعودة إليهم.. بل لم أجد أي مبرر لأعود..

انغمســت أكثر في عالمي.. وتركتهم يعيدون ترميم حياتهم ولم ألتق بهم..

خلف جدران البيوت الهادئة والعوائل المتماســكة عالم آخــر.. يحيل من يدخله إلــى خــراب يتلقــف الصغــار يخطفهم متعمداً ويزرع في قلوبهم العنف والقسوة باكــراً ويعدّهــم ليكونوا جنداً للشــيطان مخلصيــن ولهــذا لا تعرف أبــدًا أنك في الطريق الخاطئ لأنك لا تعرف غيره!!

كان الــورق المتضمن نوع الشــكوى مــا زال خاليــاً أمامها.. تأثــرتْ بعباراته الموجعة إلّا أنها ما زالت تجهل مما يشكو ومن ظلمه حقه!؟

عندمــا هــدأ مــن استرســاله ولمح الاستفهام في عينيها قال:

خرجــت قبــل أســبوع مــن ســجن الأحــداث وقــد اختبرت فيه أشــياء أمر وأقســى (مكثت فيه عاماً ونصف) سجنت لأني ضربت أحدهم بسكين.. كنت أدافع عن نفسي عندها، لكن لم يصدقني أحد.

واليــوم جئت إلى ما تســمونه حقوق الإنسان شاكياً متسائلاً:

مــاذا لو كان أبــي أكثر حرصــاً على تربيتنا أو أكثر شعوراً بالمسؤولية أو على الأقل أكثر نضجــاً قبل أن ينجب أطفالاً.. وماذا لــو كان أهل والدتي أكثر إنســانية وتســامحاً فيســمحون لهــا باصطحابنــا معها.. أو لو كانت أشــد إصراراً وتحملاً ولــم تفارقنــا.. وماذا لــو كان عمي أكثر حنانــاً وحباً وتفهماً وحرصــاً.. بل لو كان معلمي أكثر تمعنــاً في ظروفي وبحثاً في أحوالــي قبل أن يدفعني لترك المدرســة بشكل أو بآخر..

ومــاذا لــو كانــت هناك مؤسســات اجتماعيــة تتلقــف أمثالي مــن الضَياع.. وتنقذهــم مــن خــوض غمار الشــارع.. تضمهم إليها وترعاهم.. وتمدهم بالعناية والحنان.. كل مــا كنا بحاجة إليه يد حانية ولقمة تســد رمقنا.. كل طفل تشــاهدينه اليوم في الشــارع تجدين مــن خلفه ألف قصــة وقصــة.. يمقــت ما هــو عليه لأنه أصبح مكرهًا أداةً بيــد ضعاف النفوس.. فضاع في دروب من الصعب النجاة منها.. والأشــد من ذلك أن قلبــه الصغير امتلأ حقــداً وغيظاً على أســرته ومجتمعه وكل من حوله..

هكــذا اســتمعت إليــه، متأثــرة به، مشفقة عليه،... جال في خاطرها :

ماذا لو أن كل مــن يقرأ هذه القصة.. ولــه القدرة.. يباشــر في تغيير شــيء ما خاطئ من حوله.

في الذاكرة..

شهر جمادى الأولى

٥ مولد السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام سنة ٥ هـ.

٦ واقعة مؤتة وشهادة جعفر الطيار عليه السلام سنة ٨ هـ.

٨ وفاة السيد محمد باقر الخونساري صاحب كتاب (روضات الجنات) سنة ١٣١٣ هـ.

٩ استشهاد الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) سنة ٦٨٧ هـ.

١٠ واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ.

١١ ولادة الخواجة نصير الدين الطوسي سنة ٥٩٧ هـ.

١٣ شهادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله (على رواية) سنة ١١ هـ

١٤ دفن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ليلًا حسب وصيتها.

١٥ ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام (على رواية) سنة ٣٨ هـ.

١٥ فتح البصرة لأمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل سنة ٣٦ هـ.

١٦ غزوة ذات الرقاع التي استمرت ثلاثة أيام وصلى بها المسلمون صلاة الخوف سنة ٤ هـ.

١٩ شهادة زيد بن صوحان رضي الله عنه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل عام ٣٦ هـ.

٢٧ وفاة عبد المطلب جد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وللرسول ثماني سنوات وشهران وعشرة أيام، وفاة

٢٩ وفاة السفير الثاني محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه سنة ٣٠٥ هـ.

شهر جمادى الآخرة

٣ استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام (على رواية) سنة ١١ هـ.
هلاك هارون (الرشيد) سنة ١٩٣ هـ.

٩ وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين (صاحب كتاب المراجعات) سنة ١٣٧٧ هـ.

١٢ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر سنة ٧ هـ.

١٣ وفاة فاطمة بنت حزام (أم البنين) زوجة أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦٤ هـ.

١٣ تهديم الكعبة وحرقها على يد عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ.

١٥ ولادة الإمام السجاد عليه السلام سنة ٣٨ هـ (على رواية).

١٥ هلاك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ.

١٨ وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره سنة ١٢٨١ هـ.

٢٠ ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام السنة الخامسة للبعثة.

٢١ وفاة السيدة أم كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦١ هـ بعد ٤ أشهر من واقعة الطف ورجوعها إلى المدينة.

٢٣ وفاة الشيخ جعفر بن سعيد (المحقق الحلي) (على رواية) سنة ٦٧٦ هـ.

٢٦ استشهاد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (على رواية) سنة ٢٥٤ هـ.

٢٩ وفاة السيد محمد البعاج (سبع الدجيل) ابن الإمام الهادي عليهما السلام سنة ٢٥٢ هـ.

الدعاء في غرة جمادى الأولى

اللهم أنت الله وأنت الرحمن الرحيم ، وأنت الملك القدوس، وأنت السلام المؤمن، وأنت المهيمن، وأنت العزيز، وأنت الجبار، وأنت المتكبر، وأنت الخالق، وأنت البارئ، وأنت المصور، وأنت العزيز الحكيم، وأنت الأول والآخر والظاهر والباطن لك الأسماء الحسنى.

الدعاء في غرة جمادى الآخرة

اللهم يا الله أنت الدائم القائم ، يا الله أنت الحي القيوم ، يا الله أنت العلي الأعلى ، يا الله أنت المتعالي في علوك ، إله كل شيء ، ورب كل شيء ، وخالق كل شيء ، وصانع كل شيء ، القاضي الأكبر القدير المقتدر ، وتباركت أسماؤك وجل ثناؤك .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعرفنا بركة شهرنا هذا وارزقنا يمنه ونوره ونصره وخيره وبره ، وسهل لي فيه ما أحبه ويسر لي فيه ما أريده ، وأوصلني إلى بغيتي فيه أنك ، على كل قدير . اللهم إني أسألك يا من يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، يا من لكل مسألة عنده سمع حاضر وجواب عتيد ، وكل صامت علم منه باطن محيط ، ومواعيدك الصادقة ، وأياديك الناطقة ، ونعمك السابغة ، وأياديك الناطقة ، ونعمك السابغة ، وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة .

وقفة مع الذكرى..

استشهاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

(على رواية) في ٣ جمادى الآخرة سنة ١١هـ.

لما حملت خديجة بفاطمة عليها السلام صارت تحدثها في بطنها، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل يومًا وسمع خديجة تحدث جنينها، فقال لها: يا خديجة من يحدثك؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، فقال لها: (هذا جبرائيل يبشرني أنها أنثى وأنها النسمة الطاهرة الميمونة وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة في الأمة يجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه)[1].

ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنوات، فعاشت تحمل في شخصيتها العظمة والنور، تنتقل من حجر خديجة إلى حجر النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يغذيها بمعين الرسالة، وكانت أحب أهل بيته إليه صلى الله عليه وآله، فترعرعت في البيت الذي كان محطاً لملائكة الرحمن.

ولما كبرت فاطمة عليها السلام أخذت تشاطر والدها هموم الرسالة الإسلامية، وتقوم بالدفاع عنه كلما تطلب الموقف ذلك. حتى إذا بلغت مبلغ النساء نزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (بَعَثَنِي اللّه عَزَّ وجَلَّ أَنْ أُزَوِّجَ النُّورَ مِن النُّورِ. قَالَ: مَنْ مِمَّنْ؟ قَالَ: فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ)[2]. فامتثل النبي صلى الله عليه وآله لذلك ودعا علياً وأمره بالزواج امتثالاً لرسالة الله تعالى، بينما غمرت الفرحة قلب أمير المؤمنين عليه السلام لما لفاطمة من عظمة ومنزلة عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله. وهكذا دخل السرور والابتهاج إلى قلب فاطمة عليها السلام لأنها تعلم أنه لا يليق بها سوى علي عليه السلام، فكلاهما كفؤ للآخر. وهكذا أصبحت فاطمة زوجة عظيمة لزوج عظيم، فأنجبت عليها السلام أربعة هم: الإمام الحسن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، والسيدة زينب عليها السلام، والسيدة أم كلثوم عليها السلام، وسقط منها جنينها (المحسن) في أحداث مؤلمة ستأتي فيما بعد. ولقد كرّم الله هذه العائلة الشريفة في كتابه المجيد في عدة مواضع. فأشار إلى عصمتهم وطهارتهم بقوله: (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) (الأحزاب: ٣٣)، فكان بيت فاطمة مثالاً للتّأسي والنجاح. أما المعاجز التي حصلت لفاطمة فهي أكثر مما تحصى، ولا يتسع المقام لذكرها. وأما فضلها، فقال صلى الله عليه وآله: (لما عُرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، عليٌ حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، على باغضهم لعنة الله)[3]. وقال أيضًا: (فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)[4]، وكان يقول: (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها

أغضبني)[٥]. وكان يبشر محبي فاطمة بالجنة، وأنها تشفع لمن أحبها وآمن بالله تعالى. وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ذات مرة مع بعض أصحابه وأخبرهم عن عظمة فاطمة يوم القيامة، فقال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمرّ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق)[٦]

ولكن... هل تعلمون أيها الأحبة أن هذه المرأة العظيمة قد ظُلمت بعد وفاة أبيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. علمًا بأنه أخبرهم بما سيحصل لها بعد موته!!، فقال: (كأني بها وقد دخل الذلّ بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصب حقها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها... وأسقطت جنينها وهي تنادي: يا محمداه فلا تُجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية..)[٧]... فقد صادروا (فدك) وأخذت منها غصبًا. وهكذا عندما حاولوا أخذ البيعة من أمير المؤمنين علي عليه السلام بالقوة، جاؤوا إلى بيت فاطمة عليها السلام وأحرقوا عليها الباب. ثم إثر ذلك سقط جنينها (المحسن) من بطنها ومات. ومرضت فاطمة عليها السلام أثر ذلك حتى ماتت وهي شهيدة مظلومة فلم يحترموها.. ولم يقدّروا منزلتها.. بل صغّروا من شأنها العظيم... فإنا لله وإنا إليه راجعون. لقد توفيت وهي غاضبة على أولئك الذين غصبوا حقها، ولم يطيعوا قول النبي صلى الله عليه وآله فيها: فاطمة بضعة مني من أحبها فقد أحبني ومن آذاها فقد آذاني. ولهذا دفنها الإمام علي عليه السلام ليلاً لئلا يحضر جنازتها من لا تحب كما أوصته بذلك. وأخفى أمير المؤمنين عليه السلام أمر تشييعها ودفنها، بل حتى مكان قبرها، ولم يعلم به أحد سوى المخلصين من أصحابه... وظل قبرها إلى اليوم في عالم المجهول... وهو دليل إدانة مستمر للذين ظلموها■

---

١) دلائل الإمامة/الطبري ص٧٧.
٢) الكافي/للكليني ج١ص٤٦١.
٣) الأمالي/الطوسي ص٣٥٥.
٤) روضة المتقين/المجلسي: ج٥ ص٣٤٦.
٥) صحيح البخاري/ج٥ص٣٦.
٦) كنز العمال/ المتقي الهندي ج٦ ص٢١٨.
٧) الأمالي/الصدوق ص١٧٦.

وقفة مع الذكرى..

وفاة فاطمة بنت حزام (أم البنين) زوجة أمير المؤمنين عليه السلام في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٦٤هـ

غلبت كنيتها (أم البنين) على اسمها (فاطمة) لالتماسها من أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتصر في ندائها على الكنية، لئلا يتذكر الحسنان عليهما السلام أمّهما فاطمة عليها السلام يوم كان يناديها في الدار. واسمها فاطمة بنت حزام بن خَالد بن ربيعة الكلابيّة، وأهلُها هم من سادات العرب، وأشرافهم وزعمائهم وأبطالِهم المشهورين، حَبَاهَا الله نفساً حرةً عفيفةً طاهرة، وقلباً زكياً سليماً، ورزقها الفطنة والعقل الرشيد. فجمعت إلى النسب الرفيع حسباً منيفاً، لذا تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام لتكون حليلته، وليكون له منها بنون ذوو خصالٍ طيّبة عالية. فكانت من النساء الفاضلاتِ، العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام، وكانت فصيحة، بليغةً، ورعة، ذات زهدٍ وتقىً وعبادة، فعاشت مع أميرِ المؤمنين عليه السلام في صفاءٍ وإخلاص، وعاشتْ بعد شهادته عليه السلام مدّة طويلةً لم تتزوج من غيره، وقد روت حديثاً عن علي عليه السلام في أن أزواج النبي والوصي لا يتزوجن بعده. وبعد عمرٍ طاهر قضته بين عبادةٍ لله جل وعلا وأحزانٍ طويلةٍ على فقد أولياء الله سبحانه، وفجائع مذهلة بشهادة أربعة أولادٍ لها في ساعةٍ واحدة مع الحسين عليه السلام في كربلاء. وبعد هذه الخدمة لأمير المؤمنين وأبنائه عليهم السلام وافاها الأجل في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٦٤ هـ. فسلامٌ على تلك المرأة النجيبة الطاهرة، الوفيّة المخلصة، التي واست الزهراء عليها السلام في فاجعتها بالحسين عليه السلام، ونابت عنها في إقامة المآتم عليه، فهنيئاً لها ولكل من اقتدت بها من المؤمنات الصالحات.

للمزيد راجع

(أعيان الشيعة/ محسن الأمين ج٧ص٤٢٩)

اهتدُوا بهديِّ عمّار

السيد معد البطاط •
أستراليا

ينابيع

لقد أثبت رسول الله ﷺ بأمر الله سبحانه خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بنصوص كثيرة وطرق متعددة وإشارات لطيفة غير مباشرة، ومن هذه الإشارات ما يخص الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه.

فقد بينت الآيات الكريمة والروايات الشريفة وإقرار الصحابة أن عماراً لا يفارق الحق وهو الدليل إليه وأُمرنا بالاهتداء به، وعندما نرجع إليه نراه قد سلك وادي علي عليه السلام من السقيفة إلى صفين وبهذا يكون عمار الهادي إلى الخلافة والدال على الولاية. وهذه شذرات من حياة هذا الصحابي الجليل الذي يعد ركنًا من أركان التشيع وعَلَماً من أعلامه:

أ: نسبه ونشأته

قال ابن عبد البر في الاستيعاب (عمار بن ياسر..العنسي ثم المذحجي أبو اليقظان حليف لبني مخزوم، وقال الواقدي وطائفة من أهل العلم.. إن ياسرًا والد عمار عرني ـ نسبة إلى عرنة بن نذير بطن من بجيلة (اللباب) ـ قحطاني مذحجي من عنس في مذحج، إلا أن ابنه عمارًا ولي لبني مخزوم، لأن أباه ياسرًا تزوج أمَةً لبعض بني مخزوم فولدت له عمارًا وذلك أن ياسرًا والد عمار قدم مكة مع أخوين له أحدهما يقال له الحارث والثاني مالك في طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبو حذيفة أمَةً له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عمارًا فأعتقه أبو حذيفة، فمن هذا عمار مولى لبني مخزوم وأبوه عرني كما ذكرنا لا يختلفون في ذلك.)[1].

وقال: (قال إبراهيم بن سعد: بلغنا أن عمار بن ياسر قال كنت تربًا لرسول الله ﷺ في سنه لم يكن أحد أقرب به سنًا مني)[2].

وبهذا يتبين أنه ولد في عام الفيل الذي ولد به النبي ﷺ أو بتقدم أو تأخر قليلاً فنشأ مع النبي ﷺ في مكة وفي سنه فلم يكن بعيدًا عن النبي ﷺ في الجاهلية ولا في الإسلام.

نقل الهيثمي في مجمع الزوائد: (يقول عمار: أنا من أعلم الناس بتزويج رسول الله إياها -أي خديجة- كنت من إخوانه فكنت له خِدناً وإلفاً في الجاهلية، وإني خرجت مع رسول الله ذات يوم حتى مررنا على أخت خديجة وهي جالسة على أدم لها فنادتني فانصرفت إليها، ووقف رسول الله ﷺ فقالت: أما لصاحبك في تزويج خديجة حاجة؟ فأخبرته فقال: بلى لعمري، فرجعت إليها فأخبرتها بما قال رسول الله، قال اغد إلينا إذا أصبحت غدًا، فغدونا عليهم..)[٣]، فهنا يبين عمار أنه كان أخاً للنبي ﷺ وخِدناً له وإلفًا في الجاهلية وكان النبي يألف له، وهذا الشرف لم يحصل عليه إلا القليل من الصحابة في هذا القرب المكاني والزماني والنفسي.

ب: إسلامه وإيمانه

قال ابن حجر: (كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يعذب في الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة. واختُلف في هجرته إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه... عن عبد الله إن أول من أظهر إسلامه سبعة فذكر منهم عماراً)[٤].

وقد تضافرت الروايات والأخبار في تعذيبه هو وأبواه في الصدر الأول من الإسلام وشهادة أبويه ونجاته ونزول القرآن فيه، فقد رافق النبي ﷺ في طفولته ولازمه في شبابه وآمن به في دعوته وكان من

السابقين لهذا الأمر، وكان أبواه أول شهيدين في الإسلام وقد رسما للأمّة طريق التضحية والفداء في سبيل المبدأ الذي آمنا به ورأيا فيه إنقاذ البشرية من براثن الشرك والظلم والجهل إلى معرفة الله والعدل والسعادة في الدارين، وإذا كان أبوَا عمار أول من استشهد في الإسلام وكان عمار معهم لكنه اختار الأرشد من الأمر-كما في الرواية- وإن كان كلا الأمرين رشيداً فينقذه الله بـ (التقية)لكي تمتد حياته بالجهاد ويأبى عمار إلا أن يشارك أبويه في وضع أساس الفضيلة لهذه الأمة كما شاركهم في التعذيب في سبيل الله فهما أول شهيدين، وقد بنى أول مسجد في الإسلام. قال الحاكم في مستدركه:(قدم رسول الله ﷺ المدينة أول ما قدمها، فقال عمار بن ياسر: ما لرسول الله ﷺ بد من أن نجعل له مكانًا إذا استيقظ من قائلته استظل فيه وصلى فيه، فجمع عمار حجارة فسوى مسجد قباء، فهو أول مسجد بُني وعمار بناه). وقال: (أول من بنى مسجدًا فصلى فيه عمار بن ياسر)[٥]. هكذا يلهم الله سبحانه هذا العبد الصالح ليبني أول مسجد في الإسلام ويسبق الأمة بهذا الفضل الجسيم ويكون مسجد قباء ذلك المسجد الذي أسس على التقوى ويكون المعمر عمارًا، ويبقى قباء إلى اليوم مسجدًا مقدسًا يصلي به المسلمون ويتوجهون للصلاة فيه من كل حدب وصوب، وكان النبي ﷺ يقصده ليصلي فيه، ولم تنته قصة عمار مع المساجد بهذا بل يشارك في بناء مسجد المدينة، وإذا كان الصحابة يحملون لبنة لبنة فهو يحمل لبنتين كما في الروايات.

ج: جهاده وشجاعته

يعد عمار من الطليعة الأولى من المجاهدين، ومن المقاتلين الشجعان الذين يندر أن ترى مثلهم من الصحابة؛ وذلك لطول حياته التي امتدت بالجهاد فمن تعذيب مكة إلى غزوات النبي ﷺ واليمامة وانتهاءً بمجاهدة علي عليه السلام للناكثين والقاسطين حيث كان عمار من القادة فيها. جاء في الاستيعاب: (وهاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها وأبلى ببدر بلاءً حسنًا ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضا ويومئذ قطعت أذنه)[٦].

ومماروي:هبط جبرائيل على رسول الله ﷺ يوم أُحد وكان يسأل عن الصحابة إلى أن قال: (من هذا الذي بين يديك يتقي عنك قال: عمار بن ياسر)[٧]. وأيضًا: (عن ابن عمر قال رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلم إلي وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال)[٨].

د: صفته وعلاقته مع القرآن

إن كانت علاقته مع النبي ﷺ حميمة ومع المسجد قديمة فلابد أن تكون علاقته مع القرآن عظيمة، فقد حدث ابن الجارود وهو يصف لنا جيش الإمام حين توجه إلى البصرة قال: (..ثم مر بنا فارس آخر على فرس أشهب عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينة ووقار رافعًا صوته بقراءة القرآن متقلدًا سيفًا متنكباً قوسًا معه راية بيضاء في ألف من الناس مختلفي التيجان، خلفه مشيخة وكهول وشباب كأنما أوقفوا للحساب، أثر السجود قد أثر في جباههم، فقلت: من هذا؟ فقيل: عمار بن ياسر في عدة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم..)[٩]. إن هذه الكتيبة من جيش

الإمام التي يقودها عمار، وهم بهذه الصفة ورائدهم عمار الذي أثر بهديه وتقواه عليهم حتى أصبحوا في جو ملكوتي يخترق هذه القرون ليؤثر على القارئ وهو يتمعن في هذه اللوحة الفنية التي رسمها عمار وكتيبته، وصوت القرآن يعلو من هذا الشيخ الذي عايش نزول الرسالة ورسولها وفهم القرآن ووعى آياته وطبق أحكامه.

و: فقهه وحكمته

لم يكن في فقهه أقل شأنًا من سابقته وجهاده، بل كان من فقهاء الصحابة وحكماء المسلمين وكان معلماً وداعيةً من دعاة النبي ﷺ يعلم الناس شرائع الإسلام ويوضح لهم آيات القرآن، فقد نقل عن عمار بن ياسر قوله: (بعثني رسول الله ﷺ إلى حي من قيس أعلمهم شرائع الإسلام قال فإذا قوم كأنهم الإبل الوحشية طامحة أبصارهم ليس لهم هم إلا شاة أو بعير فانصرفت إلى رسول الله ﷺ فقال: يا عمار ما عملت؟ فقصصت عليه قصة القوم وأخبرته بما بهم من السهوة، قال ﷺ: يا عمار ألا أخبرك بأعجب منهم، قوم علموا ما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم)[10].

ز: عفوه وتسامحه

١- قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ ص٣٤٠: (إن أهل البصرة غزوا نهاوند فأمدهم أهل الكوفة وعليهم عمار بن ياسر فظهروا فأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة فقال رجل من بني تميم أو من بني عطارد أيها العبد الأجدع تريد أن تشركنا في غنائمنا... فقال: خير أذنيّ سببت!. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)، كان عمار أميرًا على الكوفة في زمن عمر وكذا كان أميرًا على الجيش، وكان من الصحابة السابقين الذين لهم مكانة خاصة عند الصحابة فضلًا عن المسلمين المتأخرين الذين لم يدركوا النبي ﷺ، فكان في هذا الوقت يملك كل الإمكانات للتنكيل بهذا الشخص الذي سبّه هذا السب اللّاذع، ولكن بماذا استقبله عمار! استقبله بعبارة هادئة تبين له خطأه، هي قوله: إنك سببت أُذني المقطوعة في سبيل الله وهي خيرٌ من أُذني الباقية.

٢- وفي التمهيد لابن عبد البر عن ابن عباس (إن عمار بن ياسر أخذ سارقًا فقال ألا أستره لعل الله يسترني).

ح: استجابته للنبي ﷺ واستباقه للخيرات

قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**...) (الأنفال: ٢٤) نذكر قصتين في سرعة استجابة عمار للنبي ﷺ وتطبيقه آيات القرآن الكريم:

١- نقل الحاكم النيسابوري في مستدركه رواية طويلة عن جابر، نقتبس منها محل الشاهد: (.. خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع..... فنزل رسول الله ﷺ منزلًا فقال من رجل يكلأنا ليلتنا هذه؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقالا نحن يا رسول الله، قال: فكونا بفم الشعب. قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى الشعب من الوادي.....)[11] (هذا حديث صحيح الإسناد)، وذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري أن الأنصاري عباد بن بشير والمهاجري عمار بن ياسر.

٢- عن جرير بن عبد الله قال :خرجنا مع رسول الله ﷺ فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا فقال رسول الله ﷺ: كأن هذا الراكب إياكم يريد، قال: فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه فقال له النبي ﷺ: من أين أقبلت؟ قال

من أهلي وولدي وعشيرتي، قال صلى الله عليه وآله: فأين تريد؟ قال أريد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله: فقد أصبته، قال: يا رسول الله علمني الإيمان، قال: تشهد أن لا الله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. قال: قد أقررت..قال: ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليَّ بالرجل. قال: فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فأقعداه، فقالا: يا رسول الله قُبض الرجل قال: فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله أما رأيتما إعراضي عن الرجلين، فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعًا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا والله من الذين قال الله عز وجل: (**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**....) (الأنعام: ٨٢)[١٢] فنرى عمارًا يبادر أيضاً ويسبق غيره استجابة للنبي صلى الله عليه وآله وطاعة له.

ط - تواضعه وزهده

١- أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن زيد بن وهب قال أقبل طلحة والزبير حتى نزلا البصرة فقبضا على عامل علي عليه السلام عليها ابن حنيف وأقبل علي عليه السلام حتى نزل بذي قار فأرسل عبد الله بن عباس إلى الكوفة فأبطأوا عليه، فأرسل إليهم عمارًا فخرجوا إليه... فصعد المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن[١٣]... فالملاحظ من الرواية أنّ عماراً يكبر الحسن عليه السلام بأكثر من نصف قرن لكنّا نراه يرفع الإمام الحسن عليه السلام أعلى منه معترفًا بمنزلته، وتواضعًا منه وهذا ما لا يفعله الكثير.

٢-نقل البيهقي في شعب الإيمان ج٧ص٣٩٩: (مرّ عمار بن ياسر على ابن مسعود وهو يؤسس داره فقال: كيف ترى يا أبا اليقظان؟ قال عمار: أراك بنيت شديدًا وأملت بعيدًا وتموت قريبًا).

٣- عن أبي مريم قال: (سمعت عمار بن ياسر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما تزين الأبرار في الدنيا بمثل الزهد في الدنيا)[١٤]، وكان عمار مطبقًا لما سمع■

---

١) الاستيعاب/ابن عبد البر ج٣ ص١١٣٦.
٢) ن.م. ص١١٣٧.
٣) مجمع الزوائد/الهيثمي ج٩ص٢٢١.
٤) الإصابة/ابن حجر العسقلاني ج٤ص٤٧٣.
٥) المستدرك/الحاكم النيسابوري ج٣ص٣٨٥.
٦) الاستيعاب/ابن عبد البر ج٣ ص١١٣٦.
٧) المستطرف في كل فن مستظرف/الأبشيهي/ ج١ ص ٢٤٣.
٨) المستدرك/الحاكم النيسابوري ج٣ص٣٨٥.
٩) مروج الذهب/ المسعودي ج٢ ص٣٦٠.
١٠) مجمع الفوائد/الهيثمي ج١ ص١٨٥.
١١) المستدرك/الحاكم النيسابوري ج١ص١٥٦.
١٢) مسند أحمد بن حنبل ج٤ص٣٥٩.
١٣) المصنف/ابن ابي شيبة الكوفي ج٨ ص٧٢٠.
١٤) مسند أبي يعلى ج٣ص١٩١.

من حكم

أمير المؤمنين عليه السلام:

– العاقل من بذل نداه ...الحازم من كف أذاه .

– المروة تحث على المكارم ... الدين يصد عن المحارم.

– النصيحة من أخلاق الكرام ...

الخديعة من أخلاق اللئام.

– القدرة تظهر محمود الخصال ...المال يبدي جواهر الرجال.

– الظلم يطرد النعم ...البغي يجلب النقم.

– الكذب يزري بالإنسان ...النفاق يفسد الإيمان.

– المرء مخبوء تحت لسانه ... الكريم من بدأ بإحسانه.

– العفو تاج المكارم ... المعروف أفضل المغانم.

– التكبر يظهر الرذيلة ... التواضع ينشر الفضيلة.

– الصفح أحسن الشيم ... المودة أقرب الرحم.

– العقل ينبوع الخير ...الجهل معدن الشر.

– الأعمال ثمار النيات ...العقاب ثمار السيئات.

– البغي يزيل النعم ...الجهل يزل القدم.

– اللئيم لا مروة له ... الفاسق لا غيبة له .

– الكِبْر مصيدة إبليس العظمى ...الحسد معصية إبليس الكبرى .

– الاشتغال بالفائت يضيع الوقت ... الرغبة في الدنيا توجب المقت .

– الدهر موكل بتشتت الآلاف ...الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف .

– الإخلاص غاية الدين ... الرضا ثمرة اليقين .

– الحق أوضح سبيل ... الصدق أنجح دليل .

– البِرُّ غنيمة الحازم ...الإيثار أعلى المكارم .

ـ الورع جنة من السيئات ...التقوى رأس الحسنات

ـ الأطراف مجلس الأشراف ...الورع ثمرة العفاف

(عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي ص١٩)

الأدوار السياسية والاجتماعية والتربوية للأئمة عليهم السلام في ظل حكومات الجور

السيد أسعد القاضي •

ينابيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، إلى يوم الدين.

عاش الأئمة من بعد الإمام الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) في ظل حكومات الجور والطغيان، (**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ**) (إبراهيم:٢٨- ٢٩)، من بني أمية، إلى بني مروان، إلى بني العباس، (**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا**) (الأعراف: ٣٨)، بل قد أصبح من أساسيات توطيد أركان ملكهم هو نصب العداء لأهل بيت النبوة وأتباعهم وشيعتهم، وقتلهم وتشريدهم.

فقد قاسى الأئمة عليهم السلام وشيعتهم وأتباعهم أنواع البلاء من الحكّام والمتسلّطين، من السجن والتشريد والأذى والظلم والاستخفاف، والشواهد على ذلك كثيرة جداً.

أبادوهم قتلاً وصلبـًا وفي بنًا
وسمًّا وتعذيبـًا وإقبار آبار
وحرقًا وتمثيلًا وسجنًا وغربة
وسبيًا وتشريدًا وغصّة أكدار

ويكفينا في هذا الصدد ذكر نموذج من الظرف الذي عاشه الأئمة عليهم السلام، والذي يعتبر واحدًا من بين عشرات القصص والشواهد التي من خلالها يتجلى لنا وبوضوح كيف كان الظرف حساسًا وحرجًا.

فقد روى الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه دخل على أبي العباس السفاح عندما كان بالحيرة، وكان ذلك اليوم هو اليوم الأخير من شهر رمضان، يقول عليه السلام: (فسلمت عليه، فقال: يا أبا عبد الله، أصمت اليوم؟ فقلت: لا، والمائدة بين يديه)، فقال له السفاح: ادنُ فكُل، فدنا الإمام الصادق عليه السلام فأكل، وقال للسفاح: (الصوم معك والفطر معك)، فقال بعض الحاضرين للإمام الصادق عليه السلام: تفطر يومًا

من شهر رمضان؟ فقال: (إي والله أَنْ أُفْطِرَ يَوْماً مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقِي)[1].

ومعلوم أن هذه القصة حصلت في فترة رخاء نسبي، حيث إن الأدوار التي مرت بهم عليهم السلام مختلفة في ما بينها شدةً ورخاءً.

وقد أعرضنا صفحاً عن ذكر مثل سجن الإمام الكاظم عليه السلام وإيقاف الإمام الصادق عليه السلام بين يدي المنصور العباسي، لوضوحها عند القارئ الكريم.

هذا، ولم يكن مصدر الظلم مقتصراً على خلفاء الجور وعمّالهم، بل تعدّاه إلى عامة الناس، فمكة والمدينة والشام والبصرة وغيرها من البلاد تشتمل على أكثرية ساحقة ممن ينصبون العداء ـ وبشكل علني ـ لأهل البيت عليهم السلام، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها ما يعكس صورة جليّة للقارئ الكريم.

فهذا مسمع كردين البصري عندما يسأله الإمام الصادق عليه السلام أنه هل يزور قبر الحسين عليه السلام، يجيب بالنفي، وأنه لا يستطيع أن يغيب عن بلده مدّة ويذهب إلى كربلاء، ويعلّل ذلك بأنه شخص معروف عند أهل البصرة، وفي البصرة جماعة غير قليلة من أتباع الخليفة، والمتزلّفين إلى الوالي، وإذا علموا بذهابه إلى كربلاء ربما يرفعون قضيته إلى الوالي، والوالي بدوره يعاقبه، وربما يصل الحال إلى قتله.

ومن قول الفضيل بن يسار: (وليس على رأينا بالبصرة إلا قليل) تعرف أن أكثر أهل البصرة في ذلك العصر هم من أتباع الولاة الظلمة، بل من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن

الحسين عليه السلام لما قتل بكاه كلّ شيء، إلا البصرة والشام وآل عثمان، ويقصد أهل البصرة وأهل الشام.

كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: ما بمكة ولا بالمدينة عشرون رجلاً يحبّنا[٢].

بل حتى الكوفة، فبالرغم من كون غالبية أهلها هم من أتباع أهل البيت عليهم السلام، كما هو واضح لمن يطّلع على تأريخ الكوفة والكوفيين، ومع ذلك تجد بينهم عدداً غير قليل من المناوئين والمخالفين لهم عليهم السلام، كـ (كثير النوا)[٣] وأتباعه.

فقد كانت في الكوفة امرأة من المواليات لأهل البيت عليهم السلام، تدعى أم خالد، ولولائها وميلها إلى زيد بن علي عليه السلام قطع يدها والي الكوفة يوسف بن عمر.

وحدّثنا أبو بصير بالحوار الذي جرى بينها وبين الإمام الصادق عليه السلام حول تولّي أعداء الدين والتبرّي منهم، حيث سألت أم خالد الإمامَ عليه السلام عن أنها هل تتولى فلان وفلان، فقال عليه السلام لها: تولّيهما، فقالت: فأقول لربي إذا لقيتُه أنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم.

فكأن أم خالد لم تقتنع، فقد بدا الجواب غريباً عليها، فقالت: فإن هذا الجالس معك على فراشك ـ تعني أبا بصير ـ يأمرني بالبراءة منهما، وكثير النوا يأمرني بولايتهما، فأيهما أحب إليك؟ فقال عليه السلام: هذا ـ والله ـ وأصحابه أحبّ إليّ من كثير النوا وأصحابه[٤].

والملاحظ هنا أن الإمام الصادق عليه السلام أمرها بتولّيهما في أول كلامه، ولم يأمرها بالتبرّي، لا في أول الكلام ولا في آخره، وإنما أخبرها بأن أبا بصير وأصحابه أحبّ إليه من كثير النوا وأصحابه.

وقد بيّن عليه السلام غايته في عدم أمرها بالتبرّي منهما بقوله: إني خشيت أن تذهب، فتخبر كثير النوا، فتشهرني بالكوفة.

ثم ختم عليه السلام كلامه مع أبي بصير بقول: اللهم إني إليك من كثير النوا بريء في الدنيا والآخرة[٥].

فلم يبتلوا عليهم السلام بحكام الجور فقط، بل تعدّاه إلى عامة الناس، ممن أعلنوا ولاءهم لخلفاء الجور، فالتزموا بكل ما يترتب على ذلك الولاء، وقاموا بكل ما تستدعيه تلك العبودية للطغاة، ومن ضمنها نصب العداء لأهل بيت رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهكذا شيعتهم ومواليهم، والكيد لهم، ومتابعة تحركاتهم، وإيصال أخبارهم إلى حاكم الجور.

وأنت خبير بأن الأئمة عليهم السلام أصحاب رسالة، كلّ في زمانه، وعليهم أن يؤدوا دورهم المقرّر، مع خلق موازنة منقطعة النظير في تصرفاتهم وما يقومون به من أفعال، وعلى جميع الأصعدة، من دون إفراط ولا تفريط.

وفي محاولة سريعة لمعرفة الدور السياسي والاجتماعي والتربوي الذي كان يمارسه الأئمة (صلوات الله عليهم) نذكر ـ بشكل إجمالي مقتضب ـ بعضًا مما كانوا يقومون به، كامتداد للنبوّة الخاتمة..

أولاً: مداراة حكام الجور وولاتهم.

ففي حين كان حكام الجور يخافون من قيام الأئمة عليهم السلام بثورة ضدّهم، لأنهم يعلمون مسبقاً بأنهم عليهم السلام هم الأولى بالإمامة والخلافة، فهم يتوقّعون مطالبة الأئمة عليهم السلام بحقّهم، والانقلاب على الحاكم، بل ويرون أن ثورات العلويين إنما كانت بأمر من الإمام.. في الوقت ذاته كانوا عليهم السلام يؤكّدون ـ مرارًا وتكرارًا ـ على

أنهم لا يحاولون الانقلاب، بل ولا يفكّرون فيه، حتى ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه كان يتمنى أن يأذن له المنصور لكي يتخذ بيتًا بالطائف، يسكنه ويُسكن معه أصحابه، ويضمن للمنصور العباسي أن لا يصله أيّ مكروه منه عليه السلام.

وفي مقابل هذا كله ما كانوا عليهم السلام ليتركوا وعظ حكام الجور، في حال وجود فرصة لوعظهم والإنكار عليهم، وبيان خطئهم، ومحاولة تصحيح مسيرتهم، إلقاءً للحجة، فعندما يقع الذباب على المنصور ويضجر منه يتوجه للإمام الصادق عليه السلام متعجّباً ومتسائلاً: لِمَ خلق الله الذبابَ؟ فينبري له الإمام عليه السلام بقوله: ليذلّ به الجبابرة[٦].

وواضح ما لهذا الجواب من صراحة في أن المنصور الذي وقع عليه الذباب وأضجره، هو أحد تلك الجبابرة.

وكذلك الأبيات التي أنشدها الإمام الهادي عليه السلام في مجلس شراب المتوكل، في قصتها المعروفة، والتي كانت تهدف إلى وعظ المتوكل وتذكيره، ووعظ الحضور، وإن كان عليه السلام على علم بأن الموعظة سوف لا تؤثر بهم إلا تأثيرًا آنيًّا.

ثانيًا: مداراة عامة الناس ممن ينصبون العداء لهم عليهم السلام، والتعامل معهم برفق وليـن، وذلك لأسباب عديدة؛ يرجع بعضها إلى تجنّب شرّهم، وردّ كيدهم في نحورهم، وبعضها الآخر يرجع إلى محاولة هداية أكبر عدد ممكن من المغرّر بهم، والذين عملت الدعاية على إضلالهم وحرفهم عن المسار الحقّ.

فكم من شاميّ يدخل المدينة وليس على وجه الأرض أبغض له من علي وآل علي (صلوات الله عليهم أجمعين)، لكن بمجرّد التقائه بالمعصوم عليه السلام تتغيّر نظرته عن أهل البيت عليهم السلام، ويصبح من محبّيهم، حيث كان الإعلام قد أضلّه وأغواه وأبعده عن جادّة الصواب.

ثالثًا: المحافظة على شيعتهم عليهم السلام خصوصًا في تطبيق الأحكام الشرعية.

فقد بات واضحًا أن الأحكام الشرعية كان لها نصيبها الوافر من التحريف والتغيير، بما يتناسب ومصالح الطغاة، وبتعاقب السنين وانتقال الخلافة من جائر إلى جائر لم تكن هناك محاولة من الحكام لتصحيح مسار الأحكام الشرعية، بل بقيت على تحريفها ومجانبتها للحكم النازل من السماء، والذي أراده الله تعالى أن يكون دستورًا، يعمل على وفقه الناس، فيكون سببًا لسعادتهم.

مضافًا إلى أن كثيرًا من الظروف السياسية ما كانت تتيح للمعصوم عليه السلام بيان الحكم الشرعي الحقّ، وتصحيح ما هو عالق في أذهان الناس، ذلك لأن الدولة تتبنّى الحكم الشرعي المحرّف، وليس من السهل مجابهتها والنقض عليها، والتجاهر ببيان حكم مختلف عما تتبنّاه، بل الذي يتجاهر بالعمل على خلاف ما عليه الحاكم لا يأمن على نفسه من سيف الظلم.

هذا من جانب، ومن جانب آخر لم يكن ـ غالباً ـ بوسع أصحاب الأئمة عليهم السلام أن يظهروا ظهورًا يميّزهم، بحيث يكونون مجموعة مشخّصة، يشار إليهم بالبنان، لهم فقههم الخاص المخالف كثيرًا لفقه الحكّام، كما ويختلفون في أوقات صلواتهم، وفي كيفية أدائهم بعض العبادات، فإن ذلك مما يهدّدهم، بل ربما يوصلهم إلى ما لا يُحمد.

ولذا نرى الأئمة عليهم السلام ـ خوفاً على شيعتهم، بل على أنفسهم أيضًا ـ كانوا (تارة): يبينون الحكم الشرعي الموافق للعامة،

حتى وإن كان مخالفاً للحقّ، و(أخرى): لا يَدَعُون أصحابهم يؤدون فريضة الصلاة في وقت واحد في المسجد ـ مثلاً ـ، لئلا تسلّط عليهم الأضواء ويعرفوا، كما أُثر ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث أخبره بعض أصحابه بأنه يدخل المسجد، فيجد أتباعه عليه السلام بعضهم يصلّي الظهر، وبعضهم الآخر يصلي العصر، بمعنى أنهم لم يصلّوا كلّهم في أول الوقت، بل بعضهم يتأخر عن بعض، فقال الإمام عليه السلام: (أَنَا أَمَرْتُهُمْ بِهَذَا لَوْ صَلَّوْا عَلَى وَقْتٍ وَاحِدٍ عُرِفُوا فَأُخِذَ بِرِقَابِهِمْ)[٧].

وهذا المجال ـ أيضًا ـ شواهده كثيرة جدًا، يكفينا ذكر قصة علي بن يقطين، الذي كان على ارتباط وثيق بالبلاط العباسي، وفي عصر الرشيد تحديدًا، حيث كتب إلى الإمام الكاظم عليه السلام يسأله عن كيفية الوضوء، فورد عليه جواب الإمام عليه السلام يتضمن أمره بأن يتوضأ الوضوء المعروف عند غيرنا، المتفق على بطلانه عندنا، فقد جاء في الجواب: (تغسل وجهك ثلاثاً، وتخلّل شعر لحيتك، وتغسل يديك إلى المرفقين ثلاثاً، وتمسح رأسك كله، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً)، كما ونهاه أن يخالف هذا الترتيب في وضوئه.

فلما وصل الجواب إلى علي بن يقطين تعجّب منه أشد العجب، ذلك لأن الشيعة مجمعون على بطلان الوضوء إذا كان بهذه الكيفية، ثم قال: مولاي أعلم بما قال، وأنا أمتثل أمره، فما زال يتوضأ بهذا الشكل، ويخالف ما عليه جميع الشيعة، كل هذا امتثالاً لأمر الإمام الكاظم عليه السلام، حتى سُعي بعلي بن يقطين إلى الرشيد، وقيل له: إنه يذهب مذهب الرافضة، عند ذلك أراد الرشيد امتحانه في الوضوء، فقعد ينظر إلى وضوئه من حيث لا يشعر علي بن يقطين، فلما نظر إلى وضوئه ناداه: كذب من زعم أنك من الرافضة.

بعد هذه الحادثة جاءه كتاب من الإمام الكاظم عليه السلام فيه: (ابتدئ من الآن ـ يا علي بن يقطين ـ وتوضأ كما أمرك الله تعالى، اغسل وجهك مرة... واغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح بمقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما كنا نخاف منه عليك)[٨].

وهنا عرف علي بن يقطين السبب في تعليمه الوضوء الذي عليه العامة، مع أنه متفق على بطلانه عند الشيعة.

رابعًا: تربية الشيعة دينياً، وزرع روح التقوى والورع ومكارم الأخلاق في نفوسهم. فكل واحد من الأئمة عليهم السلام كان له دور كبير ـ وبمختلف الأساليب ـ في وعظ أصحابه ومحبّيه، وتذكيرهم، وحثّهم على التزوّد من دار الفناء لدار البقاء، والتحلّي بالأخلاق الحميدة، وخير دليل على ذلك كتاب (نهج البلاغة) وما تضمنه من مواعظ لأمير البلاغة ربيب القرآن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك ما أوصله إلينا علماؤنا من حديثهم (صلوات الله عليهم).

وكانت تلك التربية الروحية لها أعظم الأثر في نفوس أتباعهم، حتى إن حسن الخلق وطيب المعاشرة صارا من الصفات الملازمة لشيعة أهل البيت عليهم السلام.

فعندما يتعرض ابن أبي الحديد لسجاحة خلق أمير المؤمنين عليه السلام ولين جانبه، يقول: (وقد بقي هذا الخُلُق متوارثًا متناقلاً في محبّيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر. ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس

وعوائدهم يعرف ذلك)[٩].

ولم يقتصر الأئمة عليهم السلام في تلك التربية على أتباعهم ومحبيهم والمعتقدين إمامتهم، بل تعدّوهم إلى مخالفيهم، بل حتى إلى من ينصب لهم العداء أيضاً، فكانوا عليهم السلام يختارون الوقت المناسب لإلقاء الموعظة بين يدي الطرف الآخر، من أجل إلقاء الحجة عليه، وليجعله مذعنًا للحق، لا يستطيع إنكاره.

وما نراه خارجًا من كثرة وعظ الأئمة عليهم السلام لشيعتهم، وقلّة وعظهم لمخالفيهم، إنما سببه هو أن المخالف لا يسمع لهم، بل بعضهم لا يرونهم أهلًا للوعظ، بل كان كثيرًا ما ينعكس الأمر، فبعضهم كان يحاول وعظ الإمام عليه السلام، إلا أن الإمام عليه السلام يردّ عليه موعظته، ويوقفه على خطئه.

خامسًا: ردّ الشبهات العقائدية التي يحاول الحكام أو غيرهم إشاعتها، بغية تزلزل عقيدة شريحة من الناس، مضافًا إلى مناظرة الخصوم الذين تأثروا بالباطل، وغرّهم إعلام حكومات الجور.

وهذا الأمر كما قام به الأئمة عليهم السلام أنفسهم، فتصدّوا للمناظرات والاحتجاجات مع الخصوم، خصوصًا في أمر الإمامة، وما أبقوا للخصم مجالًا يلوذ به في معاندته للحق، فإما أن يُذعن ويعترف ببطلان ما هو متمسّك به، وإما أن يصرّ على رأيه مستكبراً (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**) (النمل: ١٤).

كذلك عَمَدوا عليهم السلام إلى تدريب وتهيئة جماعة من أصحابهم على المناظرات، عندما وجدوا فيهم القابلية لذلك.

فيوم دخَل الشاميُّ على الإمام الصادق عليه السلام من أجل أن يناظر أصحابه، ما كان عند الإمام عليه السلام إلا يونس بن يعقوب، فتكلم الإمام عليه السلام مع الشامي ودحض حجّته، ثم قال ليونس بن يعقوب: يا يونس، لو كنت تُحسن الكلام كلمته، فقال يونس: فيا لها من حسرة، تأسفاً لعدم قدرته على المناظرة.

ثم أمره الإمام الصادق عليه السلام أن يخرج فيُدخل عليه جماعة من أصحابه من المتكلمين، ممن تدرّبوا على إفحام الخصوم، يقول يونس: فأدخلت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليهما السلام.

ثم إن الإمام الصادق عليه السلام أخرج رأسه الشريف من الخباء فنظر إلى هشام بن الحكم وقد أقبل، فقال عليه السلام: هشام ورب الكعبة، فرحًا بقدوم هشام.

ثم إن هؤلاء الأعيان الذين دخلوا على الإمام الصادق عليه السلام حاججوا ذلك الشامي وغلبته حجّتُهم، حتى أذعن وأقرّ بالحقّ[١٠].

وهذه القصة تدلّنا على كون هؤلاء تعلّموا أصول المناظرة منهم عليهم السلام، حيث تذكر أن قيس بن الماصر تعلّم الكلام من الإمام زين العابدين عليه السلام، رغم قساوة تلك الفترة سياسيًا، وانعزال الإمام عليه السلام عن الساحة، كما أنها تشير من طرف خفيّ إلى تشجيعهم عليهم السلام على تلك المناظرات، خصوصًا بعد قول الإمام الصادق عليه السلام لهشام عقيب تلك المناظرة مع الشاميّ: (مثلُك فليُكلّم الناس، فاتّق الزلة، والشفاعة من ورائك إن شاء الله)[١١].

وهكذا عشرات المجالات، كرفع معنويات بعض الشيعة بإراءته معجزة من

معاجزهم عليهم السلام، ودفع مساعدات مالية لمن يضطهده الحاكم، أو يضيق عليه الرزق، والتأكيد على ظلاماتهم وخصوصاً ظلامة سيدة النساء والإمام الحسين (صلوات الله عليهما)، وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره، كله على عاتق الإمام عليه السلام، هو المسؤول عنها، وعليه أن يتعامل معها بغاية الدقّة.

وفي هذا الصدد يحسن أن أذكر قصة نتعرّف من خلالها إلى ظروف الإمام الحسن العسكري عليه السلام السياسية والاجتماعية، وكيف كان عليه السلام يتعامل مع تلك الظروف، فقد روى ابن شهراشوب في (مناقب آل أبي طالب) أن الإمام العسكري عليه السلام دعا أحد خدمه، فدفع إليه خشبة طويلة ملء الكف، وأمره أن يذهب بها إلى العَمري، ومعلوم أن العَمري كان على جانب من الجلالة والوثاقة عند الإمامين العسكريين عليهما السلام.

فمضى الرجل في مهمّته، فلما صار في بعض الطريق زاحمه سقّاء معه بغل، فناداه السقّاء أن يرفق بالبغل ويمهله حتى يمرّ، فرفع الرجلُ الخشبةَ التي كانت معه وضرب بها البغل، فانشقّت الخشبة، فإذا فيها كتب ورسائل، يريد الإمام عليه السلام إيصالها إلى العَمري بشكل لا يطّلع عليه أحد، يقول: فبادرت سريعًا، فرددت الخشبة إلى كُمّي، فجعل السقاء يناديني، ويشتمني ويشتم صاحبي.

فرجع الرجل إلى الدار، فلما قرُب استقبله عيسى الخادم من الباب الثاني، فقال: يقول لك مولاي (أعزه الله): لِمَ ضربت البغل وكسرت الخشبة؟ فقلت له: يا سيدي، لم أعلم ما الخشبة، فقال له الإمام عليه السلام: إذا سمعت لنا شاتمًا فامض لسبيلك التي أُمرت بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرّفه من أنت، فإنا ببلد سوء، ومِصر سوء، وامض في طريقك، فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا[12].

وفي هذه القصة دلالات واضحة للقارئ الكريم لا حاجة إلى تفصيلها.

وختامًا أودّ التنويه إلى أن ما ذكرناه من أدوار للأئمة عليهم السلام لا نقصد به أن كل واحد منهم (صلوات الله عليهم) قام بجميع تلك الأدوار، ذلك لأن ظروفهم متباينة مختلفة، وكل واحد منهم إنما كان يعمل حسب ما يحتّم عليه ظرفه المحيط به.

وكلّي أملٌ بأني قد أوصلت للقارئ الكريم فكرة موجزة عن الظروف العصيبة التي مرت بأهل البيت (صلوات الله عليهم) وبشيعتهم، وما قاموا به من أدوار في ظلّ تلك الظروف■

---

١) الكافي ج٤ ص٨٣.
٢) الغارات/إبراهيم الثقفي الكوفي/ج٢ ص٥٧٣.
٣) كثير النوا: كثير بن قاروند، بتري، كوفي، عامي. (معجم رجال الحديث/السيد الخوئي/ج١٥ ص١١٢)
٤) الكافي للكليني/ج٨ ص١٠١.
٥) البحار للمجلسي/ج٣٠ ص٢٤١.
٦) المناقب لابن شهراشوب ج٣ ص٣٧٥.
٧) الكافي/ج٣ ص٢٧٧
٨) وسائل الشيعة/الحر العاملي ج١ ص٤٤٤.
٩) شرح النهج ج١ ص٢٦.
١٠) الكافي/ج١ ص١٧٢.
١١) م.ن.
١٢) المناقب/ج٣ ص٥٢٩.

النجم المشرق

قصيدة: في الزهراء عليها السلام

الدكتور محمد إقبال اللّاهوري

نسب المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها

والنجم يشرق من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها

هي بنت من، هي زوج من، هي أم من؟ ... من ذا يداني في الفخار أباها

هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها

هي رحمة للعالمين وكعبة الآمال ... في الدنيا وفي أخراها

من أيقظ الفطر النيام بروحه ... وكأنه بعد البلى أحياها

وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حلاها

ولزوج فاطمة بسورة هل أتى ... تاج يفوق الشمس عند ضحاها

أسد بحصن الله يرمي المشكلات ... بصقيلٍ يمحو سطور دجاها

إيوانه كوخ وكنز ثرائه ... سيف غدا بيمينه تياها

في روضِ فاطمةَ نما غصنان لم ... ينجبهما في النيِّرات سواها

حَسَنُ الذي صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقها يحلُّ عُراها

وحُسينُ في الأبرار و الأحرار ما ... أزكى شمائله و ما أنداها

هي أسوة للأمهات وقدوةٌ ... يترسم القمر المنير خطاها

في ذكرى وفاته :

إطلالة موجزة على حياة الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ)

إعداد: محمد علي جعفر •
كاتب وباحث/ بغداد

ينابيع

لم يشك أحد في علو شأن الشيخ الأنصاري وسمو مرتبته، وأنه هو المجدد للقرن الثالث عشر الهجري، وهو الذي أعطى للأصول هذا الثوب الجميل، وإليه يرجع الفخر في توسعة الاستدلال هذا الشكل الدقيق، فقد اعتاد أن يشبع البحث من كل الجهات حين الدخول فيه. فعلم الأصول الذي يعد من أهم العلوم، إذ كان وما زال رصيدًا للاجتهاد الحي والمتطور، وقد وصل إلى ذروته وقد أرسيت قواعده الرصينة بيد الشيخ الأنصاري، فحقيق أن يقال له: أستاذ المجتهدين والفقهاء المحققين .

اسمه ونسبه:

مرتضى بن الشيخ محمد أمين بن الشيخ مرتضى... ويصل نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري. ولأجل كون انتهاء نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري كانت تسميته بالأنصاري[1].

ولادته:

ولد في عيد الغدير سنة ١٢١٤ هـ في مدينة دزفول. وهي بلدة جنوبية من بلاد إيران...أبوه محمد أمين كان من العلماء والوجهاء في مدينة دزفول، وأمه من الصالحات العابدات حيث لم تترك صلاة الليل طيلة حياتها. وكان ولدها الشيخ الأنصاري يعتني بها كثيراً، إلى أن توفيت[2].

أسفاره:

كان كثير السفر لأجل الاطلاع على العلماء في كل مكان والاستفادة منهم، فكان أول سفر قام به سنة ١٢٣٢هـ، مع والده إلى العراق لأجل الزيارة. وكان عمره آنذاك ست عشرة سنة. فبقي أربع سنوات في كربلاء مع والده، ثم رجع إلى

مرقد الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره الواقع على يسار الداخل إلى الصحن العلوي المطهر من جهة باب القبلة

مدينته دزفول.

ثم رجع إلى كربلاء بعد سنة تقريباً فبقي فيها سنة أو أكثر، ثم عاد إلى النجف الأشرف. ثم ذهب إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وصحبه أخوه الشيخ منصور. بعد مروره ببلده (دزفول).

فلما وصل إلى بروجرد - وهي مدينة في الطريق إلى مشهد -، بقي فيها شهراً. ومنها إلى أصفهان، وبعد عدة أيام في أصفهان ذهب إلى كاشان، فبقي فيها أربع سنوات، ثم إلى مدينة مشهد مقصده الأساس من هذا السفر. وبعد الزيارة رجع إلى دزفول وكان أهلها يترقبون مجيئه، فخرجوا باستقباله على بعد أربعة فراسخ من دزفول. بقي عدة سنوات، ثم ذهب إلى شوشتر ليسافر منها إلى النجف الأشرف، وكان ذلك سنة ١٢٤٩هـ. ولما وصل إلى النجف الأشرف بقي فيها يواصل التدريس والتحقيق والتأليف ولم يخرج منها إلا إلى الحج، وبعد أداء الحج رجع إلى النجف، حيث كان مثواه النهائي فيها[٣].

دراسته ومكانته العلمية:

حينما سافر إلى كربلاء مع والده وهو شاب التقى والده بالسيد محمد المجاهد العالم المعروف، فلفت ذكاء الشيخ انتباه السيد من خلال محادثته، فطلب السيد من والده أن يبقي الشيخ في كربلاء فوافق، وبقي الشيخ في كربلاء، وتعهد السيد بجميع ما يحتاجه[٤]....

ومما يدل على مقام الشيخ الشامخ وعلمه الغزير، أنه لما وصل إلى كاشان، وبقي فيها أربع سنوات ليستفيد من الملا أحمد النراقي، قال الشيخ النراقي عندما أراد مفارقته: استفادتي من هذا الشاب - أي: الشيخ الأنصاري - أكثر من

إفادتي لـه. وهكذا كان لا يدخل مدينة إلا ويسبقه إليها صيته العلمي ولا يضيع وقته سدى سواء في السفر أو الحضر.

وبعد الأسفار الطويلة استقر في النجف ليستفيد من علمائها، فحضر درس الشيخ الجواهري، وحضر درس الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء وهو آخر أستاذ درس عنده الشيخ الأنصاري، ومن بعده لم يدرس على أحد، بل كانت له حوزة مستقلة عامرة يدرّس فيها... ولما توفي الشيخ علي كاشف الغطاء كانت زعامة الشيعة بيد الشيخ حسن كاشف الغطاء أخي الشيخ علي، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر...وبعد وفاة الشيخ حسن كاشف الغطاء عام ١٢٦٢هـ اختصت المرجعية بالشيخ محمد حسن صاحب الجواهر. وفي سنة ١٢٦٦هـ مرض صاحب الجواهر، فأمر بتشكيل مجلس يحوي جميع العلماء، فلما حضر جميع العلماء عنده قال صاحب الجواهر: أين الشيخ مرتضى، ثم أمر بإحضاره، فلما بحثوا عنه وجدوه في حرم أمير المؤمنين عليه السلام يدعو لصاحب الجواهر بالشفاء، وعند انتهائه من الدعاء حضر عند صاحب الجواهر، فأجلسه على فراشه وأخذ بيده ووضعها على قلبه وقال: الآن طاب لي الموت، ثم قال للحاضرين: هذا مرجعكم من بعدي، ثم قال للشيخ: قلل من احتياطاتك، فإن الشريعة سمحة سهلة. لما كان يعرفه منه من كثرة احتياطاته في الأحكام الشرعية مع عدم دلالة الدليل على ذلك[٥].

وهذا العمل من صاحب الجواهر ليس إلا لتعريف شخصية الشيخ الأنصاري وأعلميته، وإلا فالمرجعية غير قابلة للوصية... فاستلم شيخنا الأنصاري قدس سره زعامة الشيعة ومرجعيتها من سنة ١٢٦٦ إلى سنة ١٢٨١. أما عصره فإنه يمتاز بكثرة العلماء والمجتهدين ويعتبر من العصور المنيرة، ومع هذا نرى نور الشيخ الأنصاري طغى على الجميع وعلمه وصل إلى أعلى حد، بحيث اتفقت الشيعة بأجمعها على مرجعيته واقتدى به جميع العلماء واستفادوا من نمير علمه[٦].

مشايخه:

شيخنا الأنصاري لم يكن تلميذاً كبقية التلاميذ، بل كان يغتنم الفرص عند دراسته لأجل فتح المباحثات العميقة مع

أساتذته، حتى قال أستاذه النراقي فيه ما قال، لذا فنحن نذكر بعض فطاحل العلماء الذين حضر عندهم:

١ـ السيد صدر الدين العاملي.
٢ـ الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء.
٣ـ الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء.
٤ـ الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.
٥ـ السيد محمد المجاهد.
٦ـ الملا أحمد النراقي.
٧ـ الملا محمد المازندراني المعروف بـ (شريف العلماء). وآخرين.

تلامذته:

لو تفحصنا في الفترة ما بين أواسط القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر لوجدنا أكثر المجتهدين والعلماء المحققين من تلامذته، وهذه البرهة من الزمن هي وقت رواج العلم ووصوله إلى أوجه، ولا نبالغ إن قلنا: إن عدد تلاميذه البارزين يبلغ المئات. وقد أثرت عبارات كثيرة على ألسن العلماء المعاصرين وغيرهم من أن كل من أتى بعد الشيخ الأنصاري هو تلميذ له لأنه قد أسس أصولاً للفقه بشكل جذري. لذا لا مجال لسرد تلامذته إلا من أجل السياق فنذكر أهمهم:

١ـ السيد أحمد التفريشي.
٢ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء.
٣ـ الميرزا حبيب الله الرشتي.
٤ـ السيد جمال الدين ألأسد آبادي المعروف بجمال الدين الأفغاني.
٥ـ الميرزا حسن الآشتياني.
٦ـ حسين النوري صاحب مستدرك الوسائل.
٧ـ المجدد الشيرازي السيد محمد حسن.
٨ـ الشيخ محمد طه نجف.وغيرهم الكثير[٧].

مؤلفاته:

ولقد اكتسبت مصنفاته حظًا عظيمًا، فرسائله ومكاسبه مضافًا إلى أن عليها مدار التدريس شذ من لم يعلق عليها من مشاهير العلماء بعده، فممن علق على الرسائل ميرزا موسى التبريزي والميرزا حسن الآشتياني والشيخ حسن المامقاني والشيخ ملا كاظم الخراساني والشيخ آغا رضا الهمداني، وكل حواشيهم مشهورة مطبوعة، وممن علق على المكاسب السيد كاظم اليزدي والشيخ آغا رضا[٨].

ألف شيخنا الأعظم كتباً كثيرة مشتهرة، عليها مدار التدريس في الحوزات العلمية، ووصلت شهرة كتبه درجة بحيث لم يكد يجهل بها أحد، وذلك لما تحويه مؤلفاته من دقة وإمعان نظر وتحقيقات جديدة، بحيث إنه لما يدخل في بحث ما لا يترك صغيرة وكبيرة إلا ويذكرها. فمن أشهر تلك المؤلفات:

١ـ المكاسب المحرمة.
٢ـ فرائد الأصول..... إضافة إلى ما يقارب تسعة وعشرين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة في الفقه وأصوله.

أقوال العلماء في حقه:

(رزقنا الله الاجتهاد، الذي هو أشدّ من طول الجهاد) هذه الكلمة للشيخ الأنصاري نقلها عنه السيد حسين البرجوردي في بعض دروسه على تلامذته، حيث ذكر أن الشيخ كان يرددها، ثم علق عليها السيد البرجوردي بقوله: (هذه الكلمة الصادرة عن شخصية لامعة في سماء العلم والفضيلة وعن بطل كبير في مجالي

الفقــه والأصول من الذين لا يســمح بهم الدهــر إلا في فترات يســيرة ويضن بهم إلا فــي الفينة بعــد الفينة .... أن الشــيخ الأعظم - وهو أستاذ الفقهاء والمجتهدين وقد عكف على كتبه العلماء واستضاء بنور علمه - الفضلاء يتمناه ويطلب منه سبحانه أن يرزقه)[٩].

وقد مدح شــيخنا الأنصاري كثير من العلمــاء الربانيين وغيرهــم الذين جاؤوا بعــده. بــل إن المناوئيــن له لــم يتمكنوا من إخفــاء إعجابهم به، فقــد رآه النائب السياسي لبريطانيا في مدينة المدائن في الصحراء قاصداً زيارة سلمان المحمدي، فقال: (أقســم بالله هو عيســى بن مريم أو نائبــه الخاص). كما وصفه والي العراق عندما ســأله الســلطان العثماني عنه بأنه الفاروق الأعظم. ومن كانت هذه أوصافه عند أعدائه كيف تكون عند أوليائه؟[١٠]

والفضل ما شهدت به الأعداء..

تقواه وزهده وتواضعه:

كان الشــيخ الأعظم مصداقــاً لجميع مكارم الأخلاق، اقتــداءً منه بنبيه الأكرم محمــد وأئمته الأطهار ســلام الله عليهم أجمعيــن. فلمــا توفي صاحــب الجواهر بعــد أن ذكر للعلمــاء أن أعلم الناس بعده هو الشــيخ الأنصاري، امتنع الشــيخ من الفتوى وأرسل رســالة إلى سعيد العلماء المازندرانــي وقال لــه: بأنا لمــا كنا في كربلاء وكنا نحضر درس شــريف العلماء كانت استفادتك وفهمك أكثر مني، فالآن الأولى لك أن تأتي إلى النجف وتستلم هذا الأمــر المهم. فأجابه ســعيد العلماء: بأن قولــك صحيح، لكنك كنت في هذه المدة مشــغولًا بالدرس والتدريس والمباحثة، وأنا تســلمت أمــور النــاس، فأنت أولى مني. فلما وصلت رسالة سعيد العلماء إليه ذهب إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام وطلب منه أن يعينه على هذا الأمر الخطير، وأن يحفظه من الوقوع في الخطأ والزلل[١١].

والشــيخ مع عظمته العالية كان يصغي إلــى كل من يتكلــم أو يســأل في مجلس درســه وإن كان من أصاغر طلبته. وكانت عادة الشــيخ فــي كل ليلة جمعــة أن يقيم مجلس العزاء، ثم يطعم بعض الفقراء.

وفاته ومدفنه:

توفي شــيخنا فــي النجف الأشــرف بــداره في محلة الحويش، ســنة ١٢٨١هـ ودفــن فــي صحــن أميــر المؤمنين عليه السلام في الحجــرة المتصلة ببــاب القبلة وقبره معروف لحد الآن وعليه شباك.

فسلام عليه يوم ولد ويوم توفي ويوم يبعث حياً■

---

١) مقدمــة كتاب التقية للشــيخ الأنصــاري /بقلم فارس محمد رضا الحسون.
٢) م.ن.
٣) راجع أعيان الشيعة/ج١٠ ص١١٦.
٤) م.ن.
٥) مقدمة كتاب التقية.
٦) أعيان الشيعة/ج١٠ ص١١٨.
٧) مقدمة كتاب التقية.
٨) أعيان الشيعة/ج١٠ ص١١٨.
٩) مقدمــة كتاب المهــذب للقاضي ابــن البراج ج٢ص٤/ بقلم جعفر السبحاني.
١٠) مقدمة كتاب التقية.
١١) م.ن.

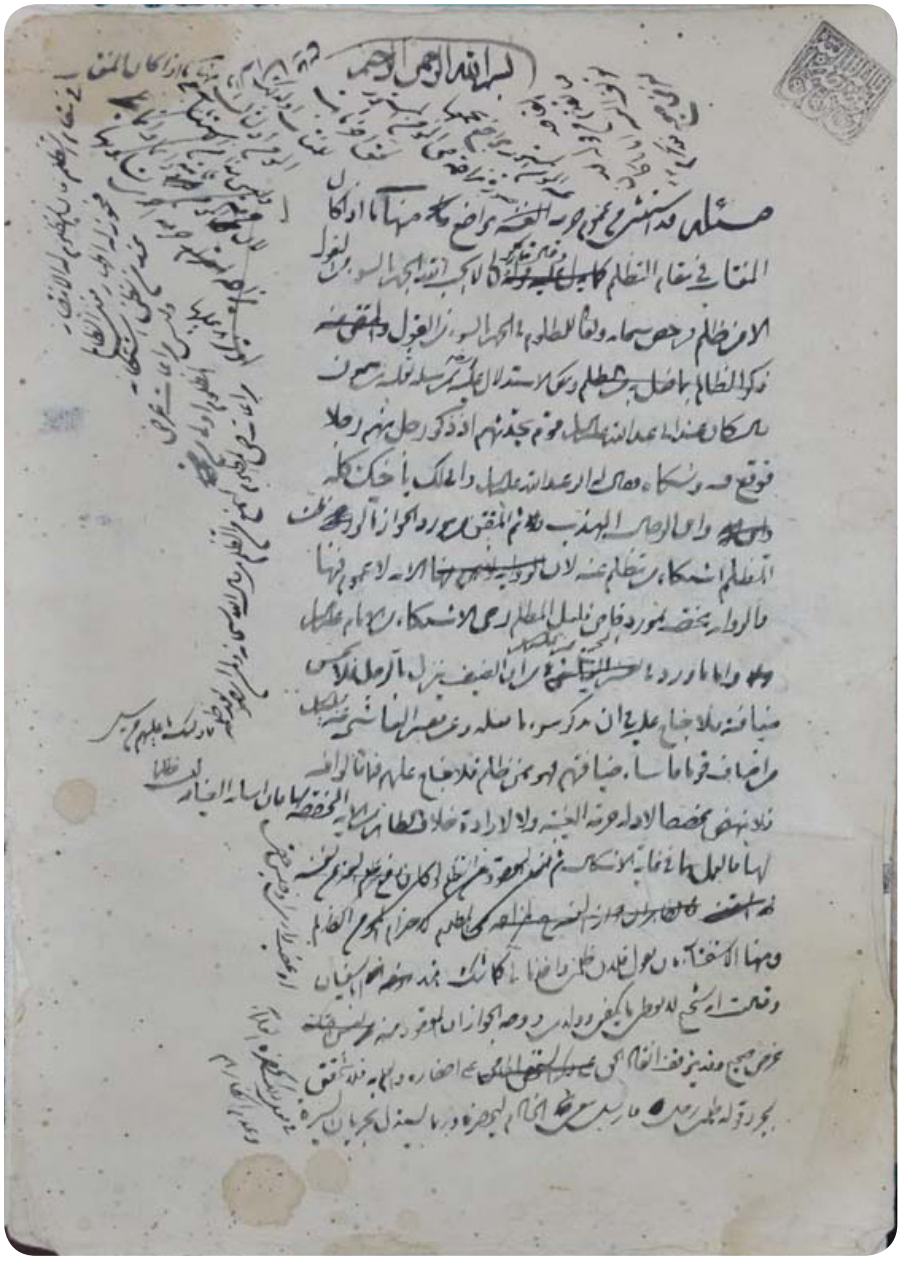

صورة مخطوطة من كتاب المكاسب المحرمة للشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره

السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي

١٣٠٤ـ ١٣٨٠هـ

• د. سلمان هادي آل طعمة

كاتب وباحث إسلامي/كربلاء

ينابيع

ليست هذه الدراسة تكفي لوفاء العالم والمجتهد الكبير، فحياته أوسع من أن يشار إليها بالصفحات، وأكرم من أن تعرَّف، بعد أن أصبح اسمه يُردَّد على كل فم ولسان. وإني لأرجو أن أضع بين أيدي القرّاء قليلاً مما يعتز به جيلنا ويفخر.

يعد السيد ميرزا مهدي الشيرازي واحداً من هؤلاء العظماء الذين أسهموا في حركتنا الفكرية والدينية والاجتماعية، له علينا حق الدرس والمراجعة، لأن في درسه خدمة لواقع الفكر الإسلامي المعاصر ولمستقبله وشخصيته، على تماس بين فكرها ومعتقدها، من أجل إيجاد أجواء متفتحة لتنمية المواهب الفكرية، فلابد من العمل في هذا المجال في الحوزة والوقوف على الحاجات العقلية في المجتمع. فهو يطلب من الناس أن يحرصوا على القواعد والآداب والأصول تماماً كما كان يفعل هو. لقد كان انعطافة في تاريخ كربلاء المعاصر، وله قدم راسخة في الدراسات الفقهية والأصولية على حدٍ سواء، وكان من رعاة الحركة العلمية، وله مآثر إصلاحية جليلة جعل الكربلائيين يندفعون ويتحمسون لنصرته ومساندته بما يشبه الإجماع العام.

مولده ونشأته ودراسته:

ولد السيد مهدي بن السيد حبيب في مدينة كربلاء سنة١٣٠٤هـ[١] الموافق لسنة ١٨٦٦م، ونشأ في بيت كريم تحف به مظاهر الحياة والنعمة، وتربى في أحضان والديه، ودرس مبادئ العلوم الأولية على أساطين العلم وجهابذة الأدب، ثم هاجر إلى سامراء وأقام بها لإكمال مقدمات دراسته، عاد بعدها إلى كربلاء، ومنها قصد النجف الأشرف، وتتلمذ على جمع من الأفاضل، وقد بقي مكباً على البحث والمراجعة آخذاً سبيل الزهد والانزواء والعبادة، ثم قفل راجعاً إلى كربلاء بإلحاح من الزعيم السيد أقا حسين القمي الحائري، وبقي فيها إلى حين وفاته، عاملاً على إحياء الشريعة ونشر العلم رئيساً جليلاً، حتى أصبحت كربلاء تخطو خطوات واسعة إلى الأمام[٢].

وعاش في الجو المتشبع بالخصال الطيبة. وكان له الفضل في تنبيه الأذهان والمذاكرة في الشؤون الدينية. إنه شخصية تملأ العقل والقلب، وتظل تقترب منك وتستولي عليك حتى ترى من خلالها الدنيا.

أساتذته:

نقل لنا المؤرخون أسماء جملة من أساتذته الذين درس عليهم، وهم من أكابر الفقهاء:

١ـ آقا رضا الهمداني.
٢ـ الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري.
٣ـ السيد محمد كاظم اليزدي.
٤ـ الشيخ حسين النائيني.

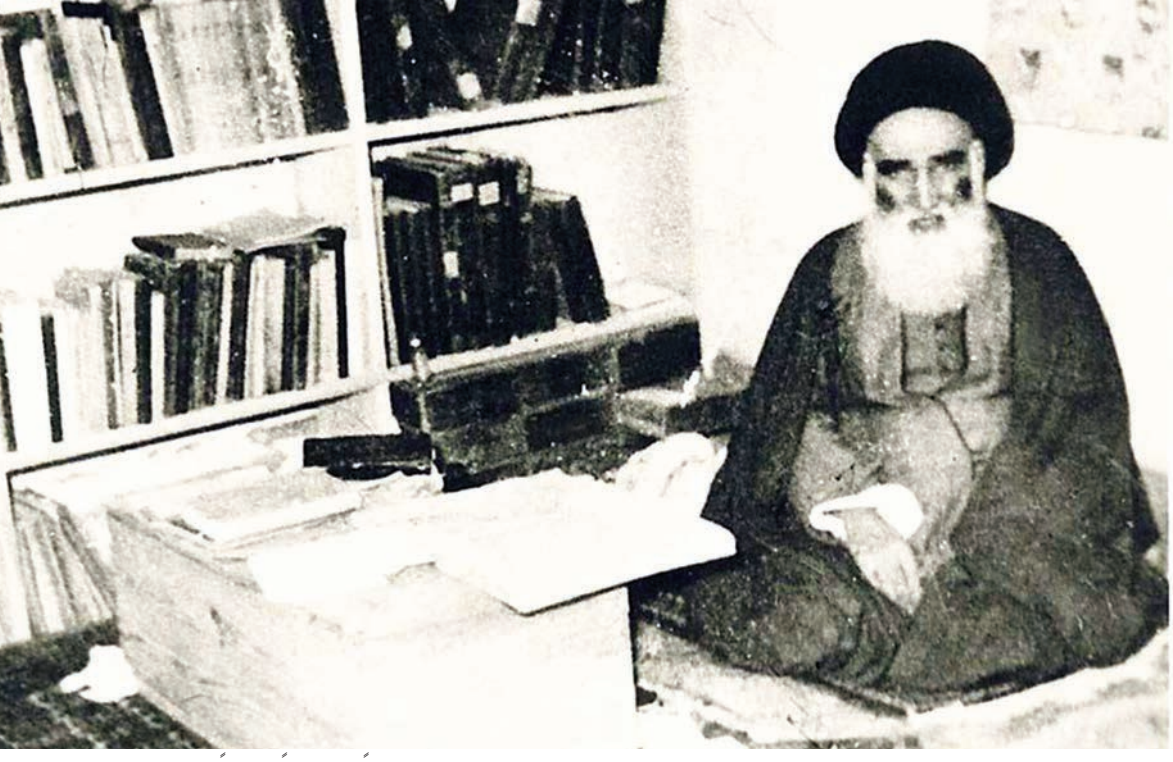

٥ـ الشيخ ضياء الدين العراقي.
٦ـ السيد عبد الله التوسلي.
٧ـ السيد حسين الهندي[٣].

إجازاته:

تشير كتب السير والتراجم أنَّ إجازات الاجتهاد التي حصل عليها من علماء عصره كثيرة، وإجازات أساطين الحديث والدراية والرواية أيضاً. منها: إجازة الرواية لآية الله السيد حسين القمي وكذلك حجة الإسلام الميرزا محمد الطهراني السامرائي صاحب مستدرك بحار الأنوار وحجة الإسلام الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب (الذريعة) والمحدث الشيخ عباس القمي صاحب (مفاتيح الجنان) وغيرهم[٤].

صفاته:

إن الله سبحانه وتعالى أعطى السيد الشيرازي الموهبة أو الصفة التي رفعته عالياً، فقد كان أنموذجاً للإباء، قوي الشخصية، متوقد الفكر واسع الصدر، ذكي القلب، عزيز الجانب، أحاط بالمعقول والمنقول حتى كان محط أنظار طلاب الحوزة العلمية، فلا تفتر له همة ولا يرجى لنفسه الخمول. كان متديناً زاهداً عابداً مهذباً في أخلاقه. وقد رزق بذاكرة قوية لا تنسى، وكان قارئاً فهماً محدثاً مكثراً ثقة أميناً مستوراً، يحب أفعال الخير، لذلك كان يستحق التعظيم والاحترام من الجميع.

جهاده ونشاطه السياسي:

في مستهل حياته العلمية شارك مع آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري في ثورته ضد الانكليز، كما أفتى مع مجموعة أخرى من الفقهاء إبان حركة مايس عام ١٩٤١م المصادف لسنة ١٣٦٠هـ بضرورة الثورة ضد الإنكليز وطردهم من العراق. كما صاحب آية الله العظمى السيد حسين القمي الحائري في سفرته إلى إيران وشاركه في الحركة ضد الشاه رضا بهلوي الأول، مما اضطر دولته للاستجابة لمطالبهم. وكان له دور كبير في التصدي للمد الأحمر في العراق بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م/١٣٨٧هـ، وكان لفتواه أعظم الأثر[٥].

آثاره:

قرأ العلامة الكبير الشيء الكثير، لأنه قارئ يحاول أن يفهم، وهو مفكر يريد أن

يبحث عن أشياء كثيرة في هذه الدنيا، قال كلمته ومشى، والتزم بقضايا المجتمع، يحمل في يده مصباحاً قوياً يوجهه في كل الاتجهات، وعنده رغبة في المعرفة وقدرة على الفهم لذلك صنَّف مجموعة من المؤلفات القيمة في شتى فروع العلم والمعرفة. وإن التراث الضخم الذي قدمه أثرى به المكتبة الإسلامية، ويشهد بقدرته الفائقة وثقافاته الواسعة ومكانته السامية كل العلماء والمؤلفين. وهذه أبرز آثاره:

١ـ الشرح على العروة الوثقى.
٢ـ رسالة في مباحث أصولية.
٣ـ كشكول في مختلف العلوم.
٤ـ رسالة حول فقه الرضا.
٥ـ تعاليقه على رسالة الأصطهباناتي.
٦ـ تعليقه على رسالة السيد أبو الحسن الأصفهاني.
٧ـ تعليقه على رسالة القمي.
٨ـ تعليقه على العروة الوثقى.
٩ـ ديوان شعره[٦].

من خلال دراستنا لأعماله، تبين لنا بوضوح أن الرجل فقيه عصره، ومفكر من طراز رفيع، غني جداً بأفكاره، وليس المهم أن تطلق عليه صفة العالم أو المفكر أو الشاعر، وإنما هو يريد أن يعرف وأن يفهم وأن يعتبر بعد ذلك، وهذا هو الذي يشغله دائماً.

وإني لأهيب بأسرته في هذه الذكرى (ذكرى مرور نصف قرن أو يزيد على رحيله) أن تثابر مشكورة على نشر ما لم ينشر بعد من آثار هذا العالم الفذ الذي أفنى عمره من أجل العلم وإشاعته بين الناس، وخدمة للّغة والدين اللذين أحبهما والدهم أقصى غاية الحب.

شعره:

كانت للسيد مهدي القابلية الجمة على حفظ القصائد المطولة ودواوين الشعراء والأحاديث النبوية الشريفة وخطب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة، فقد جعلته القراءة المكثفة قادراً على قرض الشعر على اختلاف فنونه وأوزانه، فقد أولاه كل العناية. وفي شعره صدق الإحساس والكلمة الأصيلة والجمل المتناسقة المتواضعة بجمال الفن كلها طيّعات لفكره وقلمه، بعيدة عن اللبس والغموض، وإذا كان الشعر مرآة النفس، فالمترجم مرآة صافية لشعره. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الغالب على شعره هو مدائح النبي وأهل بيته ورثاؤهم، وهذه مقاطع من قصائده: قال من قصيدة بلغت ٢٠٠بيتٍ أولها:

أرى وجد قلبي مستنير الجوانب
وفيض دمعي مستهل الذوائب

وقال طاب ثراه في مديح فاطمة الزهراء عليها السلام:

درة أشرقت بأبهى سناها
فتلألأ الورى فيا بشراها
بلغ الكون من سنا نور قدس
بسنا ناره أضاء طواها

وقال مادحاً الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من قصيدة:

يا رسول الله يا حصن التقى كهف الورى
قم وجيعاً لابنك المسموم من أيدي العِدى
لهف نفسي للزكي المجتبى فرخ الرسول
حيث أمست منه شمس العز في ذل الأفول

رحيله:

باتت مدينة كربلاء ليلتها المشؤومة، وفي جو خانق مكفهر تكاد تتكمش فيه القلوب، وتنقبض فيه الأنفاس وهي تقاوم ذلك الحدث بصبر وجلد، حتى إذا انبثقت خيوط مشرقة من كبد الفجر المضيء وراحت تقتحم ظلمات الليل المشؤوم

وتمزقها تمزيقًا وتمحي آثارها الداكنة في أديم السماء، فعاد الصباح الباكر بانطلاقته المعهودة في موكب ضخم تحف به الشمس بهالة من نورها الأرجواني اللآلئ[٧] حيث وافته المنية في اليوم الثاني والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م فخسرت الحوزة العلمية بفقده علماً شامخاً ونبراساً مضيئاً، ولا يخامرنا أدنى شك بأن جهوده المضيئة التي بذلها في خدمة العلم والدين، والمرجعية كانت من جملة العوامل التي أنهكت قواه وأثرت في صحته العامة. وجرى له تشييع فخم لم تشهد كربلاء مثيلاً له اشتركت فيه كافة الطبقات كان من بينها وفد سماحة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم من النجف الأشرف، ثم أُنهي به المطاف في مقبرة الزعيم آية الله الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في الروضة الحسينية المقدسة، وأقيمت على روحه مجالس الفاتحة في كافة أنحاء العراق. وترك أولادًا ظلوا مواظبين على تحصيل العلوم.

وأقيم له حفل تأبيني كبير في مدينة كربلاء[٨] بمناسبة أربعين يوماً على رحيله في الصحن الحسيني الشريف، شارك فيه جمع من الأدباء والأعلام.

كما رثاه الشعراء والأدباء في الاحتفالات التأبينية التي أقيمت في كربلاء وغيرها من المدن الإسلامية الأخرى. وكان من بين الشعراء الذين أسهموا في تأبينه الخطيب الشاعر الشيخ حسين البيضاني فقال من قصيدة ألقاها في المدرسة الهندية الدينية ومطلعها:

ترجلت الطفوف عن المعالي
وغال شموسها صرف الليالي[٩]

ورثاه الخطيب الشاعر السيد حسين المرعشي الشهرستاني بقصيدة مطلعها:

تيقنت أن الموت مافيه مهرب
وأن أختشي منه به أتهيّبُ[١٠]

وقلتُ من قصيدة ألقيتها في الاحتفال التأبيني الذي أقامه خدمة الروضتين المقدستين في الحسينية الحيدرية (الطهرانية) غبّ وفاته، مطلعها:

أتترانا وللهموم أوارُ
في الحنايا وللقلوب استعارُ[١١]

لقد عاش العالم الفقيه آية الله السيد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي حياة حافلة بالعمل الدؤوب والجهود المبذولة في خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن بيضة الإسلام. وها هي ذي أيام تمرّ وأنا أتصور مجلسه في الصحن الحسيني الشريف لم يتغير، كأنه لم يزل حياً، والحق يقال إنه لم يزل حياً في نفوس عارفيه ومقدري فضله■

---

١) أعيان الشيعة ـ محسن الأمين ج٥: ص١١٥.
٢) أعيان الشيعة ج٥:ص١١٦، وانظر تاريخ الحركة العلمية في كربلاء نور الدين الشاهرودي ص٢٠٢ و٢٠٣.
٣) معارف الرجال ـ الشيخ محمد حرز الدين ج٣: ص ١٦٦.
٤) سلسلة الأعوام في وفيات الأعلام الشيخ حسين البيضاني ص٢٤.
٥) مجلة (المرشد) السورية (عدد خاص بأسرة آل الشيرازي) ع ١٧ و١٨، ص٢٧ (٢٠٠٤م).
٦) مجلة (أجوبة المسائل الدينية) الكربلائية ـ ع ١٠ ـ لسنة ١٣٨٠هـ.
٧) في ذكرى فقيد الإسلام الخالد ـ الإمام الشيرازي ـ السيد صادق آل طعمة ص ٣٠.
٨) جريدة (الوطن) البغدادية العدد ٢٠١ السنة العاشرة (٧ نيسان ١٩٦١م)
٩) سلسلة الأعوام في وفيات الأعلام الشيخ حسين البيضاني ص ٢٥.
١٠) شعراء كربلاء ـ سلمان هادي آل طعمة (مخطوط) ج١.
١١) بين الظلال ـ المجموعة الشعرية الثانية ـ سلمان هادي آل طعمة /ص ١٤٦.

مختارات من الملامح الأخلاقية عند الإمام الحسين عليه السلام

د.ظافر عبيس الجياشي •
جامعة الإمام الصادق عليه السلام

ينابيع

(الأخلاق الفاضلة هي التي تحقق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة، وتحيطه بهالة وضاءة من الجمال والكمال، وشرف النفس والضمير، وسمو العزّة والكرامة)[1]، وناهيك عن عظمة الأخلاق التي أولاها النبي صلى الله عليه وآله عناية كبرى، وجعلها الهدف والغاية من بعثته ورسالته، فقال: (إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]، وقد وصفه سبحانه بأنّه لعلى خلق عظيم، وأكدّ ذلك الوصف مرتين في آية واحدة، فأكّده بـ(إنّ)، وأكّده باللّام فقال: (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) (القلم: ٤). وأثنى عليه في آيات أُخر منها قوله تعالى: (**لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**) (الأحزاب: ٢١). فبين سبحانه أنّه صلى الله عليه وآله الأسوة الحسنة التي ينبغي للأمة أن تتأسى به في كل شيء، قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**) (الجمعة: ٢). والتزكية هي التطهير من أدناس الأعمال والأقوال والأخلاق والنيات، فجعل الله من صفات نبيه أنّه يزكي من آمن به واتبعه، ولا يمكن أن تكون هذه التزكية بمجرد القول، بل لابد أن يكون المُزكى صلى الله عليه وآله مثالاً حياً رفيعاً في التزكية.

والإمام الحسين عليه السلام هو ثمرة من هذه الشجرة المونقة المورقة الغضة التي طالما تفيأ تحت ظلالها، ونهل من عبق رحيقها، وعذب نميرها حتى قال فيه صاحب الخلق العظيم: (حسينٌ مني وأنا من حسين)[3].

ونحاول في هذه السطور تسليط الضوء على بعض الملامح الأخلاقية التي مثلها الإمام الحسين عليه السلام في أقواله وأفعاله لننتفع منها ونحذو حذوها، منها:

١ - التعاون الاجتماعي

(إنّ الأحاسيس والعواطف اللطيفة النابعة من أعماق روح الإنسان التي تتجلّى في أنواع الخيرات والمساعدات والإعانات لأبناء النوع الإنساني على مسرح الحياة هي من أسمى الغرائز الإنسانية، وهي بدورها تضغط على قلب ابن آدم على إثر مشاهدته للآلام والمشاكل، ثمّ تعدّه للتضحية، والفداء لدفعها.)[٤].

وقد كان للإمام الحسين اليد الطولى في هذا الجانب، إذ سعى لحلّ مشاكل الآخرين، ورفع عوزهم، واحتياجهم بصورة ترفع عن السائل ذلّ السؤال، وعن المسؤول منّة العطيّة.

من ذلك ما روي عنه عليه السلام أنّه جاء إليه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة فقال عليه السلام: (يا أخا الأنصار صن وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة فإنّي آت فيها ما سارّك إن شاء الله، فكتب: يا أبا عبد الله إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار وقد ألحّ بي فكلّمه ينظرني إلى ميسرة. فلمّا قرأ الإمام الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرّة فيها ألف دينار وقال عليه السلام له: أمّا خمسمائة فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروة، أو حسب، فأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروة فإنّه يستحيي لمروءته، وأمّا ذو الحسب فيعلم أنّك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك)[٥].

فالإمام عليه السلام يُريد منّا أن نكون مجتمعاً متعاوناً ومتواسياً ذاتياً في سبيل القيام بالتكاليف الاجتماعية، فالبر والإحسان من أسس الأخلاق التي رسمها الإسلام

الحنيف، فمن لم يفكر بخدمة المجتمع فليس منهم كما أعلن ذلك الرسول الكريم إذ قال: (من أصبح ولا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)[٦]، وهو بعد هذا يمثل قوله تعالى: (**وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّه ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ**) (البقرة: ١٧٧).

وفي حديث آخر له عليه السلام، يعدّ ذلك من نعم الله على عباده، مشبهاً المعروف بالرجل ذات الهيأة الحسنة، وأن الله سيعطي المحسن خير الدارين ويفرج عنه همومهما، يقول عليه السلام: (واعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور نقماً واعلموا أنّ المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار، أيّها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإنّ أجود الناس من أعطي من لا يرجوه، وإنّ أعفى الناس من عفا عن قدره، وإنّ أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو فمن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غدًا، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافاه بها في وقت حاجته وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحبّ المحسنين)[٧].

وما كان للإمام عليه السلام أن يتغاضى عن رعيته الذين يعانون مرارة الفاقة ومضض الحرمان، من دون أن يتحسس مشاعرهم ويتطوع لإغاثتهم والتخفيف عنهم، وهذه الصفات من أبرز خصائص المجتمع الإسلامي التي جسدها الإمام في أفعاله وأقواله، ممّا جعل أفراد المجتمع كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا.

٢- تصحيح المفاهيم الأخلاقية

إنّ من أهمّ العوامل التي تكمن وراء توفيق المجتمعات الإنسانية، وانتصاراتها، وانتكاساتها هي العوامل الأخلاقية، فالطبيعة الحقيقية للإنسان مستعدة للتكامل، والإنسان لديه قوة واستعداد لذلك إذا ما وجه التوجيه الصحيح من دون إفراط أو تفريط.

وكمثال على منهج الإمام عليه السلام في تصحيح المفاهيم الأخلاقية ما صححه عليه السلام في ما يخص اصطناع المعروف عند غير أهله، إذ قال عنده رجل: (إنّ المعروف إذا أسدي إلى غير أهله ضاع، فقال الحسين عليه السلام: ليس كذلك ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر)[٨].

فالإمام عليه السلام يريد أن يعلمنا صنع المعروف ولو عند غير أهله وتفادي حالته الانتقائية في العطاء لاسيما إذا كان هدفها إنسانياً صرفاً؛ لأنّه من وسائل تدعيم الروابط وإشاعة روح الخير، والخروج من إطار الذات الفردية إلى الذات العامّة.

وفي هذا من الاقتراب من الله تعالى ما لا يَخفى، وله من المثوبة عند الله شأن متميّز، فهو يُنمّي في داخل الإنسان مَلَكةً إنسانيةً رفيعة إلى جوار ما يحظى به المرءُ من محبّة في القلوب ومنزلة في بيئته الاجتماعية.

وهو يريدنا أن نكون من أهل المعروف كما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: (اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس من أهله، فإن لم يكن هو

أهله فكن أنت من أهله)[٩].

وكما أنّ حسن الخلق هو حالة نفسية تبعث على حسن معاشرة الناس، وطيب القول، ولطف المداراة فقد حدَّه الإمام الصادق عليه السلام بقوله حينما سُئل: (تلين جناحك، وتطيِّب كلامك، وتلقى أخاك ببشرٍ حَسَنْ)[١٠]، فهو قوة راسخة في الإرادة تنزع إلى اختيار ما هو خير وصلاح.

٣- ترك المحرمات

من ذلك الغيبة، قد يتعجب الإنسان من تشديد النصوص الدينية على مسألة الغيبة[١١]، لما لها من أهمية بحفظ سمعة الآخرين ومكانتهم المعنوية في المجتمع؛ لأنَّ أهَّم شيء أن يعيش الإنسان في مجتمعه آمناً على نفسه وماله وعرضه، ولا فرق في حكم الغيبة بين كشف عيب الآخرين باللسان، أو بالفعل، أو الإشارة بنحو صريح أو بالكناية.

وقد ورد أن الإمام الحسين عليه السلام قال لرجل اغتاب عنده رجلاً: (يا هذا كفّ عن الغيبة فإنها أُدام كلاب النار)[١٢].

إنّ لكل شيء أُدامًا، وأُدام كلاب النار الغيبة، فالإمام عليه السلام يواجه المغتاب بجواب رادع مشبهاً كلامه بأُدام كلاب النار إشعارًا منه بقبح الفعل الذي جاء به، وشدّة حرمته، وسوء عاقبته؛ لأنّ هذه الصفة من أخسّ السجايا وألأم الصفات، وأخطر الجرائم والآثام، وكفاها ذمًّا أنّ الله سبحانه شبه المغتاب بآكل لحم الميتة فقال سبحانه: **(وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)** (الحجرات: ١٢)، وقال: **(لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً)** (النساء: ١٤٨).

فأراد الإمام عليه السلام أن يبين ما للغيبة من أضرار كثيرة في الدنيا والآخرة، وهذه الأضرار لها آثارها السلبية على الفرد والمجتمع، فلا بد من التنبيه عليها، وبيان تبعاتها؛ كي نتجنبها ولا نقع فيها، ونحذر ارتكابها.

ونجد الإمام في حديث آخر يوصي بالاحتياط في التكلم، ووضعه في موضعه، روى عبد الله بن عباس، قال: قال لي الحسين بن علي عليه السلام: (يا بن عباس، لا تتكلمن بما لا يعنيك فإنني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمن بما يعنيك حتى ترى له موضعاً، فرُبَّ متكلم قد تكلم بحق فعيب، ولا تُمارِيَنّ حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يقليك، والسفيه يرديك، ولا تقولن خلف أحد إذا توارى عنك، إلا مثل ما تحب أن يقول عنك إذا تواريت عنه، واعمل عمل عبد يعلم أنه مأخوذ بالإجرام مجزي بالإحسان، والسلام)[١٣].

٤- التحلي بأخلاق القرآن

لكلّ قوم تحيّة فيما بينهم تعارفوا عليها، وتحيّة الإسلام (السلام)، وهو من الحقوق المتبادلة بين المسلمين إلقاءً وَرَدّاً، وهو دعاء بالسلامة من الآفات، وتطمين بين المسَلِّمين، وقبل ذلك فالسلام اسم من أسماء الله تعالى، لسَلامته من النقص والعيب والفناء، وهذا الاسم يُعدّ من أسباب المودّة، والمحبة بين المسلمين.

وقد حرص الإمام عليه السلام على إشاعة هذا الخلق القرآني بين أصحابه وجلسائه، فقد رُوي أنه قال له رجل ابتداءً: (كيف أنت عافاك الله، فقال عليه السلام له: السلام قبل الكلام عافاك الله، ثمّ قال عليه السلام: لا تأذنوا لأحد حتى يُسلّم)[١٤].

فالإمام عليه السلام ينهى أن يُجاب المتكلم قبل

السلام طلباً لإشاعة السلام، وتحقيقاً للأمان والاطمئنان بين المسلمين؛ حتى يَشيع بينهم الوئام والمحبَّة، والإكرام والحفاوة ليكون دليلاً على صدق الإسلام، وبرهانًا على كمال الإيمان، وسببًا في توثيق المودَّة.

والسلام هو تحيَّة أهل الجنَّة فيما بينهم، قال تعالى: (**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) (يونس: ١٠) وهو تحيَّة الله إليهم؛ كما قال سبحانه: (**سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**) (يس: ٥٨).

ولأهميته وثوابه ولكي يغنم المسلم بالحسنات، وتزداد الرغبة إليه والشوق نحوه، وذم البخيل فيه، قال عليه السلام: (للسلام سبعون حسنة تسع وستون للمبتدئ وواحدة للراد)[١٥]، وقال عليه السلام: (البخيل من بخل بالسلام)[١٦].

٥-ترك المِراء والجدل في الدين

الجدال إذا انتهى إلى المراء في الدين، فهو منهي عنه بلا إشكال؛ كونه لا يؤدي إلى نتيجة محمودة، فلو أنّا قدرنا خطورة الجدال على العلاقات الإنسانية في المجتمع لعرفنا لماذا يحث الصالحون على تركه، فكم من صداقات تمزقت بسبب جدال، وديانات ومذاهب تشتتت وانفصمت عراها بسبب المِراء والجهل، فهو ليس الأسلوب الأفضل لكسب الآخرين وجذبهم نحو ما يعتقده المرء في دينه.

لذا نجد الإمام الحسين عليه السلام ينهى عنه أشد النهي، فقد روي أنّ رجلاً قال للحسين عليه السلام: اجلس حتى نتناظر في الدين، فقال: (يا هذا أنا بصير بديني، مكشوف علي هداي، فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب فاطلبه، مالي وللمماراة، وإنّ الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه، ويقول: ناظر الناس في الدين، لئلا يظنوا بك العجز والجهل، ثمّ المِراء لا يخلو من أربعة أوجه:إمّا أن تتمارى أنت وصاحبك في ما تعلمان، فقد تركتما بذلك النصيحة، وطلبتما الفضيحة، وأضعتما ذلك العلم، أو تجهلانه فأظهرتما جهلاً، وخاصمتما جهلاً، وإمّا تعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلب عثرته، أو يعلمه صاحبك فتركت حرمته، ولم تنزل منزلته، وهذا كله محال، فمن أنصف وقبل الحق، وترك المماراة فقد أوثق إيمانه، وأحسن صحبة دينه، وصان عقله)[١٧].

فالإمام عليه السلام يحرص كلّ الحرص على بيان الآثار السلبية المترتبة على هذا الجدل والمماراة لأنّه غالبًا في الجدال المغالبة، والمغالبة سبب رئيس من أسباب القطيعة، فهي تحمل في طياتها المشاطرة، وليس من الإنصاف، أن يعيش الإنسان مع أبناء مجتمعه وهو يريد مغالبتهم دائماً، وهذا الفعل غير لائق إلا بأهل الباطل وأصحاب الضلالة فمن عادتهم أن يستحقر بعضهم بعضاً، ولا ينفك أحدهم يصغّر صاحبه، ويزري عليه، وينقص مروءته، ويبحث عن عيوبه ويتتبع عثراته، حتى يؤدي ذلك إلى العداوة البالغة التي يكون فيها سعاية بعضهم ببعض، فيسوق ذلك إلى أنواع الشرور.

وينبغي أن ننوه بأنّ الجدال في الدين ليس محرماً، وإنّما المحرم منه هو الجدل القائم على المماراة واتباع الشهوات، وطلب المغالبة بغير حق، لكن إذا كانت المجادلة في الدين على أساس علمي،

ودافع موضوعي، وقصد منها كشف المجاهيل في ظل تلاقي الأفكار، فليس بمحرم قطعًا، وعليها بنيت الحضارة العلمية، فإنّه من قبيل دراسة العلم ومذاكرته التي أمر بها الإسلام، وقد أمر الله سبحانه نبيه بالمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: (**وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) (النحل: ١٢٥)، وقال عزّ وجل: (**وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهُنا وَإِلهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) (العنكبوت: ٤٦).

وقد ذُكر عند الإمام الصادق عليه السلام الجدال في الدين وأنّ الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال عليه السلام: (لم ينه عنه مطلقاً، لكن نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن)[١٨].

وهكذا كان خلق الإمام الحسين عليه السلام في جميع معاملاته، وأقواله، وأفعاله، فأصبح سلوكه لنا أُسوة ومواقفه قدوة مركزاً على الجوهر بدلاً من المظهر، وما ذكر غيض من فيض، والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ■

---

١) أخلاق أهل البيت/ السيد مهدي الصدر.

٢) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي: ٢١٠/١٦.

٣)أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ١٧٨.

٤) رساله الأخلاق/باب تجلّي الخيرات في آفاق الحياة/ السيد مجتبى الموسوي اللاري.

٥) تحف العقول، الشيخ ابن شعبة الحراني: ١٧٥-١٧٦.

٦) الكافي، الشيخ الكليني: ١٦٣/٢.

٧) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي: ٤/ ١٦٤.

٨) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٦٢٠/١.

٩) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٩٤/١٦.

١٠) الإنسان في ظل الأخلاق، الشيخ محمد حسن النائيني: ١٤.

١١) ينظر: الذنوب الكبيرة، السيد عبد الحسين دستغيب: ٤/٢ ٢٦-٢٧٦.

١٢) تحف العقول: ١٧٤.

١٣) موسوعة عبد الله بن عباس، السيد محمد مهدي الخرسان: ٢٤٦/٥.

١٤) تحف العقول: ١٧٥.

١٥) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ١١٨/٥.

١٦) تحف العقول: ١٧٧.

١٧) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، الجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ٨٩٤.

١٨) ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري: ٣٧٣/١.

قال الإمام الحسين عليه السلام يومًا لابن عباس: (لا تتكلمنَّ فيما لا يَعنيك فإني أخافُ عليكَ الوِزر، ولا تتكلمنَّ فيما يُعنيك حتى ترى للكلام موضعًا، فرُبَّ مُتكلمٍ قد تكلَّم بالحقِّ فَعيب)، (ولا تُمارينَ حليمًا ولا سفيهًا، فإن الحليم يقليك، والسفيه يؤذيك)، (ولا تقولنَّ في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلّا ما تُحب أن يقولَ فيك إذا تواريتَ عنه، واعمل عمل رجلٍ يعلمُ أنه مأخوذٌ بالإجرام، مَجزيٌّ بالإحسان)، والسلام. بحار الأنوار: ج٧٥

العمل...
ترجمان القول السديد

بقلم: مكي قاسم البغدادي •
باحث في الدراسات القرآنية

ينابيع

قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**)(الأحزاب: ٧٠- ٧١).

القول السديد المبني على التقوى، يمر في حالات استثنائية فيها المعاناة، فعليه أن يقول الحق في ظروف إرهابية يصعب فيها قول الحق.كما في الحديث الشريف: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[١].

حكي أن يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكيت من أكابر علماء العربية، جلس يوماً مع المتوكل، فجاء المعتز والمؤيد ابنا المتوكل العباسي، فقال: أيهما أحب إليك ابناي أم الحسن والحسين؟ قال: والله إن قنبراً خادم علي عليه السلام خير منك ومن ابنيك!! قال سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات في تلك الليلة، رحمه الله تعالى[٢].

ومن العجب أنه أنشد قبل ذلك للمعتز والمؤيد ابني المتوكل وكان يعلمهما فقال:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب برأسه
وعثرته في الرجل تبرأ على مهل[٣]

ـ وهنا جاء قوله تعالى: (**وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**) **مباشرة وبلا فاصل بعد قوله تعالى: (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**) وفي ذلك دلالات:

بمعنى: يوفقكم للأعمال الصالحة، دلالة على قبولها منكم، وجاء إصلاح الأعمال عملاً بإطلاقها وعدم تحديدها، بمعنى: يصلحها بشروعها وإبداعها وإنجاحها وحديثها أو بمعنى: يصلحها بالقبول والإثابة عليها، وتيسير عملها، وتعميم انتفاع الناس منها، والاستبشار بها، وانتشار فوائدها.

هناك علاقة قوية بين: القول السديد، وصلاح الأعمال، وغفران الذنوب، وبين طاعة الله ورسوله، والفوز العظيم.

وفي الحديث عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)[٤].

وعن الإمام علي عليه السلام: (إن لسان المؤمن من وراء قلبه، وإن قلب المنافق وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره

في نفسه، فإن كان خيراً أبداه وإن كان شراً واراه، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه)[٥].

ومن مقومات القول السديد الذي يقود إلى العمل الرشيد:

قول الإمام علي عليه السلام وهو يبين مقومات ذلك: (مغرس الكلام القلب، ومستودعه الفكر، ومقومه العقل، ومبديه اللسان، وجسمه الحروف، وروحه المعنى، وحليته الإعراب، ونظامه الصواب)[٦].

ومن علامات القول السديد: المؤدي إلى العمل الرشيد، (قلة كلام المرء في ما لا يعنيه).

عن الإمام علي عليه السلام: (إذا تم العقل نقص الكلام)[٧].

عن الإمام الباقر عليه السلام: (إني لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلاً على مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله)[٨].

وفي تلازم القول مع العمل، جاء في نهج البلاغة: (من علم أن كلامه من عمله، قلّ كلامه إلا في ما يعنيه)[٩].

ومن علامات القول السديد الملازم للعمل الرشيد، عدة علامات:

١ـ أن لا يتكلم العاقل إلا بحاجته أو حجته.

٢ـ أحسن الكلام ما يمجّه الآذان، ولا يتعب فهمه الأفهام[١٠].

٣ـ أحسن الكلام ما زانه حسن النظام، وفهمه الخاص والعام[١١].

٤ـ خير الكلام ما قلّ دلّ ولا يمل. (وخير الكلام ما دعم بعضه بعضا، وشر الكلام ما نقض بعضه بعضا).

٥ ـ قوله تعالى: **(وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا)** (البقرة: ٨٣).

٦ـ قوله تعالى: **(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)**

(القصص: ٥٥).

٧- العمل الصالح على عمومه وإطلاقه، هو الثمرة الحلوة المحبوبة من نتاجات القول السديد، الناتج من الفكر السديد، الذي يحمل الرأي الحق، والموقف العادل، والنظرة الصائبة، والحس الإنساني، ويوجه إلى الصراط المستقيم الثابت، الذي لا فساد فيه ولا تغير ولا تقلب ولا تبدل ولا تلون ولا ازدواج الشخصية...

٨- قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**).

هناك علاقة وطيدة بين القول السديد وإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، وذلك أن النفس إذا لازمت القول السديد وداومت عليه واعتادت عليه، انقطعت عن كذب القول، ولغو الحديث، ولهو الكلام، وسخافة القول، وتفاهة المنطق، وضحالة التفكير، والمزاح الذي يسقط الهيبة.... الخ.

ومعنى ذلك: إذا تخلص الكلام من السلبيات التي يترتب عليها أنواع الفساد، وبرسوخ هذه الصفة الإيجابية في الكلام السديد الخالص، ينقطع الفعل عن الفحشاء والمنكر واللغو واللهو والسهو... وعند ذلك تصلح أعمال الإنسان فيندم على ما ضيعه من عمره في توافه الأمور، وضياع الأوقات وعدم استثمار فرص التقدم والتنور، وارتكاب الذنوب، والتساهل في الطاعات، وتردي الأخلاق، وسوء التعامل مع الناس... ولكن يندم في وقت لا ينفع الندم!

ولكن ما حيلة المضطر إلا ركوبها، فليس أمامه إلا أن يستغفر الله بسرعة على ما أساء، ويندم على ما فعل، ويعزم على أن لا يعود لأمثالها... ويحفظه الله فيما بقي من عمره عن اقتحام الذنوب الكبيرة، وإن زلّ في ارتكاب صغائر الذنوب، (فهي اللمم): وهي الذنوب الصغيرة التي لا يعتاد عليها الإنسان، وإنما تحصل بين حين وآخر بصورة عفوية وغير متعمدة، من دون إصرار، كما قال تعالى: (**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ**) (النجم: ٣٢).

فملازمة القول السديد والاعتياد عليه يمكّن الإنسان من الأعمال الصالحة على إطلاق معناها، ومغفرة الذنوب بإذن الله، لذلك قال تعالى: (**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**) ويجعلها مغفورة، باعتمادكم القول السديد والعمل الرشيد.

وفي ذلك إشارة: إلى أن من وفقه الله لصالح الأعمال فذلك دليل ضمني، على أنه مغفور له من ذنوبه، مع تثبيت قاعدة: لسان الحال أصدق من لسان المقال وفي التلميح قبل التصريح، وربّ تلميح أبلغ من تصريح.

ثم قال تعالى: (**وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**): فإن من اعتمد القول السديد المفيد فإن الله يصلح أعماله ويعظم أجره ويرفع شأنه ويصلح شأن من حوله، لأن القول السديد وصلاح الأعمال الفردية الاجتماعية وصلاح الدنيا والآخرة، والأمل والعمل.... من نتاجات طاعة الله ورسوله.

كما قال تعالى: (**وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**): لأن طاعة الله ورسوله هي طاعة الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وكلمة الطاعة هذه كلمة جامعة لجميع الأحكام الإسلامية.

وبسداد الأقوال وسداد الأعمال، من سداد القلوب وتحسن الأحوال.

وقوله تعالى: (**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**) عبارة عن رفع الحجب الظلمائية، من الذنوب الأرضية التي تشد إلى جاذبية الأرض، بنور المغفرة الإلهية والرحمة الربانية. ومن يطع الله في ما أمره ونهاه، يطع الرسول في ما أرشده إلى صراط مستقيم، ومتابعة سنته الصحيحة، فقد فاز فوزاً عظيمًا.

وهكذا من يطع الله ورسوله في تركية نفسه وتهذيبها باستمرار، و(**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**) ومحو الصفات السلبية الظلمائية فيها على الدوام، فقد اعتمد التخلية أولا ثم فاز بالتحلية، وتشبّه بأخلاق الصفات الربانية، وذلك هو الفوز العظيم، بهذه التربية النموذجية المميزة.

خلاصة القول:

أن تقول الحق والصدق والخير.. ولا تكتم منه شيئاً ولو كان على نفسك، والمراد به ما ينفع الناس، وتقوية الثقة بينهم.

بقرينة قوله تعالى: (**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**) حيث جعل سبحانه القول السديد سبباً لصالح الأعمال.لأنه القول العملي المؤثر، الذي يتحول مباشرة إلى تأثير وتفاعل في النفس، وهذا التأثير في النفس يتحول إلى تطبيق وممارسة.

مثال ذلك: أن ترشد ضالاً إلى طريق الخير والعلم والأمان، أو تنصر مظلوماً بكلمة العدل الذي هو أساس الملك، أو تقول كلاماً تصلح به بين اثنين، أو أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، وأن تحب للناس ما تحبه لنفسك، وتكره لهم ما تكرهه لنفسك.

إنه الكلمة الصالحة، والحديث البليغ، الذي يتحمل مسؤولية الكلام، الناتج في بناء الإنسان نفسه وعقله وفكره وأخلاقه، على أساس تقوى الله، لأن التقوى تصنع في النفس رقابة ذاتية هادئة، ومحاسبة علمية مستمرة.

فالقول السليم غالبًا ما يكون مؤثرًا في كل نفس، إن كان في وقته المناسب ومكانه المناسب أو المجتمع المناسب، بالأسلوب البلاغي المناسب، بحيث يكون أسلوب الكلام الشفاف النفاذ، يتناسب مع العمل الجليل القائم، فيكون الكلام النابع من القلب يدخل ويؤثر في القلب ويؤثر فيه بلا استئذان.

سأل أحدهم رسول الله ﷺ هل يحاسبنا ربنا على ما نقول؟ قال ﷺ: (وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم)[١٢].

- ولكي يكون كلامنا مقدراً، لابد أن يكون مؤثراً، ولا يكون مؤثراً إلا أن يكون سديداً، ولا يكون سديداً إلا إذا ابتعدنا عن التبرير والكذب والغيبة والنميمة والتهمة.. وكل مساوئ الأفعال، وآفات اللسان، ومساوئ الأخلاق..

اللهم اعصمنا من الزلل وسددنا في القول والعمل، وجنبنا كلّ ضعف وجهل ونقص وخلل..وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين■

---

١) كنز العمال/المتقي الهندي: ٢ / ١٦.
٢) وفيات الأعيان /ابن خلكان ج٦ص٤٠٠.
٣) منهاج البراعة ج١ ص٢٨٨.
٤) بحار الأنوار ج٧١ ص٢٧٨.
٥) نهج البلاغة (خطبة ١٧٦).
٦) عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي ص٤٨٧.
٧) م.ن. ص ١٣٤.
٨) شرح نهج البلاغة/ابن أبي الحديد ج٧ص٩٢.
٩) م.ن.
١٠) عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي ص ١٢٦.
١١) م.ن. ص ١٢٤.
١٢) بحار الأنوار ج٧٧ ، ص٩٠.

لنتحرَّ الدقة في بحث سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

الشيخ جميل مال الله الربيعي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

كُتب عن تأريخ وسيرة الرسول الأعظم آلاف الأسفار بمختلف اللغات والاتجاهات، ولا تزال الأقلام ترعف المزيد من الأبحاث والدراسات، والموسوعات الكبيرة، كل يرتشف من بحره الكوني حسب قدرته، وطاقاته المعرفية، ولا يزال العلماء والمفكرون والفلاسفة والمؤرخون والأدباء يَسْبَحون على ضفاف محيطه، ولم يستطيعوا أن يسبروا عمق حياته الشريفة الطافحة بأسمى المثل الإنسانية، الأخلاقية، والاقتصادية، والسياسية والاجتماعية في أسمى مراتبها، وكيف لا وهي تجسيدٌ حي لوحي السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) (سورة النجم: ٣-٤)، وبالتالي هي خلاصة التأديب الإلهي على طول خط الرسالات يقول صلى الله عليه وآله: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[١] ويقول صلى الله عليه وآله: (أنا أديب الله)[٢].

وفي سيرته صلى الله عليه وآله العطرة من الخلق العظيم، والمثل العليا، والحكم البالغة التي تمثل أسمى درجات الكمال الإنساني، وفي أوج العظمة والجلال، فهو صناعة إلهية تمت ضمن رعاية ربانية لتُخرج للبشرية المثل الأعلى في الكمال الإنساني، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ به صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِه يَسْلُكُ به طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ)[٣].

وهكذا جسدت سيرته صلى الله عليه وآله أروع تجربة إنسانية أوصلت الأرض بالسماء، وعكست أنوار الوحي الإلهي بصورة واضحة مشرقة وضّاءة نورت الأرض بنور السماء، وكستها بحلل العدل والقسط والعفة والحكمة والشجاعة، والتحدي لكل أنواع الجهل والظلم والكفر والشرك والضلال، ووضعت البشرية على جادة السعادة في الدنيا والآخرة، وقوضت كل قلاع الكفر أينما كان وعند من كان حتى امتدت إلى معظم أرجاء المعمورة رغم كل الحملات المسعورة الغاشمة من الأقلام المأجورة التي سخرت لها إمكانات دول كبرى؛ لتشويه جمال صورته الجذابة

للقلوب، والمنورة للعقول.

ورغم كل هذا الكم الهائل من الأسفار التي تحرت كل مفردات حياته الشريفة في أدق حركاتها وسكناتها، فلا نعرف شخصية في التأريخ كتب عن جزئيات حياتها كما كتب عن رسول اللهﷺ، فما تُركتْ مفردة من مفردات حياته إلا وبحثتْ حتى أكله، ونومه، ومشيته، وابتسامته، ورضاه، وغضبه، وسلمه، وحربه، وقيامه، وقعوده، ولقائه، ومصافحته، والسر في ذلك أنَّهﷺ يمثل ذروة الكمال في القيم الإنسانية، فاجتذب جماله الأذواق السليمة والعقول النيرة من كل القوميات، والطوائف، والأديان، والمذاهب، ورغم ذلك كله فإنَّ سيرة الرسولﷺ لا تزال بحاجة إلى البحوث الدقيقة التي تدقق، وتحقق، وتفرز الغث من السمين؛ لتبرز منها الصحيح السليم، وتلفظ المدخول، والمدسوس، والمفترى....، ولا سيما الإسرائيليات التي دسها اليهود، والزنادقة، والمتلبسون بالإسلام كذباً وزوراً، فنسبوا للرسول الأعظمﷺ ما لم يقله، ولم يفعله، لا سيما بعد رحيله من الدنيا، واندساس أحبار اليهود الذين احتلوا مواقع متقدمة في بعض مفاصل المجتمع والدولة، فراحوا يدسون أساطيرهم وخرافاتهم وبدعهم في كتب المسلمين؛ لتشويه حقيقة الإسلام، وضربه من داخله من خلال تزييف عقائده الحقة، وتحريف أحكامه النيرة.

والأخطر من ذلك ما أفرزته السياسة الأموية الغاشمة التي خططت منذ نشأتها لدفن الإسلام من خلال دس الأساطير والخرافات والأكاذيب في سيرة الرسولﷺ، ومن أجل ذلك سخرت كل إمكانيات الدولة لذلك، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في حديثه عن شراء الذمم للكذب على رسول اللهﷺ في وضع الفضائل على لسانه، يقول: منحهم معاوية من الصلات، والكساء، والحباء، والقطائع، ويفيضه في العرب منهم، والموالي، فكثر ذلك في كل

مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة، أو منقبة إلا كتب اسمه، وقربه، وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً. ثم كتب إلى عماله: إنَّ الحديث في عثمان قد كثر، وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنَّ هذا أحب إليَّ، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجَدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله)[٤].

إلا أنَّ الله حفظ دينه بالثقلين: كتاب الله، والعترة الطاهرة عليهم السلام.

ونتيجة ما دسه اليهود الذين أظهروا الإسلام مخادعة وكذبًا وزورًا ونفاقًا بعد أن يئسوا من إيقاف حركته في العالم لقوة مبادئه، ودقة أحكامه فراحوا يتلبسون بثوب الإسلام، ويتظاهرون بالإيمان، والحرص على الإسلام، وهم أهل كتاب يحملون ثقافة مغايرة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله خاصة بهم، فاختطوا منهجاً خطيراً يقوم على قلب الحقائق الإسلامية، والأسس العقائدية، وتغيير الأحكام مما أوجد اضطراباً في تأريخ الإسلام، فنسبوا للنبي صلى الله عليه وآله من أكاذيبهم وأساطيرهم وخرافاتهم ما يجعل شخصيته متزلزلة، مضطربة، عاجزة، انفعالية، شهوانية، يغلب عليها التردد والتراجع والاضطراب، ولا يدري هل هذا الذي نزل عليه في غار حراء وحيٌ أم وهمٌ، فيذهبون به؛ ليستشير مرة ورقة بن نوفل، ومرة يذهبوا إلى السحرة، والعرافات، وغير ذلك من الأكاذيب الصلعاء البلهاء، والمصيبة الكبرى والكارثة التي تقصم الظهر أنَّ هذه الترهات دست في أسفار الحديث، ووضع لها أسانيد لا أصل لها ولا فرع، يقول الشيخ المظفر:

(وهناك بلاء مُنيَ به التأريخ الإسلامي خاصة حماه بالغموض والشك عن الباحثين المنصفين. ذلك كثرة ما لَفَّقَهُ الوضاعون والدساسون في القرون الأولى من الهجرة، لا سيما القرن الأول فأشاحوا بوجه الحقائق، وقلبوها رأساً لعقب، وليس أدل على ذلك من التناقض والاضطراب الموجود في أكثر أحاديث الوقائع التاريخية، فضلاً عن الأحكام الشرعية)[٥].

وما فعله الزنادقة فأمرٌ وأنكى، فقد قال الزنديق ابن أبي العوجاء لما أُخِذَ ليُقتَل: (والله لقد وضعت أربعة آلاف حديث حللت فيها الحرام وحرمت فيها الحلال، والله لقد فطَّرْتكم يوم صومكم، وصَوَمْتُكم يوم فطركم)[٦]، وما هذه التشعبات، والتشرذم في الأمة، والاختلاف في المذاهب إلا نتيجة ما بذلوه من جهود منظمة ضمن تخطيط بعيد المدى؛ لضرب الإسلام في الصميم حين يُزَيِّفون عقائده، ويحرفون أحكامه، فيدسون ما ليس من الإسلام فيه، وهذا أخطر من جيوش المغول والتتر؛ لأنَّ فرز الصحيح من السقيم ليس أمراً متيسراً لكل أحد، وإنما هو خاص بالعلماء من ذوي الخبرة العلمية والتقوى والورع والموضوعية، وأما

إذا كانوا من أصحاب المذاهب التي أفرزتها السياسة الأموية والعباسية فالأمر يكون أشنع حيث تتخذ تلك الموضوعات ذريعة لإسناد تلك المذاهب وترويجها بين الناس باسم الإسلام، وهذا من أعظم ما رُزئ به الإسلام. يقول محمد عبده:

(لم يرزأ الإسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه، وما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه، فذلك مما جلب الفساد على عقول المسلمين، وأساء ظنون غيرهم فيما بني عليه الدين. وقد فشت للكذب فاشية على الدين المحمدي في قرونه الأولى حتى عرف ذلك في عهد الصحابة رضي الله عنهم، بل عهد الكذب على النبي ﷺ في حياته.. إلا أن عموم البلوى بالأكاذيب حق على الناس بلاؤه في دولة الأمويين، فكثر الناقلون، وقلّ الصادقون)[٧].

وبناء على ما تقدم فإنّه يجب على الباحث والكاتب أن يتحرى الصحيح، ويدقق في الفحص من حيث المتون والأسانيد، ويرجع إلى القواعد التي وضعها أساطين علوم الحديث، وإلا سيقع في الخطأ والإثم من حيث يدري أو لا يدري، وما تقدم مجرد إشارة سريعة ؛ لتنبيه القارئ الكريم عن خطورة البحث في سيرة الرسول الأعظم ﷺ، وما يتعلق بها من عقائد وأحكام ومفاهيم.

ومن هنا يجب على كل باحث في السيرة النبوية الشريفة أن يتحرى الدقة المتناهية ويتفحص ما رواه المؤرخون ورواة الأحاديث لئلا يتبوأ مقعده في النار فقد قال ﷺ: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٨]؛ ليستطيع أن يلتقط من سيرته وتأريخه ﷺ بعض ما يعيننا لوعي الإسلام من مصادره الصحيحة، وما يساعدنا في مواصلة السير على نهجه، والدعوة إلى رسالته، والتأسي به في الدعوة إلى الله، وتحمل أعبائها، والتخلق بخلقه، والتأدب بآدابه عَلّنا نفوز بشفاعته (**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**)(سورة الشعراء: ٨٨-٨٩).

مَناهج البحث في حياة الرسول الأعظم ﷺ: تعددت مناهج البحث في تأريخ وسيرة الرسول ﷺ بتعدد المذاهب والآراء، فمنهم من سلك مسلك جمع الروايات الكثيرة والمتعددة بل والمختلفة فيما بينها، وثبتها في بحوثه على علتها بدون فحص وتدقيق.

ومنهم من أخذ المسلك الزمني في البحث، فراح يبحث في كل سنة، ما وقع فيها من أحداث تخص المسلمين سواء كان نزول القرآن، أو تحديات الكفر التي واجهها رسول الله ﷺ، أو الحروب التي وقعت.

ومنهم من قسم مراحل حياته الشريفة على قسمين، مكي ومدني، وراح يبحث الأحداث في أماكن وقوعها.

ومنهم من سلك مسلكاً أدبياً، فراح يبتدئ بفضائل وكرامات ومعاجز رسول الله ﷺ من دون ذكر حيثياتها، وما تستبطنه من أسرار.

وفي العصر الحديث برز أسلوب آخر سلكه بعض الباحثين الغربيين والمتغربين الذين راحوا يدرسون حياة رسول الله ﷺ بصفته عبقرياً من عباقرة التأريخ، أو فيلسوفاً متمرساً في الفلسفة، أو سياسياً أتقن فن السياسة مع تجريده من خصوصياته الإلهية التي هي سر عظمته ومنها انطلق وإليها يعود، ولها دعا، ومن أجلها تحمل ما تحمل...

هذه بعض الأساليب السائدة وهناك غيرها، والحقيقة أنّ كل هذه الأساليب لا تفي بشيء من الأسرار المحمدية، ولا تعطي الصورة الربانية الحقيقية، وإنما الأسلوب الأمثل، بل هو الوحيد الذي يفي بحقيقة

رسول الله ﷺ هو ما نزل به وحي السماء في القرآن الكريم، وما تفوه به أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وبعض أصحابه المخلصين، فلا يمكن معرفة رسول الله ﷺ معرفة تامة شافية من جميع جوانب حياته المفعمة بالقيم الأخلاقية، والكرامات الإلهية، والمعاجز الربانية، والتحديات السياسية بما يكتنفها من أحداث إلا من خلال هذين المصدرين؛ لأنَّ ما سواهما يحتمل الصواب، ويحتمل الخطأ، واحتمال الخطأ أرجح؛ لتعدد الآراء والمذاهب، والأمزجة، والإرادات، ولا سيما إذا دخلت فيها ألاعيب السياسة، كما حدث في السياستين الأموية والعباسية، ومن هنا علينا أن نرتشف من هذين المنبعين الفياضين؛ لوعي سيرة الرسول الأعظم ﷺ وسننه الشريفة، في جميع المجالات الفكرية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية، فرسول الله ﷺ قد جسّد القرآن في سلوكه تجسيداً حيّاً فهو القرآن الناطق في كل حركة وسكنة، فقد كان خلقه القرآن كما ورد في بعض المأثورات.

الهوامش

١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ٢١٠/١٦ .
٢) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق: ١٧ .
٣) نهج البلاغة: الخطب: ١٩٢ .
٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٤٤/١١-٤٥ .
٥) الشيخ محمد رضا المظفر، السقيفة: ١٧-١٨ .
٦) ابن الأثير، الكامل في التأريخ: ٧/٦ .
٧) محمود أبو ريـة، أضواء على السنة المحمدية: ٣٨٩ .
٨) عيون أخبار الرضا: ٢١٢/٢ .

من سيرة النبي ﷺ

روى أَبَانٌ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ اللَّه الصادق عليه السلام: نَزَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ في غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ تَحْتَ شَجَرَةٍ عَلَى شَفِيرِ وَادٍ فَأَقْبَلَ سَيْلٌ فَحَالَ بَيْنَه وبَيْنَ أَصْحَابِه، فَرَآه رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ والْمُسْلِمُونَ قِيَامٌ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي يَنْتَظِرُونَ مَتَى يَنْقَطِعُ السَّيْلُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِقَوْمِه: أَنَا أَقْتُلُ مُحَمَّداً، فَجَاءَ وشَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يُنْجِيكَ مِنِّي يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ ﷺ: رَبِّي ورَبُّكَ، فَنَسَفَه جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَنْ فَرَسِه فَسَقَطَ عَلَى ظَهْرِه، فَقَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وأَخَذَ السَّيْفَ وجَلَسَ عَلَى صَدْرِه، وقَالَ مَنْ يُنْجِيكَ مِنِّي يَا غَوْرَثُ؟ فَقَالَ: جُودُكَ وكَرَمُكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَكَه فَقَامَ وهُوَ يَقُولُ: واللَّه لأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي وأَكْرَمُ.

(الكافي/الكليني ج٨ ص١٢٧)

أحاديث
في حب النبي وآله عليهم السلام:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

* أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، من تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله عز وجل ، ومن أحبه فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله.

* أنزلوا آل محمد منزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة العينين من الرأس ، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين .

* والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتي .

* يا أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرنيها : أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فإنه لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، من أحبه فقد أحبني ، ومن أبغضه فقد أبغضني.

* ما بال رجال يؤذوني في أهل بيتي ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ، ولا يحبني حتى يحب فيَّ ذويَّ.

* لا يؤمن رجل حتى يحب أهل بيتي بحبي. فقال عمر بن الخطاب: وما علامة حب أهل بيتك؟ قال: حب هذا، وضرب بيده على علي عليه السلام.

* من أراد التوسل إلي، وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصل أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم.

* إن عليا راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني.

* أيها الناس من أحب عليا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله.

* إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له.

(سيرتنا وسنتنا/الشيخ الأميني ص٣١)

موقف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من الشعر والشعراء

الدكتور حسين لفته حافظ •
مركز دراسات الكوفة/جامعة الكوفة

ينابيع

إنّ مفهوم الشعر ونظرة الإسلام إليه تبدأ من الآيات القرآنية الكريمة وتكملها الأحاديث النبوية الشريفة، تقرأ في القرآن الكريم دفاعًا عن الرسول صلى الله عليه وآله وصونًا لدعوته ونبوته وتبرئتهما من التهم التي تخبط المشركون في تخيلها وصوغها، فقد خيل إليهم عنادهم وكفرهم أن ما يسمعونه من أي الذكر الحكيم ليس وحيًا يوحى وإنما هو ضرب مما يعرفونه في حياتهم آنذاك فتارة يتهمون الرسول صلى الله عليه وآله بأنه كاهن، وأخرى شاعر، وثالثة يصفون كلام الله جل وتعالى بأنه السحر، فجاءت الآيات الكريمة معلنة أن ما ينطق به الرسول صلى الله عليه وآله وحي يوحى، وهو كلام الله سبحانه وتعالى: (**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ**) (الحاقة:٤١).

ولا يمكن أن يفهم من هذه الآيات الكريمات حط من شأن الشعر والشعراء أو نظرة فيها احتقار أو سخرية لكونها قد نزهت الرسالة السماوية أن تكون نمطًا من الإبداع البشري.

نظرة النقاد القدامى إلى موقف الإسلام من الشعر:

تعد قضية الإسلام والشعر من القضايا النقدية المهمة التي أحرزت اهتماماً واسعاً من قبل المهتمين بالشعر العربي منذ ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية إلى يومنا هذا.

والحديث عن الإسلام والشعر حديث ذو تاريخ له رجع بعيد، فهو من الموضوعات الأدبية القديمة التي كثر فيها الكلام وطال حولها الجدل حتى يمكن القول إنها تحولت إلى قضية فكرية وإشكالية معقدة شغلت الباحثين والمختصين في الدراسات الإسلامية والأدبية على السواء[1].

وتأتي أهمية هذه القضية من أبعادها المختلفة، خصوصاً إذا اصطدمت بالمعجز الرباني (القرآن الكريم) كتاب الإسلام، ومحاولة نفي تهمة كونه شعراً، وقد اختلفت وجهات نظر العلماء

القدامى تجاه هذه القضية تبعاً لثقافة كل عالم ونظرته الاجتماعية، وكان الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) من النقاد الذين يرون أن الإسلام قد أضعف الشعر، جاء ذلك في قوله: (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان)[٢]، وقال أيضاً: (طريق الشعر طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحيل والهجاء والتشبيب والنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا دخل في باب الخير لان)[٣].

ويفهم من كلام الأصمعي أن التحرر وعدم الالتزام هو الطابع العام لشعر الفحول من الجاهليين، وقد يكون هذا الموقف واحداً من علل عزوف الأصمعي وجيله من النقاد عن شعر الإسلاميين[٤].

أما ابن سلام الجمحي فقد رأى أن العرب قد انشغلوا عن رواية الشعر بمجيء الإسلام قال: (فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم، ولهت عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر)[٥].

وحجة ابن سلام هذه غير كافية لتسويغ أن الشعر قد ضعف في صدر الإسلام، لأن الإسلام استبدل المعارك القديمة التي كانت تدور بين العرب بمعارك أخرى، هذه المعارك تدور بين الإسلام والكفر وهي حتماً كانت بحاجة إلى الشعر.

كذلك ردد قول ابن سلام السابق العام والناقد ابن خلدون في مقدمته حيث قال: (انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي،

وبما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملّة، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره، وسمعه النبي ﷺ وأثاب عليه فرجعوا حينئذ عن ديدنهم منه)[٦].

ومن النقاد القدامى من رأى أن يفصل بين الدين والشعر نجد هذا عند الصولي في قوله: (وما ظننت أن كفراً ينقص من شعر ولا أن إيماناً يزيد فيه)[٧].

وخاض ابن عبد ربه الأندلسي في هذه القضية حينما قال: (ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه، إذ كان الشعر ديوان العرب خاصة والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها، والشاهد على حكامها)[٨].

قالوا: (قد علم الله حين أنزل هذه الآية إنا شعراء، فتلا النبي ﷺ: **(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)** قال: أنتم **(وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا)** قال: أنتم **(وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا)** قال: أنتم)[٩].

ومن ذلك (فالقرآن قد ميز بين فريقين من الشعراء فريق استغل فنه فيما ينافي هدى الدين وآدابه فهو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن، وفريق اتجه بشعره إلى العمل الخير الجميل، وإلى نصرة الحق أينما وجد فهو الفريق الذي أخرجه من ذلك الوصف العام، وأيده بكل قوة)[١٠].

ولم يكن الشعراء جميعًا بمثل هذه الصورة المقيتة لينزه عنها الرسول ﷺ فللشعر مكانته الكبيرة عند العرب، وللشعراء أهميتهم في القبائل، وما كان جميع الشعراء مادحين مبالغين أو هجَّائين

وأحسن منك لم تر قط عيني
خلقت مبرأ من كل عيب

وأجمل منك لم تلد النساء
كأنك قد خلقت كما تشاء

حسان بن ثابت

القرآن والشعراء:

أشار القرآن الكريم إلى الشعراء في قوله تعالى: **(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (*) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (*) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (*) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ*)** (الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧). لقد جاء في تفسير ابن كثير أنه بعد أن نزلت **(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ)** توجه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى الرسول ﷺ وهم يبكون، مفحشين، ويبدو أن تنزيه الآيات الكريمة الرسول ﷺ عن الشعر متأت من ادعاء الشعراء أنفسهم بأمور غيبية تلهمهم الشعر، كما ادعى الكهان والسحرة ذلك، والشعراء يدعون أن لهم شياطين يوحون إليهم بالشعر مثلما يدعى السحرة بملازمة الأرواح والجن لهم، وأن القرآن كلام الله أنزله على النبي ﷺ وهو لا يشبه أي ضرب من ضروب الإبداع **(إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**(النجم: ٤).

أما الحديث النبوي الشريف الذي يعد المرجع الثاني بعد القرآن الكريم فنجد فيه أقوالًا للرسول ﷺ تسير في

إطار مفهوم الآيات القرآنية الكريمة التي صنفتهم صنفين، خير ملتزم بالدين الجديد ومنحرف لا يقدم فائدة أدبية أو أخلاقية.

موقف النبيﷺ من الشعر وعلاقته بالأخلاق:

أما الحديث النبوي الذي قد يفهم منه موقف نقدي قاس إزاء الشعراء عامة والجاهلية خاصة فهو قولهﷺ واصفًا امرأ القيس بأنه (صاحب لواء الشعراء إلى النار.. أو أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار)[11] وفي رواية أخرى تفصيل أكثر لحال امرئ القيس في الدنيا والآخرة: (ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار)[12].

وعندما نقف أمام الحديث وقفة تأمل وتحليل نلاحظ أن الرسولﷺ عربي بذوقه الرفيع وبلاغته التي جعلت من أقواله وأحاديثه أعلى نمط أدبي عرفته اللغة العربية بعد القرآن الكريم، فكيف يحط من شأن شعر امرئ القيس، إذ نقده لامرئ القيس نابع من المفهوم الإسلامي للشعر والشعراء، ويكون حكمه منصبًا على الجوانب التي فيها وصف فاحش خاصة في غزل الشاعر امرئ القيس التي تتنافى مع مبادئ الدعوة الإسلامية التي تنادي بالعفة والخلق الكريم.

ولا يمكن أن نعقل إنكار الرسولﷺ لوجود الظاهرة الشعرية في المجتمع العربي ولا أن يمنع العرب عن قول الشعر وهو الذي يقول: (لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)[13].

وفضلاً عن بعض الدارسين أن استعمال الرسولﷺ للشعر كسلاح في المعركة ضد المشركين، فضيلة أخرى من فضائل الشعر جاء ذلك في قوله: (ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه أعظم جند يجنده رسول اللّه ﷺ، على المشركين يدل على ذلك قوله لحسان: (شن الغطاريف على بني عبد مناف فو اللّه لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام، وتحفظ بيتي فيهم. قال: (والذي بعثك بالحق نبيًا، لأسُلنّك منهم سَلَّ الشعرة من العجين)! ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه، وقال: (واللّه يا رسول اللّه إنه ليخيل لي أني لو وضعته على حجر لفلقه، أو على شعر لحلقه!) فقال النبي ﷺ: (أيّد اللّه حساناً في هجوه بروح القُدس)[14].

ولما كان لشعر المشركين واليهود أثره الكبير في نفس الرسول ونفوس المسلمين وفي تعويق الدعوة والتنفير منها، كان لزاماً من الرسول أن يجند الشعر في المعركة ضد المشركين وهذا التجنيد يراه ابن عبد ربه فضيلة تحتسب للشعر.

ومن الأبيات التي أعجبت الرسول ﷺ قول عمرو بن الأهتم: [من الرجز]

ذريني فإنَّ البخل يا أمَّ هيثم
لصالح أخلاق الرجال سَروقُ
ذريني فإني ذو فعالَ تهمني
نوائبُ يَغْشَى رُزْؤُها وحُقوقُ[15]

وليس هذا الاستحسان من الرسول الكريم بالأمر العجيب فقد ولد الرسولﷺ في الجزيرة العربية، ونشأ وترعرع بين قوم يعدون الشعر ديوان فضائلهم وسجل مفاخرهم ووسيلة تخليد مآثرهم، قوم يتعشقون الكلمة الحلوة ويطربون لسماع اللحن العذب، ويقيمون الأسواق والمواسم تحقيقاً لمتعة سماع الشعر[16].

فالشعر جزء من حياة العرب ووجودهم، ولا يمكن أن يهجروه في أي حال من الأحوال كما لا يمكن أن يدعو الرسول صلى الله عليه وآله إلى مخالفة الطبيعة العربية والإنسانية لكون الشعر مظهرًا من مظاهر الإبداع الفكري الإنساني وهو العربي الذي يعجب بالكلام الفصيح، ويهتز للشعر الجميل، فقد ذكر عنه في قصة أحد الوفود بأنه وصف شعر شاعر وكلام بليغ من وفد تميم بقوله: (إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة)[١٧].

وهناك أقوال أخرى قد تكون أكثر وضوحًا لكونها تبين نظرة الرسول صلى الله عليه وآله إلى الشعر ومنها: (إنما الشعر كلام ومن الكلام طيب وخبيث)[١٨] وقوله: (إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن وما لم يوافق الحق فلا خير فيه)[١٩].

فالشعر المتمم لمكارم الأخلاق من هذه الناحية شعر حق وخير، وما كان منافيًا للحق بمفهومه العام فلا خير فيه.

إن الوقوف عند مهمة الشاعر، وجدوى الشعر في الحياة أمران يشغلان بال الناقد والسامع والشاعر معًا، والرسول صلى الله عليه وآله بتعريفه للشعر قد قدم لنا بعض جوانب هذه الصورة لمهمة الشاعر التي لم يحددها في الدفاع عن الحق أو الدعوة فحسب بل جعل مهمته إنسانية شاملة كبيرة مؤثرة، ومنها كشف جوانب الجمال والوجدان في الحياة، وأن يحرك المشاعر في النفوس فيجعلها تعيد النظر فيما كانت تتصور، وأن يلفت انتباه السامع إلى أمور ما كان يلتفت إليها، فلولا الشعر لافتقدت الحياة إلى كثير من معاني الفضيلة والجمال، ونعني جمال المثل والأخلاق الشخصية كالكرم والعفة والصدق.

إن مهمة الشاعر تفوق مهمة الفارس أحيانًا إذا أحسن استعمال موهبته الشعرية فكان عنصرًا فعالًا في مجتمعه ينير سبل الخير والمحبة والسلام ويحرك مشاعر العطف والحنان والعفو إذا اقتضى موقف ما وساطة شاعر.

وأخيرًا أدّى الشعر دورًا بارزًا في نشر رسالة الإسلام وقدم الشعراء مواهب وقدرات بيانية ولغوية لرفع الكلمة العليا، الإسلام لم يهجّن الشعر كلّه وإنما اتخذ موقفًا مناهضًا للشعر والشعراء الذين يحملون في طيّات شعرهم المعاني التي لا تتفق مع جلالة الرسالة ووقار الإسلام وكماله■

---

١) ظ: قضية الإسلام والشعر/ ٧.
٢) الموشح/ ٨٥.
٣) م . ن /٨٥ وقد ناقش الدكتور سامي مكي العاني هذا الرأي، ينظر: الإسلام والشعر/٢٤.
٤) ظ: دراسات نقدية في الأدب العربي/٣٤٤-٣٤٥.
٥) طبقات فحول الشعراء: ١ / ٢٥ .
٦) المقدمة/ ٤٢٧.
٧) أخبار أبي تمام/ ١٧٢.
٨) العقد: ٦ / ١١٨.
٩) تفسير ابن كثير: ٣ / ٣٥٢.
١٠) الإسلام والشعر، د . سامي مكي العاني/ ٤٥.
١١) ينظر الجامع الصغير للسيوطي: ١٢٢.
١٢) ينظر فيض القدير الرقم ١٦٢٤.
١٣) ينظر إحياء علوم الدين: ١٣٦/٣.
١٤) العقد: ٦ / ١٢٧.
١٥) معجم الشعراء / ٢١.
١٦) ظ: الإسلام والشعر، يحيى الجبوري / ٤٦.
١٧) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب :١/ ٢٣٤.
١٨) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٧٨/١.
١٩) المصدر نفسه.

أصحاب الإمام الحسن عليه السلام ومواقفهم من قضية الصلح

حيدر الحد •
مدير التحرير

ينابيع أصبحت قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان مثاراً للكثير من الجدليات والنزاعات، وقد كتب عنها الكثير أيضاً من البحوث والدراسات، ولعل كتاب صلح الحسن للشيخ راضي آل يس من خيرة ومقدمة الكتب التي تناولت هذا المطلب بحثاً وعمقاً وجهداً.

ولا أخال نفسي وأنا أبحث في رؤى وتوجهات أصحاب الإمام الحسن عليه السلام أن أعيد الكرّة فيما كتب الماضون الذين أشبعوا الموضوع بما يسد الثغرات هنا وهناك ولكني كلما حضرت مجلس ذكرى وفاة الإمام الحسن عليه السلام وسمعت خطيباً يذكر ما واجهه الإمام الحسن عليه السلام من بعض أصحابه والمحسوبين عليه من غلظة في القول أعود سريعاً لأقلّب كتب التاريخ وأحاول فهم المواقف بما تتيح به النصوص الموجودة في الكتب.

هناك حديث انصب عليه بحثي هذا وهو قول أحدهم في حضرة الإمام عليه السلام: (السلام عليك يا مُذلّ المؤمنين)، لنكن معاً كي نستقصي كتب التاريخ حول الحديث وعمن صدر وصحته؟

أولاً: سوف نورد عدداً من الروايات وندرجها تباعاً:

١- حدثنا أبو محمد قال: أخبرنا عمارة بن زيد قال: حدثنا إبراهيم بن سعد قال: حدثنا محمد بن جرير قال: أخبرني ثقيف البكّاء، قال رأيت الحسن بن علي عند منصرفه من معاوية، وقد دخل عليه حجر بن عدي فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: (مه، ما كُنتُ مُذلّهم بل أنا مُعِزّ المؤمنين وإنّما أردتُ البَقاءَ عليهم)[1].

٢- (... وانصرف- الحسن عليه السلام - إلى الكوفة، فأقام بها عاتباً على أهلها، مواريا لهم حتى دخل عليه حجر بن عدي(الطائي) فقال له: يا أمير المؤمنين كيف يسعك ترك معاوية، فغضب الحسن غضباً شديداً حتى احمرت عيناه ودرّت أوداجه وسكبت دموعه وقال: ويحك يا حجر تسميني بإمرة

المؤمنين وما جعلها الله لي ولا لأخي الحسين ولا لأحد مضى ولا لأحد يأتي إلا لأمير المؤمنين خاصة... فانصرف[حجر] وهو يستغفر الله، فمكث أياماً، ثم عاد إليه فقال له: السلام عليك يا مُذلّ المؤمنين، فضحك في وجهه، وقال: والله يا حجر هذه الكلمة لأسهل علي وأسرّ إلى قلبي من كلمتك الأولى، فما شأنك؟ أتريد أن تقول إن خيل معاوية قد أشرفت على الأنبار وسوادها وأتى في مائة ألف رجل من هذين المصرين ـ يريد بهما البصرة والكوفة ـ، فقال حجر: مولاي ما أردت أن أقول إلا ما ذكرته، فقال: والله يا حجر لو أني في ألف رجل لا والله إلا في مائتي رجل لا والله إلا في سبع نفر لما وسعني تركه ولقد علمت أن أمير المؤمنين دخل عليه ثقاته حين بايع أبا بكر فقالوا مثلما قلتم لي فقال لهم مثلما قلت لكم)[٢].

٣- أخبرنا محمد بن فضيل عن السري بن إسماعيل عن الشعبي عن سفيان بن أبي الليل (أنه أتى (حسن) بالمدينة حين انصرف من عند معاوية فوجده بفناء داره فلما انتهى إليه قال: السلام عليك يا مُذلّ المؤمنين، قال: فقال: ما ذكرك لهذا؟ قال: فذكّرتهُ الذي كان منه من تركه القتال ورجوعه إلى المدينة، فقال له الحسن: (يا سفيان أما أني سمعت عليًا يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لايموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الأرض حامد وإنه معاوية وإني قد عرفت أن الله بالغ أمره...)[٣].

٤- بحذف السند قال أبو العريف: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفاً تقطر أسيافنا من الحدة على قتال

أهل الشام، وعلينا أبو العمر طه فلما أتانا صلح الحسن بن علي ومعاوية كأنّما كُسرتْ ظهورنا من الحرد والغيظ، فلما قَدِمَ الحسن بن علي الكوفة قام إليه رجل منا يكنى أبا عامر سفيان بن الليل فقال: السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين ، فقال الحسن: (لا تقل ذلك يا أبا عامر لم أذِلّ المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب المُلك)[٤].

٥- روي عن علي بن محمد بن بشير الهمداني، قال خرجت أنا وسفيان بن أبي ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التميمي وسراج بن مالك الخثعمي فقلت: السلام عليك يا مُذِلّ المؤمنين، قال: (وعليك السلام، اجلس، لست بمُذِلّ المؤمنين، ولكني مُعِزّهم ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل، عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ونكولهم عن القتال، والله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بُدٌّ من إفضاء هذا الأمر إليه)[٥].

٦- وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية، وانصرف راجعاً إلى الشام أتاه ـ يعني أتى الحسن ـ سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن فقال: السلام عليك يا مُذِلّ المؤمنين ! فقال الحسن: (وعليك السلام، اجلس لله أبوك). قال: فجلس سليمان، وقال: أما بعد، فإن تعجّبنا لا ينقضي من بيعتك معاوية، ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق، وكُلُهم يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز[٦].

٧- لما سلّم الحسن بن علي الخلافة إلى معاوية جاء إليه قيس بن سعد بن عبادة من خلص شيعته، وأخص أصحابه وعاتبه بقوله: يا مُذِلَّ المؤمنين. فأخذ عليه السلام بيده ملاطفة وقرره عنده حتى سكن وجعه[٧].

٨- من حديث طويل للإمام الصادق عليه السلام لمحمد بن النعمان جاء فيه: (...اعلم أن الحسن لما طعن واختلف الناس فيه، سلم الأمر لمعاوية، فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مُذِلّ المؤمنين، فقال عليه السلام: (ما أنا بمُذِلّ المؤمنين ولكني مُعِزّ المؤمنين، وإني لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوة سلّمت الأمر لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى أصحابها، وكذلك نفسي وأنتم لنبقى بينهم...)[٨].

أول أمر نلاحظه في هذه الروايات اختلاف المكان الذي جرى فيه هذا الحدث، فبين الكوفة والمدينة، تارة نجد من يثبت أن ذلك حدث بعد رجوع الإمام الحسن عليه السلام إلى داره في الكوفة بعد المؤتمر الذي عقد بوجود معاوية وتم تسليمه الأمر، وتارة نجد أن هذا الحدث وقع بعد مغادرة الإمام الحسن عليه السلام الكوفة ونزوله بالمدينة.

الأمر الثاني الذي نلاحظه هو اختلاف القائل، وقد أدرجنا أسماءهم حسب تسلسل الروايات المتقدمة وهم:

١- حجر بن عدي- ١، ٢-
٢- سفيان ابن أبي الليل (ليلى)-٣، ٤-
٣- علي بن محمد بن بشير-٥-
٤- سليمان بن صرد الخزاعي-٦-
٥- قيس بن سعد بن عبادة -٧-
٦- شخص من عموم الشيعة دون تسميته -٨-

١- أما حجر فمن المستبعد أن تصدر

عنه مثل هذه المقولة فهو منقاد إلى إمام زمانه لا يعترض عليه بما يأتي من فعل، وإن كان على نحو الأسف على تسليم الأمر لمعاوية، أو الحرقة على عدم بقاء الإمام الحسن عليه السلام في السلطة وهو المؤهل لها أو غير ذلك من الأسباب، عُرف حجر بصلابته وبموقفه في السير على نهج الإمام علي حتى أصبح مطارداً من قبل معاوية وزبانيته، ورغم ذلك فقد واجه سلطة الأمويين في الكوفة بكل ما أوتي من قوة إلى أن دفع حياته ثمناً لإيمانه الراسخ بالإمام علي عليه السلام، والحديث يرويه رجل يقال له ثقيف البكّاء، وقد استقصينا جميع من كتب بالرجال فلم نجد له ذكرًا فهو رجل مجهول الحال إن لم يكن شخصيّة وهميّة، فلا نعرف مثلاً ابن من؟ ولماذا لقب بالبكّاء؟، يقول محقق كتاب نوادر المعجزات لمحمد بن جرير في معرض تعريضه بثقيف هذا:(من ثقيف البكّاء هذا؟، وكيف ينسب قولاً إلى ثبت هو من أكبر صحابة أمير المؤمنين عليه السلام، وقتل في ولائه صبراً؟ أكان هذا رأياً أو نقلاً لما يصفه العدو أو استيضاحًا لما أخبر به)[٩]، يبقى أمر وهو إدراج اسم حجر بن عدي الطائي وليس الكندي، ولم يذكر لنا التاريخ رجلاً يتحد مع حجر باسمه واسم أبيه باختلاف لقب عشيرته، اللهم إلا ما أورده ابن الأثير في حوادث سنة ٥١هـ حيث قال: (... وقد ذكر عبد الله بن خليفة الطائي الذي نفاه زياد إلى جبلي طيء شريكاً الحضرمي في قصيدته الطويلة التي يعاتب فيها حجر بن عدي الطائي ويرثي حجر بن عدي الكندي وأصحابه...)[١٠]، وإن صحت هذه الرواية فمن المحتمل أن يكون وجود شخصين باسم حجر يجتمعان بالاسم واسم الأب ويختلفان باللقب أحدهما طائي والآخر كندي، وقد تكون عبارة (يا مُذِلّ المؤمنين صدرت عن الطائي ونُسبت خطأً للكندي بسبب التشابه الحاصل بينهما، والله أعلم).

٢- أما ما نُسب لسفيان فلنا معه وقفة:

أ- اختلفت الروايات الواردة في شأن اسمه، فتارة سفيان بن الليل، وأخرى سفيان بن أبي ليلى، وأخرى سفيان بن أبي الليل، أو سفيان بن ياليل، على أنها اتفقت على تلقيبه بالنهدي وبالهمداني.

ب- ورد الحديث بطريقين، طريق عن السري بن إسماعيل عن عامر الشعبي، عن سفيان، والآخر عن الحسن بن الحكم عن عدي بن ثابت عن سفيان بن الليل.

ت- أما وثاقة سفيان، فقد صرح الرجاليّون من العامة بكونه مجهولاً وحديثه منكراً[١١]، وقالوا أيضا: كان ممن يغلو في الرفض ولا يصح حديثه[١٢] وأغلب الظن أن هذا الكلام قد وجهوه لهذا الرجل لأنه طعن معاوية بما قاله عن علي في ذيل الحديث رقم(٣) الوارد أعلاه، وهذا الكلام طبعاً لا يليق عندهم لأنه يبين حقيقة معاوية كما صورها أمير المؤمنين عليه السلام.

أما رجالنا فقد قالوا عنه: ممدوح، من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، بل واحد من حواريه الثلاثة، الذين بلغت مكانتهم عند الإمام إلى حد تجاوز المصاحبة باتخاذهم أمناء لسره وأولياء نجدته في الرخاء والبلاء، وقد ورد قول عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام لم نذكره يقول فيه: (إن سفيان عاتب الحسن بقوله: يا مُذِلّ المؤمنين)[١٣]، فإذا كان سفيان حوارياً من حواريي الإمام، أي من المقربين جداً فكيف له إساءة

الأدب بحضرة الإمام؟ فلو كان من عامة الشيعة الذين كانت درجة معرفتهم بالإمام متواضعة، لهان الأمر.

الجواب لم يكن غائباً عن المؤرخين الذي علقوا على ذلك، فقد قالوا: إنه قال (يامُذِلّ المؤمنين) واعتذر له بأنه قال ذلك عن محبة[١٤]، ثم يضيف ابن داود في رجال: وفيه نظر[١٥]، بمعنى أن رجالينا مدحوه ورضوا حديثه وأن ما صدر عنه كان بدافع محبته للإمام وتعبيراً عن حرقة قلبه لما يرى من استلاب حق الخلافة من الإمام، ولكنه لم يتمكن من توصيل ما في داخله من عتب إلا بهذه الصورة، أو لنقل إنها هفوة صدرت في ساعة حرجة ولكن كلمة ابن داود(فيه نظر) تجعلنا نستنتج بأن ابن داود بنى على موقف سفيان فكرة معينة جعلته يقول وفيه نظر بمعنى أنه يتوقف في ذلك.

٣- أما علي بن محمد بن بشير الهمداني، فقد انفرد الدينوري بنقله الحديث عنه فلم نجد لعلي هذا ترجمة في الكتب وقد حاولنا جاهدين أن نصل إليها فلم نتمكن وعليه يمكن أن يكون حال الراوي بإحدى الصور الآتية:

أ- أن يكون محمد بن بشير الهمداني، وهذا الشخص يروي عن الإمام علي عليه السلام ولم نعرف شيئاً عن حاله.

ب- أن يكون الحديث: حدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشير الهمداني، ولكن الحجاج حذف فأصبح الراوي علي بن محمد

ج- أن يكون علي بن محمد بن بشير من عامة الشيعة، وقد روى عن المتحدث سفيان بن أبي ليلى المتقدم، ولكن صياغة الحديث جعلته كأنه هو الذي قال (يا مُذِلّ المؤمنين) وليس سفيان.

٤- أما سليمان بن صرد الخزاعي، فالحديث نفسه المروي عنه يميزه عن أقرانه، فهو سيد أهل العراق ورأسهم، وهذه المنزلة ليست بالهيّنة لكي تطلق على أي شخص، فالرجل له تاريخ مشرّف ومكانة مرموقة، صحب الإمام علياً عليه السلام وكان معه في صفين، ثم سار على نهج الهدى باتباعه الإمام الحسن عليه السلام ثم كاتب الإمام الحسين عليه السلام فيمن كاتبه لكي يأتي الكوفة، ولكن الأحداث تغيرت بدخول ابن زياد الكوفة، فحبس مع من حبس إلى أن قتل الإمام الحسين عليه السلام وتمكن من النجاة من السجن مع ثلة من أتباعه، فخرج طالباً لثارات الحسين واستشهد على إثر ذلك، أما إقحام اسمه في توجيه هذا القول للإمام الحسن عليه السلام فلم يورده إلا ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة، ولم يتسن لنا الوقوف على من روى هذه الحادثة، فقد أجمل ابن قتيبة بقوله: (وقالوا..)، فلم يذكر من رأى؟ وفي هذا الحديث نظر.

٥- قيس بن سعد بن عبادة، قال مترجموه: كان ذا رأي وبأس وحزم، ومن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومناصحيه[١٦]، أرسله والياً إلى مصر سنة ٣٦هـ، وقد لزم نهج الإمام الحسن عليه السلام فكان حاضراً معه، يسدد كلامه وينصره في شتى المواقف، كان يشحذ الهمم ويعبئ الناس لمواجهة الجيش الأموي، وقد نقل هذا الحديث السيد نور الله التستري دون الإشارة إلى المصدر الذي أخذ منه الحديث، إضافة لعدم ذكره سلسلة الرواة التي اعتمدها في إيراد الحديث، وبذا فهو حديث منقطع، لا يمكن التعويل عليه إضافة لاشتراك أكثر

من واحد في نسبة القول إليه.

٦- قول الإمام الصادق عليه السلام: فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين، يحمل على وجوه، منها أن يكون واحداً من عموم الشيعة قال هذا القول دون التفاته لمن يخاطب، أو لوجود أكثر من شخص قال هذا القول حرقة وحزناً لتسليم الإمام الأمر إلى معاوية.

وبذا فإن خلاصة البحث تنصب على أحد الأمرين، فإما أن يكون حجر بن عدي (الطائي) أو سفيان بن أبي ليل، أو شخص مجهول من الشيعة قال هذا القول وقد أساء في قوله الأدب ولكن الإمام الحسن عليه السلام لم يوبخه ولم يزجره كما وجدنا في كافة النصوص المتقدمة، ومع من يكون فقد حاول الإمام امتصاص غضب المقابل وحزنه، بما أورده عليه السلام من أجوبة إقناعية تنم عن حرصه على سلامة أصحابه، لأن معسكره امتلأ بعيون معاوية وجواسيسه الذين اشترى ضمائرهم بالأموال، فكانوا على استعداد للقيام بأي عملية إجرامية للإمام أو أصحابه المقربين.

المصادر:

١) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة، ص١٦٦.
٢) الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، ص١٩٢.
٣) الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب أمير المؤمنين، ١٢٨/٢.
٤) النيسابوري، الحاكم، المستدرك، ١٧٥/٣.
٥) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٠.
٦) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١٤١/١.
٧) التستري، الصوارم المهرقة، ص١٩٤.
٨) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص٣٠٧.
٩) الطبري، محمد بن جرير، نوادر المعجزات، هامش ص١٠١.
١٠) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ٣٢٨/٧.
١١) ابن حجر، لسان الميزان، ٥٣/٣.
١٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، ١٧١/٢.
١٣) الحلي، العلامة، خلاصة الأقوال، ص١٦٠.
١٤) المصدر السابق.
١٥) الحلي، ابن داود، رجال، ص١٠٤.
١٦) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ٥١٧/١.

بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام
ومبايعة الناس للإمام الحسن عليه السلام:

أقبل جارية بن قدامة حتّى دخل على الحسن بن عليّ عليه السلام فضرب على يده فبايعه وعزّاه وقال: ما يجلسك؟ سر يرحمك الله، سِر بنا إلى عدوّك قبل أن يسار إليك، فقال عليه السلام: لو كان النّاس كلّهم مثلك سرت بهم، ولم يحمل على الرّأي شطرهم أو عُشرهم.

(بحار الأنوار ٣٤ : ١٨)

السلام علیک یا امیر المؤمنین

أجوبة مسابقة العدد (٦٠)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب- سعيد بن عبد الله الحنفي

السـؤال الثاني: أ- الشقوق

السـؤال الثالث: ج- قبل مقتله عليه السلام بثلاثة أيام

السـؤال الرابع: ج- زيد

السؤال الخامس: أ- نافع بن هلال الجملي

السؤال السادس: ب- ثلاث حملات

السـؤال السابع: ج- خمسة

السـؤال الثامن: ب- أوقدتم

السـؤال التاسع: ج- وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ

الفائز بالجائزة الأولى: ناجح علي عبد الكريم/ كربلاء ـ الهندية.

الفائز بالجائزة الثانية: محمد رسوم سعيد/ حلة ـ حي نادر.

الفائز بالجائزة الثالثة: حسن علاء سعيد/ النجف الأشرف ـ المدينة القديمة

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٦٢)

١ من أولاد الإمام الكاظم عليه السلام، روى عنه سنداً معنعناً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد ضمن ذلك في كتابه المشهور الجعفريات أو الأشعثيات، فمن هو؟

أ- إسماعيل.

ب- جعفر.

ج- إسحاق.

٢ بعد موافقة الإمام الحسن عليه السلام على الصلح، أرسل معاوية صفحة بيضاء مختومة بختمه ليملي الإمام الحسن عليه السلام فيها شروطه، فكم كان عدد هذه الشروط؟

أ- أربعة.

ب- خمسة.

ج- ستة.

٣ لما تزوجت خديجة عليها السلام رسول الله صلى الله عليه وآله، قاطعتها النسوة، فلما قاربت على ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام اغتمت وحزنت، فدخلن عليها نسوة طوال كأنهن من نساء قريش وفيهن آسية بنت مزاحم، فقلن لها: لا تخافي ولا تحزني، فكم كان عدد النسوة؟

أ- اثنان.

ب- ثلاثة.

ج-أربعة.

٤ عبد الرحمن بن حسان العنزي، من أصحاب حجر بن عدي، اقتادهم الجلاوزة من الكوفة إلى الشام ليرى معاوية فيهم أمره، وعرضوا عليهم البراءة من علي عليه السلام، فلم يبرأ عبد الرحمن من صاحبه، فحكم عليه بأن يدفن حيا، ففي أي مكان دفن حياً؟

أ- حرّان.

ب- قس الناطف.

ج- القطقطانة.

كوبون المسابقة

ينابيع ٦٢

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

الاسم الثلاثي:.....العنوان:.....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شعبان/ ١٤٣٦هـ

جواب السؤال	أ	ب	ج
الخامس			
السادس			
السابع			
الثامن			
التاسع			

٥ (وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام، نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله) مقطع من خطبة للزهراء عليها السلام، قالتها أثناء عيادة نساء المهاجرين والأنصار إليها، فمن رواها عنها؟

أ- الأصبغ بن نباتة. ب- سويد بن غفلة.
ج- عمار بن ياسر.

٦ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عدَّهُ الإمام واحداً من أربعة من النجباء، أمناء الله على حلاله وحرامه، ولولاهم لانقطعت آثار النبوة واندرست، مات بعد وفاة الإمام عليه السلام بشهرين أو أقل، فمن هو؟

أ- جميل بن دراج. ب- يونس بن ظبيان.
ج- زرارة بن أعين.

٧ المسائل الصاغانية، عشر مسائل من مختلف أبواب الفقه، شنع بها فقيه حنفي من أهل صاغان على الإمامية، وادعى أنهم خارجون عن الإيمان، فانبرى له عالم من علمائنا الأجلاء، وأجاب على مسائله كلها، فمن هو هذا العالم؟

أ- الشيخ المجلسي. ب- الشيخ المفيد.
ج- الشيخ الطوسي.

٨ جابر بن عبد الله الأنصاري، أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وعاش حتى اتصل بالإمام الباقر عليه السلام، فأبلغه سلام رسول الله صلى الله عليه وآله، شهد عدداً من حروب الرسول صلى الله عليه وآله، فكم كان عددها؟

أ- ١٥. ب- ١٧. ج-١٩.

٩ امرأة من نساء المسلمين جاءت إلى الإمام علي بن الحسين سيد الساجدين عليه السلام ودعا الله أن يعيد عليها شبابها، فأعاده تعالى عليها، وكان لها من العمر مائة وثلاث عشرة سنة، فمن هي؟

أ- حبابة الوالبية.
ب-جمانة الغفارية.
ج- شطيطة النيسابورية.

الحكمة تصدر تطبيق (الخطباء) على الأجهزة الذكية العاملة بنظام IOS

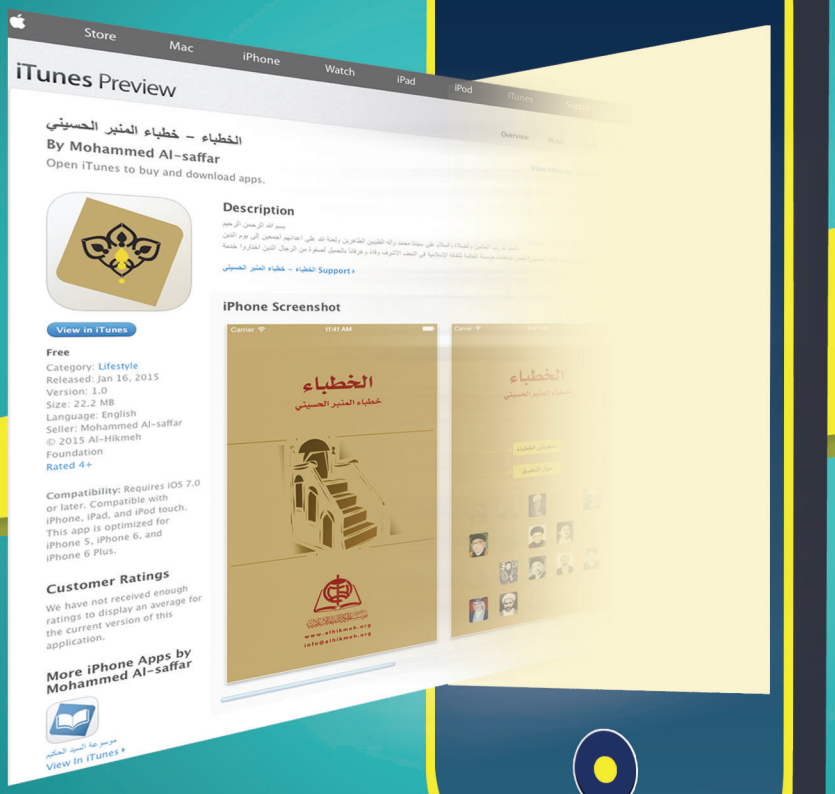

ضع الكاميرا على الباركود لتحميل التطبيق

أخذت هذه الصورة في مدرسة الخليلي الدينية في أربعينيات القرن الماضي ـ الواقفون في الخلف من جهة اليسار: السيد محسن الحمامي، الشيخ حمود الساعدي ، الشيخ باقر القرشي ، الشيخ محسن الهدابي.
الواقفون في الأمام من جهة اليسار: السيد كريم الحمامي ، الشيخ هادي القرشي ، السيد محمد علي الحمامي.

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية